الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 401 - من الثلاثاء 2 إلى الاثنين 8 أفريل 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com - البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

زيارة وفد حكومي رفيع المستوى إلى واشنطن :

نهاية التوتر مع صندوق النقد وعودة التفاوض ؟

كمال سحنون عميد المهندسين لـ «الشارع المغاربي» :

لا يمكن اصلاح المؤسسات العمومية في غياب المهندسين

..لعلّهم ولاّةُ الولاء والدعاية ووزراء السّمع والطاعة؟

ستّ سنوات مرّت على افتتاحها ودار لقمان على حالها

مدينة الثقافة... مدينة «الأضواء» والفراغ

افتتاحية

دفاعا عن الحقّ في الإعلام

بقلم : زهير بن يوسف

دفاعا عن الحقّ في الإعلام

بقلم : زهير بن يوسف (أستاذ تاريخ الأفكار بجامعة تونس)

تصدير:
أَقولُ وَقَد شَدّوا لِساني بِنِسعَةٍ * أَمَعشَرَ تَيمٍ أَطلِقوا عَن لِسانِيا
عبد يغوث الحارثي

***

ينصّ قرار الأمم المتحدة (12/ 1946) المتعلق بحرية الرأي والتعبير على أنّ « حرّية الإعلام حق من حقوق الإنسان الأساسية، وهي المعيار الذي تقاس به جميع الحريات، وتعني الحق في جمع الأنباء ونقلها ونشرها في أي مكان دون قيود». ولذلك أدرجت الحريات الإعلامية ضمن البند 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يمثل حجر الزاوية في المنظومة الإعلامية على معنى تجاوزه للتصورات الكلاسيكية التي تستند إلى حرية التعبير بوصفها امتدادا لحرية الرأي وحرية الضمير، وتؤسس لحق جديد هو الحق في الاتصال، زيادة على أنها تكشف العناصر التي لا تنعقد حرية الرأي والتعبير إلا بها، وهي العناصر الشاملة لمجموع مكونات العملية الاتصالية نعني: استقاء المعلومات والأفكار بحريّة، استقبال المعلومات بحريّة، نشر المعلومات بحريّة.

***

ولمّا كانت الحرية هي الأساس والركيزة في أيّة منظومة دستورية تحترم نفسها باعتبار أنها أصيلة في الإنسان وأنها ليست هبة من الدولة ولا تفضّلا منها أو منّة، بل إن مفهوم دولة القانون يقوم أساسا على فكرة الحرية فإنه يحقّ للشعب الذي عانى من مصادرة الحقوق والحريات طيلة عقود أن تكون منظومته الدستورية قائمة على إقرار الحرية كقيمة وحمايتها من كل اعتداء سواء تعلق الأمر بالسلطة أو بالمجتمع، وهذا ما لا يمكن أن يتمّ إلاّ متى كانت الحرية مضمونة بالدستور وليس بإرادة السلطة ووصايتها على الحريات وعلى المواطنين والمواطنات، وفي كنف احترام الترتيب التفاضلي للقواعد القانونية.

***

ولمّا كانت حرية التعبير/ حرّية الإعلام هي أم الحريات، حيث لا يمكن أن تفرض على حرية الصحافة قيود لا تمتثل للشروط الصارمة المنصوص عليها في القانون الدولي لحقوق الإنسان، بما في ذلك مبدأي الضرورة والتناسب، بل إنّ ذلك يعدّ انتهاكا لهذه الحرية وتعدّيا عليها فإنّ الشفافية في التعاطي مع الشأن العام تقتضي، بالضرورة، أن يتمتّع المواطنون والمواطنات بالحق في إبلاغهم بمجريات ما يحدث في بلادهم. وبهدف تحقيق هذه الغاية، يجب أن يكون الصحفي قادرا على أداء الواجب المهني المحمول عليه من دون أية قيود، ومن غير المقبول أن يحتجز أي شخص بسبب ممارسة حقه في التماس المعلومات وتلقيها ونقلها، أو للتعبير عن وجهة نظر في السياسات العامة للدولة مختلفة عن وجهة النظر التي تعبّر عنها السلطات وتصدر عنها، لأنّ إخماد أصوات الصحفيين، وتسليط سيف ديمقليس عليهم بالإضمار أو بالإشهار، يقوّض دور وسائل الإعلام المستقلة الحاسم، بكل ما يمكن أن ينجرّ عن ذلك من آثار مدمّرة على المجتمع ككل.

***

والقواعد الدوليّة تؤكد على المكانة الهامة التي تحتلها حقوق الإنسان في العمل الصحفي، وهي الحقوق التي أقرتها التشريعات الدولية والوطنية، ولكن أقرتها أيضا أخلاقيات المهنة الصحفية التي وضعتها جمعيات الصحفيين الدولية والإقليمية والوطنية، ومن نصوصها المرجعيّة « إعلان مبادئ الفيدرالية الدولية للصحفيين بخصوص سلوك الصحفيين» الذي يقتضي في بعض مواده أن «ينتبه الصحفي لمخاطر أيّ تمييز يروّج عن طريق الصحافة خاصة عندما يكون قائما على أساس عنصري أو على أساس الجنس أو اللغة أو الدين أو الأفكار السياسية أو الجنسية أو الأصل الاجتماعي». ومقاومة التمييز حجر الزاوية في منظومة حقوق الإنسان خاصة متى تعلق الأمر بسلوك الصحفيين آية ذلك أنّ دراسات عديدة تبين أنّ التعامل الانتقائي مع أخبار الحريات العامة وحقوق الإنسان يمثل أخطر الانتهاكات التي يمكن أن تقترفها الصحافة.

***

وإذا كانت حماية الحريات الإعلامية مضمونة بالمعاهدات الدولية، فإنّ حمايتها في النصوص الإقليمية بدورها مكفولة، بمقتضى أنّ الثانية، بالطبيعة والمأتى، امتداد للأولى، بل محاولة لتوفير حماية أنجع وأقوى وأضمن من آليات الحماية الدولية. ولئن وفقت الاتفاقيتان الأوروبية والأمريكية في ذلك فإنّ المعاهدتين العربية و الإفريقية لم تنهضا بحماية حقوق الإنسان بالقدر المطلوب، حيث ظل التشريع الدوليّ يوفّر لحرية التعبير حماية أفضل من التشريع الإقليمي، وهو تشريع انعقد على التضييق على حرية التعبير بتراتيب وأوامر ومراسيم صادرة عن السلطة التنفيذية، والحالات متكررة في دول عديدة. على انّ الميثاق العربي لحقوق الإنسان لسنة 2004 ارتقى بمكانة الحريات الإعلامية واقترب من مستوى المعايير المعتمدة دوليا وخاصة في المادة 52 منه الخاصة بحماية الحريات الإعلامية من حيث تبنّيه العناصر المكونة للحق في الإعلام الواردة في الإعلان العالمي والعهد الدولي واعتماده مصطلح الحق في الإعلام الذي يعتبر من الجيل الجديد لحقوق الإنسان، وهو أشمل وأكثر شرعية ومشروعية من عبارة حرية التعبير الكلاسيكية.

***

ومتى عدنا إلى المادة 19 من « العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية» الذي يعدّ من أهمّ الآليات الضامنة لحقوق الإنسان بمقتضى ارتقائه بالحقوق المدرجة في الإعلان العالمي إلى مستوى القواعد القانونية الملزمة للدولة التي توقّع على هذه الوثيقة، على غرار الدولة التونسية، ويصادق عليها برلمانها، على غرار البرلمان التونسي، بقطع النظر عن الحكومات والسياسات، وجدنا أنّ جلّ الأقطار العربية، بما فيها بلادنا، لا توفّر عمليّا أيّة حماية للصحفي، ما عدا تلك التي يتمتّع بها بصفته مواطنا، الحالة المصريّة استثناء، بالأدنى في مستوى التشريعات، حيث أورد القانون المصري بابا فرعيا تحت عنوان « حقوق الصحفيين» تضمّن ما لا يقل عن اثني عشر بندا منها بند ينصّ على أنّ « الصحفيين مستقلون لا سلطان عليهم في أداء عملهم غير القانون»، ومنها بند ينصّ على أنّ « كل من أهان صحفيا أو تعدى عليه بسبب عمله يعاقب بالعقوبات المقررة لإهانة الموظّف العمومي» أو التعدّي عليه».

***

ولئن كان صحيحا أنّ المنظومة القانونية ببلادنا شهدت تطورا هاما في اتجاه ضمان حرية الصحافة والإعلام فإننا نشهد في الممارسة عديد الانتهاكات و بالأدنى التضييقات على حرية الإعلام والتعبير، وبوتائر متفاوتة في تصاعدها، وهي تضييقات طالت الصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية والرقمية.

وإذا كانت في قوانين الصحافة العربية ومنها قانون الصحافة التونسي ضمانات لحماية سمعة الأشخاص وحرمة حياتهم الخاصة فإنّها قد أقرت أيضا بنودا تلزم وسائل الإعلام باحترام حقوق الإنسان، وهي قيود مشروعة وغير منافية للضوابط الدولية، فإنّ الاحتفاظ بالصحفيين رهن الاعتقال وإخضاعهم للمساءلة القضائية من أجل ممارسة مهنتهم، وفقا لماء جاء في ندوة صنعاء لسنة 1996، يندرج ضمن الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان. والواجب هو الكفّ عن هذه الممارسات والمبادرة بوقف التتبعات وإلغاء الإجراءات الاحتياطية والعقوبات السالبة للحرية بالنسبة إلى الإعلاميين، وفي أتعس الحالات تهم « الثلب» وما شابهها،، في حدود الجنح المدنيّة بإلغاء الفصول المتعلقة بالثلب الواردة بالمجلة الجزائية وإيقاف العمل بالمراسيم ، وفرض احترام الدستور وحماية الحريات الصحفية وإنهاء التعسف في تطويع قوانين ومراسيم مخالفة لإجراءات التتبع ضد الصحفيين. يقول محمد الجعايبي (1880- 1938)، أحد رواد الصحافة التونسية ومؤسس جريدة «الصّواب»: «للصحافة مقامٌ رفيع بين الأمم الراقية؛ لأنها تعتبرها ترجمان أفكارها ورائد مقاصدها، والمنبّه الوحيد للحكومات إذا زلّت أقدام ساستها أو تنكبوا عن طريق العدالة والمساواة».

زيارة وفد حكومي رفيع المستوى الى واشنطن :

نهاية التوتر مع صندوق النقد وعودة التفاوض ؟

مختار لعماري - أستاذ مبرز في الاقتصاد بكندا

بعد أقل من أسبوعين سيتحول وفد وزاري رفيع المستوى الى مقر صندوق النقد الدولي بواشنطن للمشاركة في اجتماعات الربيع السنوية التي ستنتظم من 15 الى 20 أفريل الجاري.

وباستثناء حدوث طارئ في آخر لحظة سيشارك في الرحلة وزيرة المالية سهام البوغديري ووزيرة الاقتصاد والتخطيط الجديدة الدكتورة فريال الورغي ومحافظ البنك المركزي الجديد الدكتور فتحي النوري مصحوبين بكبار مستشاريهم.

وستكون مهمة الوفد التونسي عسيرة وحساسة : الظفر باتفاق تمويل من صندوق النقد الدولي او في أدنى الحالات فتح باب المصالحة والثقة بشكل إيجابي يسمح بالتوجه نحو اتفاق تمويل قبل الانتخابات الرئاسية المنتظرة في الخريف القادم. فالرهانات كبيرة وسيشعر الوفد التونسي بضغوط سياسية.

بالنسبة للرأي العام التونسي تطرح 3 أسئلة نفسها :

1 – ما هي الرهانات والتحديات الحقيقية التي يتعين على مبعوثي تونس الى صندوق النقد الدولي مواجهتها؟

2 – ما هي الملفات الحارقة والحجج التي سيتسلّح بها هذا الوفد أملا في الحصول على قرض جديد من صندوق النقد الدولي؟

3 – ما هو وضع حسابات وديون تونس لصندوق النقد الدولي؟

إملاءات بريتون وودز

الجدير بالذكر ان صندوق النقد الدولي والبنك الدولي يجتمعان مرتين في العام (في الربيع والخريف) بوزراء المالية والاقتصاد وكذلك بمحافظي البنوك المركزية في نحو جميع بلدان العالم لتلقّي تقارير عن حالة اقتصادات بلدانهم وماليتها العمومية وسياساتها النقدية.

وخلال هذه الاجتماعات يتم طرح قضايا الديون والتحديات التي تفرضها الإصلاحات المطلوب تنفيذها وذلك في اطار روح اتفاقيات بريتن وودز التي سيتم هذا العام الاحتفال بالذكرى 80 على بدء العمل بها في ظلّ مطالبة أكثر من ثلثي بلدان العالم بمراجعتها.

وسيتم خلال هذه الاجتماعات تهنئة بلدان ومكافأتها بمساعدات وقروض جديدة وتوبيخ بلدان أخرى ودعوتها لمزيد الاجتهاد وكل ذلك في اطار ترسانة من الاملاءات والضغوط للقيام بإصلاحات واجراء التعديلات المطلوبة. وبالنسبة لصندوق النقد الدولي هناك من جهة "الطلبة الجيّدون" ومن جهة أخرى "الطلبة السيّئون" وتصنّف تونس حاليا ضمن الفئة الثانية.

فمع تونس، يراوح تصرف الصندوق بين الترهيب والترغيب أي باختصار سياسة "العصا والجزرة".

ندرك ان تونس ستستسلم وتتراجع امام هذا الوضع، لكن مكره اخاك لا بطل وقد طبعت العديد من التوترات والخلافات علاقات تونس بصندوق النقد الدولي. آخرها يتعلق بتأجيل زيارة كان من المقرر أن يؤديها وفد من خبراء الصندوق الى تونس في سبتمبر الماضي، زيارة كان رغم ذلك مخطط لها وتهدف الى اصدار تقرير دوري عن حالة المالية العمومية واختلالات السياسات العمومية (الديون، العجز، التضخم، نسبة التضخم...).

ينضاف الى ذلك تأجيل اتفاق مبدئي حول قرض بقيمة 1,9 مليار دولار تم التوقيع عليه في أكتوبر 2022 (على 8 أقساط) بين الصندوق وتونس. وقد رفض الرئيس قيس سعيد في اللحظة الأخيرة البنود المتفق عليها في إطار هذا الاتفاق معتبرا إياها غير مقبولة وتمثل خطرا على السلم الاجتماعية بتونس.

التجاذبات السياسية

تحتاج تونس الى أكثر من 7 مليارات دولار لغلق ميزانيتها لعام 2024. كما تحتاج بلادنا المثقلة بالديون والتي ترزح منذ 6 أشهر تحت وطأة ركود اقتصادي (حسب معهد الاحصاء) الى اتفاق مع صندوق النقد الدولي حتى تتمكن من الوصول الى المانحين الدوليين والنفاذ للأسواق المالية العالمية.

كما أن التوصل لاتفاق مع صندوق النقد الدولي مطلوب للحدّ من الضغوطات التي تمارسها وكالات التصنيف (حسب التصنيف "س C" أي ما يناهز 7 من 20) والتي تزيد في ارتفاع أسعار الفائدة والمخاطر المرتبطة بالسندات التي تصدرها الدولة التونسية وكلّها هنّات تعني أن تونس تُعتبر دولة على حافة "الافلاس" والانهيار الاقتصادي.

تتحوّل الدولة التونسية الى مقر صندوق النقد الدولي بواشنطن بشخصيات جديدة وبمحافظ جديد للبنك المركزي ووزيرة جديدة للاقتصاد. دم جديد بهذا الفريق الذي سيحصل على "عماد النار" في ما يتعلق بالمفاوضات أخذا وردّا حول طبيعة ومدى الإصلاحات التي سيتم تنفيذها في تونس وتكون مقبولة من الطرفين.

فالهدف بالنسبة لقيس سعيد هو التوصل الى اتفاق مع صندوق النقد الدولي لكن ليس بأي ثمن، اذ لا يريد الرئيس المسّ بشركات الدولة ولا التقليص في عدد الموظفين المتضخّم أو مراجعة النظر في نظام الدعم والتعويض الخاص بأسعار المواد الأساسية.

خطوط حمراء و"ميادين مُلغّمة"

على مختلف هذه الجبهات الساخنة ستحدث "الصدامات" والمفاوضات. مفاوضات ستكون صعبة وغير مؤكدّة اذ أن صندوق النقد الدولي لا يريد مواصلة اقراض تونس دون تقديم اطار مالي يخصّ الميزانية متناسق وقابل للتطبيق وقادر على اخراج البلاد من حلقة الإدمان على الديون ومضاعفة عجز ميزانيتها.

ويدرك الوفد التونسي ان ذلك لن يكون مجرّد نزهة سهلة في الشارع الذي يقع فيه مقر البيت الأبيض. ويعلم أعضاء الوفد أن الرئيس قيس سعيد يراقب الوضع عن كثب وأن بإمكانه اقالتهم في أية لحظة اذا حصلت أخطاء في التفاوض أو صدرت عن بعضهم تصريحات غير لائقة سواء بشكل غير رسمي أو رسمي دون تلقى ضوء أخضر من قصر قرطاج.

ولا بدّ من القول ان المخاطر هائلة مع العلم أن الوفود الرسمية التي تمثل بلدانا تعاني من صعوبات مالية تتعرض الى تردّد ممثلي الصندوق الجشعين عليها بل وحتى هرسلتها من أجل التوسط أو عقد "صفقات" يتم التفاوض عليها سرّا في المطاعم الفاخرة بواشنطن العاصمة.

لم تعد تفصل قيس سعيّد عن الانتخابات الرئاسية سوى 5 أشهر وترتبط إعادة انتخابه أيضا بقدرته على الدفاع عن الطاقة الشرائية لناخبيه مقابل الغاء الدعم والعودة الى سياسة "حقيقة الأسعار". وقد وعد الرئيس قاعدته الانتخابية أيضا بأنه لن يتراجع في ما يتعلق بقضيتي خوصصة شركات الدولة والتخفيض في كتلة الأجور التي يحصل عليها ما يناهز 700 الف موظف حكومي و200 ألف آخرين يعملون بالشركات والمؤسسات التابعة لها.

الملفات الساخنة

لم تتغيّر إملاءات وشروط صندوق النقد الدولي بالنسبة لتونس منذ عام 1987 والتي تتمثل في 5 مطالب :

1 – التخلي عن نظام الدعم والتعويض بالنسبة للأسعار من أجل فرض سيادة حقيقة الأسعار.

2 – خوصصة الشركات التجارية.

3 – الحد بشكل جذري من عدد موظفي الدولة ومن عبء رواتبهم على ميزانية الدولة.

4 – تحرير الاقتصاد وفتح الحدود للمنافسة الدولية.

5 – السيطرة على التضخّم وتعويم أسعار صرف الدينار.

فاتفاقيات واشنطن التي تحكم عمل مؤسسات بريتن وودز لا تهدف بأي شكل من الاشكال الى مساعدة البلدان بشكل مباشر في جهودها الاستثمارية أو تحقيق انتعاش اقتصاداتها.

وأمام هذا الوضع اعدّ الوفد التونسي الذي سيتحوّل الى واشنطن خمسة ملفات.

– الأول يحتوي على مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية 2023 – 2025. ويهدف هذا المخطط الى توضيح رؤية قيس سعيد الاقتصادية لتونس وإظهار قابلية تجسيدها. وهذا المخطط لم يصادق عليه البرلمان بعد ومن الوارد ان تتم هذه المصادقة في وقت متأخر من عام 2024 أو مع حلول عام 2025 أي بعد فوات الأوان بالنسبة لمخطط ينتهي عام 2025. وهذا تمش يفتقد للجدية وعلى البرلمان التحرك بسرعة للمصادقة على قانون دخول هذا المخطط حيز التنفيذ قبل انعقاد اجتماعات الربيع بواشنطن.

– الثاني : خلال الأسابيع الأخيرة صادقت الحكومة على مشروع مجلة صرف جديدة بالخصوص من أجل تحديث القواعد التي تحكم قابلية تحويل الدينار والحصول على العملة الأجنبية.

ولا يزال نص هذا المشروع سريا ولم يناقشه البرلمان بعد. وهدفه أن يكون ردّا حكوميا للحفاظ على قيمة الدينار وتجنب تعويمه تبعا لسوق الأوراق النقدية.

– ثالثا : لقد نجحت تونس في الإيفاء بسداد ديونها للأشهر الأولى من عام 2024. وبالنسبة لشهر أفريل وحده، وفرت تونس المخصصات اللازمة لتسديد ديون بـ 1,5 مليار دولار معظمها لفائدة دائنين دوليين. ويشكّل ذلك حجّة ذات وزن للبرهنة على مرونة البلاد المالية.

– رابعا : عيّن الرئيس قيس سعيد محافظا جديدا للبنك المركزي ووزيرة جديدة للاقتصاد والتخطيط. ويحمل صاحبا هذين المنصبين الاستراتيجيين شهادتي الدكتورا في العلوم الاقتصادية وسبق لهما أن نشرا دراسات في مجلات علمية. وسيكون صوتاهما مسموعين بشكل أفضل وسيكونان قادرين على التحدث بشكل أحسن الى خبراء صندوق النقد الدولي ونتمنى لهما كل النجاح ومجتمع خبراء الاقتصاد متحدون لمدّ يد العون لهما سواء في واشنطن أو عن بعد عبر البريد الالكتروني.

– خامسا : خلال الخمسة اشهر الأخيرة، اقرت تونس العديد من الإجراءات والإصلاحات في ميدان حوكمة النظام البنكي واصبح بإمكان البنك المركزي مستقبلا اقراض الحكومة دون المرور بالبنوك ودون تحمل عبء فوائد ربوية. وقد تم إقرار قانون لمكافحة الفوائد الربوية والتزمت البنوك بالتخفيض في رسومها وتسهيل فتح حسابات بنكية تشمل حتى الـ 700 الف عاطل عن العمل والمنتفعين بالرعاية الاجتماعية.

الحسابات الجيدة تصنع أصدقاء جيّدون

للحصول على قرض جديد من صندوق النقد الدولي، يتوجب على تونس ان تأخذ في الاعتبار ما يجب عليها سداده لهذه المؤسسة. فبالنسبة لشهر أفريل وحده (1 أفريل – 1 ماي) سيتعيّن على تونس أن تسدد لصندوق النقد الدولي ما قدره 500 مليون دولار بين أصل دين وفائدة (5,2 ٪).

في المجمل مازالت تونس اليوم مدينة بمبلغ 1,87 مليار دولار مقسمة على الأربع سنوات القادمة.

وفي كل الأحوال، لا يمكن لاتفاقية قرض جديد مع صندوق النقد الدولي ان تتجاوز اجمالا 2,2 مليار دولار موزعة على 8 أقساط (4 سنوات) وهو مبلغ اقل بقليل ممّا يعادل ما تدين به تونس لصندوق النقد الدولي على امتداد السنوات الخمس القادمة. وسيتم احتساب هذا السقف (2.2 مليار دولار) على أساس حصتها من رأسمال الصندوق وما تدين به له.

لذلك يمكننا الاعتراف في ختام هذا العمود بلا لف ولا دوران بأن توقيع اتفاق على قرض آخر بحد أقصى لا يتجاوز 2.2. مليار دولار يمثل شرطا ضروريا لكنه ليس كافيا لإخراج تونس من الركود الاقتصادي الذي تعاني منه. ذلك أن الحلول الحقيقية بالنسبة لتونس تكمن في الاعتماد على الذات عبر الضغط على الانفاق العام مع تحسين انتاجية عمل التونسيين وزيادة الاستثمارات بكل القطاعات وفي كل جهات البلاد.

لكن الى أي مدى يمكن للرئيس قيس سعيّد الذهاب في هذا التمشي السياسي المليء بالمخاطر الانتخابية؟

من المؤكد ان صندوق النقد الدولي سيثمّن الجهود المبذولة وخاصة السلم الاجتماعية التي وفّرها قيس سعيد لبلد يعاني من عدم استقرار يمكن لأضراره الارتداد على قارة اوروبية مريضة اقتصاديا وعلى نظام عالمي في حالة تشرذم متقدّم.

..لعلهم ولّاةُ الولاء والدعاية ووزراء السّمع والطاعة ؟

صالح مصباح

من السائد ان تختار الجهة التي تحكم فريق المسؤولين الذين تنفّذ بهم حكمها. ومن السائد ان الولاء السياسي او الحزبي لجهة الحكم هو مقياس رئيس في ذلك الاختيار. فالجهة التي تحكم تحمل، على وجه الافتراض والعموم، مشروع حكم وبرنامج تصريف للشأن العام. فليس وجيها ان تتخير جهةُ الحكم من ليسوا على منهاجها. لكن الحكام الفطنين لا يكتفون بالولاء وانما يستكملونه بمقياس الكفاءة والاقتدار. وقد تستغني جهة الحكم في بعض الحالات عن الولاء فتكتفيَ بالكفاءة شرط ان تشع في نطاق منهاج الحكم. وينطبق هذا المعيار المزدوج على"عادي" المراحل في المجتمعات التي يُداوَل فيها الحكمُ مداولة دورية سلسة.

لكنّ الحاجة تشتد خلال المراحل الاستثنائية والانتقالية الى ذينك المقياسين على الجملة والى الكفاءة على الخصوص.

1/في الانتقال داخل الانتقال

بعد سنة 2011 عاشت تونس مرحلة استثنائية سميت مرحلة "انتقال ديمقراطي "ومرحلة ما بعد الثورة". لم ينجح الانتقال ولم ينجح ما بعد الثورة. وكان اهمال التماسك بين المقياسين المذكورين من اسباب الاخفاق الذي انتهى الى مازق تعذّر به المرورُ وامتنع استمرار الحال.

وجاء مسار 25 جويلية. لقد اراده صاحبه تداركا على "الانتقال" غير المأسوف عليه بانتقال اخر. جاء ذلك المسار بمشروع نفي لِمَا سبق ولِما سبق ما سبق. فقد اراده صاحبه وثبا عاليا من 17 ديسمبر 2011 الى 25 جويلية 2021، والحال ان ما بينهما هو ما مكّن صاحب المسار من الحكم.

قال قبيل انتخابه انه لا يحمل برنامج حكم. وقال ان برنامجه سيكون ما يقول الشعب. وقال لاحقا هو ما يُدوّن الشعبُ على الجدران. واتضح انه اكثر المترشحين حملا لبرنامج خاص به. تقبّل بعض التونسيين ذلك. سلّموا باحتمال ان ذلك من باب "الغموض الاستراتيجي الانتخابي"، وانتظروا ما سيجري لا سيما لما آلت الى صاحب الاستراتيجيا مقاليد الحكم الفردي الكامل.

في هذه المرحلة تأكدت الحاجة الى ذينك المقياسين، لاسيما ان صاحب الانتقال الى العلو الشاهق ليس بذي دربة، ولا عيب في ذلك من حيث الاصل، وان تحديات الارتفاع شاملةٌ مركّبة. لكن الخلل ظهر مبكرا لا في مصاعد العُلوّ فحسب، وانما ايضا في فريق صيانتها والسهر عليها مركزيا وجهويا. لقد مثّل سوء الاختيار عاملا حاسما في انقطاع سلاسل

المصاعد وفي تلَف المدارج.

2/ولاة الولاء والطاعة

قد يجوز، وان على مضض، ان يخلوَ من الدربة السياسية والادارية رئيسٌ او وزير. ففي المألوف من الاحوال يحاط هذا وذاك بفريق من المساعدين المتمرسين.وقد يستوي هذا في مراحل الاستقرار السياسي والاجتماعي بقدر ما يصعب ان يستويَ في المراحل التي بخلافها. الا ان خطة الوالي في النظام والتقاليد التونسيَة هي خطة ذات منزلة من الاهمية استثنائية. فالوالي هو ممثل كل سلط التنفيذ في جهته. وهو مجمَع البعدين الاداري والسياسي. وفي تاريخ تونس كان الوالي يمرّ بمراحل معلومة من المران والاختبار. لكن هذه المرحلة هي كسابقتها من جهة تغليب الولاء على غيره من مقاييس تعيين الولاة. ففضلا عن الفراغات في ولايات هامة لا نعلم لها سببا، فإن التعيينات في بقية الولايات تبعث على الحيرة فعلا. فالوالي قد يعيّن من فراغ البطالة. و الموجب انه من الولاء الذي عنوانه الإسهام في حملة صاحب المسار الاننتخابية او "التفسيرية" كما صوّب هو نفسه دون افصاح عن الفرق. و ليس ادل على قَصرِ الاختيار على الولاء من حركة التعيين والاعفاء التي يُعَدُّ بالايام احيانا ما بين هذه وتلك. وفوق ذلك تروج في سائل الاعلام ترهات عن بعض الولاة، ولا بيان رسميا يوضحها او يفنّد او يوافق. ومن الامثلة الشهيرة احد الولاة في تونس الكبرى. فقد الحِقَت به اغلب عيوب التسيير وشاعت في وسائل الاعلام والتواصل. لا بل تسرب ما يفيد بأنه باق في منصبه لان " النظام رئاسي". وما وراء ذلك، لو صح، ان حصانته هي في الولاء للرئيس ولا اعتبار لخلاف ذلك. وقس على ذلك اشباه ونظائر، حتى كان الشغور ادعى لما لا يَشين من التعيين. فهل هذا من دوافع صاحب الحكم الى خيار الكراسي الفارغة جهويا ومحليا؟ لا نعلم.

3/وزراء السمع والطاع

هم وزراء بصلاحيات مستكتبين. الصمت شيمتهم، والسمع مذهبهم، والولاء سر توزيرهم. ومع احترامنا لذواتهم، فاننا لا نرى فيهم مَن هو جدير بالمنصب. ولعل صاحب التعيين لا يخالفنا في ذلك بدليل ان الاعفاءات تتعاقب ولا تتوقف. لا بل ثمة من مرّ من كرسي الوزارة الى التتبع القضائي.

ولعل الاستثناء الوحيد من الصمت هو وزير التربية المقال قبل ساعات. فقد اخذته العزة بالمنصب فأوقعته في غباء سياسي غريب. فهو لم يدرك ان التربية هي وزارة المعرفة التي يتخللها هامش ايديولوجي اكيد حساس. لكن هذا الوزير حوّل موقعه وزيرا الى موقع الدعاية الايديولوجية القومجية، مثلما افصح عنها في ذلك الخطاب الغَفُول في البرلمان والذي سبق لنا التطرق اليه. والغريب انه واصل ما تراجع عنه الرئيس نفسه. انه لم يفهم ان ذلك الخطاب قد لا يُقبل خارجيا من وزير تربية مسؤول عن مزاج الناشئة. ولا معنى ها هنا للحديث عن "السيادة". فلا سيادة مطلقة لأعتى الدول. فهل كان اعفاؤه كبش العيد؟ لا نعلم.

ثم ان هذا الوزير الحامل لاحقاد على اتحاد الشغل قد سخّر المنصب لتنفيذ ذلك العداء على سبيل الولاء لصاحب السلطة، حتى ان امين عام الاتحاد اعتبره وزير التآمر على العمل النقابي. ولا جدال ان الاتحاد هو اليوم في أوهن حال، ولا جدال في ان بعض هياكله وراء ذلك. الا انه منظمة يكمن فيها تاريخها الحي. ومن دلائل ذلك ان قيادته ألمحت الى افاق تعاون مع عمادة المحامين لممارسة روح نقدية في هذه المرحلة القادمة. فهل نفّذ الوزير الغبيُّ المهمة بأن أضعف اهم قطاعين من الناحية النقابية، ثم قدّم رقبته كبشا للمرحلة القادمة، بمنطق خذ هذا مقابل ذاك بين الاتحاد والسلطة؟ لا نعلم. فالجهة الرسمية ضنّت كالعادة بالخبر اليقين. فقد تكون للإعفاء أسباب اخرى. الا ان الاكيد هو مرة اخرى تحكيم الولاء واهمال الكفاءة.

كمال سحنون عميد المهندسين لـ «الشارع المغاربي» :

لا يمكن اصلاح المؤسسات العمومية في غياب المهندسين

حاوره: محمد الجلالي

أفاد كمال سحنون عميد المهندسين التونسيين بأن عديد المهندسين اجتهدوا للتسريع في انجاز مشاريع عمومية فوجدوا انفسهم موقوفين بمقتضى الفصل 96 من المجلة الجزائية باعتبار ان هذا الفصل لا يفرق بين خطأ إجرائي وفساد مالي أو إداري مطالبا بإعادة النظر في هذا الفصل.

وأكد سحنون أن ايجاد حل جذري لتردي أوضاع المهندسين يتلخص في تغيير منوال التنمية مشيرا الى أن آلاف المهندسين غادروا القطاع العمومي وإلى أن ذلك أدى الى تدهور وضعية المؤسسات بطريقة لافتة والى تدني خدماتها.

العميد اعتبر في حوار أجرته معه أسبوعية "الشارع المغاربي" أن عقلية التسلط على المهندسين موجودة في الحمض النووي (ADN) لتركيبة احد الاطراف الاجتماعية في اشارة ضمنية الى اتحاد الشغل وان هذا التسلط تراجع كثيرا منذ 25 جويلية 2021 لافتا من جهة أخرى الى أن أغلب المهندسين الذين ترأسوا حكومات ما بعد 2011 لم يقدموا شيئا.

بِمَ تُفسرون عدم تجاوب السلطة معكم رغم حديثكم منذ سنوات عن هجرة آلاف المهندسين إلى خارج البلاد؟

هجرة آلاف المهندسين هي مشكل تراكم منذ سنوات طويلة وايجاد حل جذري له يتطلب مزيدا من الوقت والحل الجذري يكمن في تغيير منوال التنمية. ولا يجب ان يتم بناء المنوال على اقتصاد المصلحة الذي تم ارساؤه منذ عهد الدولة الحفصية وانما على اقتصاد الكفاءات القائم على تصدير المنتوج والخدمات عوض تصدير الكفاءات الى الخارج.. تغيير المنوال الاقتصادي يتطلب ترتيبات كبيرة وعزيمة سياسية جريئة وتحضيرات ثقيلة. هل انطلقوا في هذا التغيير ام لا؟ لا استطيع الاجابة عن هذا السؤال... اذكر انه تم التطرق في مخطط التنمية 2023-2025 الذي انجزته وزارة الاقتصاد الى منوال تنموي قائم على اقتصاد المعرفة. ولا أظن انه تم تضمين اقتراحات عملية لتغيير هذا المنوال بل اعتقد اننا مازلنا بعيدين عن اعتماد منوال جديد. على المستوى الآني لا مناص من تحسين وضعية المهندس وهو ما لم يتم نظرا لوضع المالية العمومية الصعب. في ثقافة السياسي والمسؤول بتونس لا يمكن تحسين وضعية المهندس الذي يشتغل في القطاع العمومي ما دام الاقتصاد يمر بأزمة وهذا غير صحيح.. باختصار وضعية المهندس العامل في القطاع العمومي ترتبط بتحسن السيولة المالية العمومية ووضعية المهندس الذي يشتغل في القطاع الخاص ترتبط أساسا بمنوال التنمية. وأذكر بأنه تم حرمان مهندسي المنشآت العمومية من المنحة الخصوصية التي تم تخصيصها لمهندسي الوظيفة العمومية بمقتضى امر حكومي يعود الى سنة 2019. ونتيجة لذلك يواصل عديد المهندسين مغادرة القطاع العمومي الشيء الذي أدى الى تدهور وضعية المؤسسات بطريقة لافتة والى تدني خدماتها. فبتحسين اوضاع المهندسين المالية سيعدلون عن مغادرة مؤسساتهم وبذلك يمكن انقاذها من الافلاس بل لا يمكن اصلاح

المؤسسات في ظل غياب المهندسين.. اللافت هو تفشي ثقافة صلب الادارة بأن المهندس لا يمثل عنصرا رئيسيا في تحريك عجلة الاقتصاد ودفع التنمية مع العلم ان تغيير العقلية لا يكلف شيئا على المستوى المالي اضافة الى أن لا الدولة ولا المؤسسات العمومية والخاصة انكبت على معالجة هذه النقطة.

هل مازالت علاقة العمادة متوترة بأحد الاطراف الاجتماعية صلب الادارة؟ ولماذا هذا التوتر؟

عقلية التسلط على المهندسين موجودة في الحمض النووي (ADN) لتركيبة هذا الطرف الاجتماعي لكن هذا التسلط تراجع كثيرا منذ 25 جويلية 2021. نرجو ان يدرك هذا الطرف الاجتماعي ان دوره يتمثل في الدفاع عن العمال بالفكر والساعد وليس فقط عن المشتغلين بالساعد وان المهندسين جزء من الشغالين وانه من واجبه الدفاع عنهم مثلما يدافع عن بقية الاسلاك. كما أرجو ان يكون تاريخ 25 جويلية قد ساهم في توعيته بأخطائه.

تقصد بالطرف الاجتماعي اتحاد الشغل؟ وما الذي يدفعه الى التسلط على المهندس؟

أنا لم اذكره بالاسم ولتسلطه علينا تاريخ يعود الى مرحلة تأسيس عمادتنا. أذكر ان 27 نائبا بالبرلمان كانون محسوبين على هذه المنظمة رفضوا سنة 1982 التصويت على إحداث العمادة.. هذا يعود الى ثقافة سائدة صلب المنظمة وجب تغييرها. وحتى المهندسين الذين انخرطوا منذ عقود في المنظمة لم يدافعوا البتة عن مهنتهم او عن زملائهم بل تطرقوا بصفة عرضية الى ملف المهندسين. وحين تدافع هذه المنظمة عن المهندسين سنشيد بذلك ونثمن مجهوداتها ونحيل اليها ملفنا لاننا في أمس الحاجة لمن يدافع عنا.

هل صحيح ان الوقت حان لتغيير سياستكم الاتصالية وحتى الاحتجاجية حتى يكون صوتكم مسموعا اكثر؟

الاكيد ان لكل ملف طريقة تناول او تعامل ولا أقول احتجاج. نحن لسنا نقابة ولا حزبا ولا جمعية وانما هيئة مهنية لتنظيم المهنة ولحمايتها ولكننا مجبرون على تقمص دور النقابي لحماية مهنتنا في ظل عدم وجود اي هيكل يدافع عن المهندس... علاقتنا بالسلطة جيدة والاكثر من ذلك نحن جزء من السلطة وامتداد لها باعتبار ان القانون منح صلاحيات معينة لهيئتنا المهنية. لذلك لا يمكن ان نكون في وضعية عدم انسجام مع الدولة واذا وُجد عدم الانسجام فذلك يعتبر خللا استراتيجيا من طرف العمادة أو من الدولة.

اذا كنتم جزءا من السلطة لم لا نرى لكم لقاءات برئيس الدولة او برئيس الحكومة ولِمَ لم تشهد مطالبكم المتكررة بتحسين وضعية المهندس تفاعلا ايجابيا؟

لقاءاتنا ترتبط اساسا بملفات بعينها ولنا لقاءات دورية بعدد من الوزراء. صحيح اننا لم نلتق رئيس الجمهورية ولكننا التقينا بعدد من مسؤولي مصالح رئاسة الجمهورية وحظينا بمقابلة كل رؤساء الحكومات عدا السيد احمد الحشاني.

هل تقدمتم بمطالب لتحديد موعد لقاء مع

رئيسي الجمهورية والحكومة؟

آخر لقاء لنا كان مع السيدة نجلاء بودن رئيسة الحكومة السابقة. ثم ان لقاءاتنا ترتبط أساسا بأهداف واضحة ولا نسعى للقاء لمجرد اللقاء. على سبيل المثال تقدمنا مؤخرا بطلب للقاء السيد رئيس الحكومة للنظر في تسريع تمرير مشروع القانون الاساسي من الحكومة الى البرلمان ونرجو أن يتم عقد هذا اللقاء في القريب العاجل.

لم لا تضاعفون حضوركم في المشهد وتعبّرون عن آرائكم بصوت عال حتى تكونوا فاعلين ومؤثرين في ايجاد حلول لمشاكلكم وللازمة الاقتصادية التي تمر بها البلاد؟

للعب هذا الدور كونّا في 2019 هيكلا استشرافيا سميناه مجلس علوم الهندسة حتى يكون قوة اقتراح لفائدة الدولة. وقد انجز دراسة عن الانتقال الطاقي واخرى عن ندرة المياه وهو الان بصدد انجاز دراسة عن الأمن الغذائي. والاهم من كل ذلك هو كيف يمكن ربط قضايا المياه بالطاقة والغذاء لايجاد حلول شاملة وهذا ما نحن منكبون عليه. وقد لاحظنا انه تم اخذ بعض اقتراحاتنا بعين الاعتبار على غرار ما تم تضمينه في استراتيجية المياه في افق 2050 واستراتيجية الانتقال الطاقي وغيرهما. نحن بصدد لعب دورنا والدولة من جهتها تفاعلت معنا ايجابيا... اما في ما يتعلق بحضورنا في المشهد فيهمني التوضيح ان عميد المهندسين لم يكن خلال حقبتي بورقيبة وبن علي يدلي بأي تصريح اعلامي الا اذا كان وزيرا او مسؤولا بمؤسسة... والآن بقدر الطلب الاعلامي المتزايد علينا قد لا نجد الوقت الكافي او حتى من يتكفل بالإجابة عن بعض الاستفسارات الصحفية. وهذا يدل على ان موقع العمادة تغيّر مقارنة بما كانت عليه في السابق على عكس هياكل أخرى كعمادة المحامين او حتى عمادة الاطباء عُرفت بحضورها الاعلامي المستمر.

متى يصبح لعمادتكم حضور وصوت في المشهد على غرار عمادة المحامين مثلا؟

علاقة المحامين بالسياسة تعود الى ثلاثينات القرن الماضي انطلاقا من بورقيبة مرورا بعديد الوزراء وصولا الى بقية رؤساء الجمهورية.. لا يجب ان ننسى أيضا ان من مهام المحامين الدفاع عن الحقوق والحريات وبالتالي هم مرتبطون بالسياسة وبالشأن العام بينما ظل المهندسون الذين هم ركيزة الاقتصاد خارج المشهد. لقد بقينا جنود خفاء.

وهل اخترتم موقع جنود الخفاء ام فُرض عليكم ذلك؟

وضعية المهندس بتونس وخارجها تفرض عليه العمل في الخفاء على عكس السياسيين الذين يتصدرون المشهد. والان تغيّر الامر بفضل مجهودنا التواصلي الذي يظل مع ذلك ضعيفا ودون المنشود. نرجو ان نتمكن من تكثيف ظهورنا الاعلامي خدمة لقضايانا كمهندسين ولصالح البلاد عموما.

لماذا لا يخوض المهندسون السياسة دفاعا عن مهنتهم ومساهمة منهم في تنمية البلاد بشكل فعال؟

المؤسف ان أغلب المهندسين الذي ترأسوا حكومات ما بعد 2011 لم يقدموا شيئا عدا رئيس حكومة واحد كان بامكانه النجاح في مهمته وتحقيق قفزة تنموية كبيرة لولا العراقيل الموضوعية والسياسية التي عصفت بحكومته. ندعم المهندسين في ممارسة النشاط السياسي حتى يبلوروا رؤاهم التنموية بناء على تشخيص حقيقي بعيدا عن عقلية اللف والدوران والدمغجة السياسية.. اعتقد اننا مازلنا بعيدين كل البعد عن هذا المستوى من التفكير والتعاطي مع الازمات.

> عقلية التسلط على المهندسين موجودة في الحمض النووي لاحد الاطراف الاجتماعية
>
> مجبرون على تقمص دور النقابي لحماية مهنتنا
>
> أغلب المهندسين الذين ترأسوا حكومات ما بعد 2011 لم يقدموا شيئا
>
> ندعم المهندسين لخوض غمار السياسة بعيدا عن عقلية اللف والدوران والدمغجة
>
> عديد المهندسين حاولوا التسريع في انجاز مشاريع عمومية فتم ايقافهم

هل يوجد تفكير جدي في صفوف المهندسين لدخول معترك السياسة؟

خضنا كمهندسين بعض التجارب السياسية خلال استحقاقات انتخابية سابقة وشجعنا الزملاء على الترشح تحت يافطات مختلف الاحزاب حتى يشكلوا مجموعة ضغط ثم سرعان ما واجهتنا مخاوف من اتهامنا بخدمة فئات بعينها أو بتسييس المهنة.. لم نبلغ بعد درجة من النضج حتى نحسم في هذا الامر.. عندما تتوفر الظروف السياسية اللازمة وتتغير ثقافة الناخب ستنزل العمادة بأكثر فاعلية لدعم ابناء المهنة في مشوارهم السياسي.

ما أهم النقاط التي تطالبون بتغييرها في قوانين عمل المهندسين؟

تأتي المصادقة على مشروع القانون الأساسي الذي ينظم مهنتنا في مقدمة مطالبنا. نطالب أيضا بتنقيح قانون يعود الى سنة 1978 إضافة إلى ضرورة تحيين القوانين المنظمة للدراسات الفلاحية.

ماذا تقصدون بضرورة استشارة العمادة بخصوص التكوين الهندسي وإحداث أو حذف شُعب واختصاصات تتعلق بمجالكم؟

المشكل في هذا الاطار ان ملف برامج التدريس في مستوى التعليم العالي يعود بالنظر للجامعات التي تتمتع باستقلالية عن وزارة التعليم العالي في احداث بعض الشُعب أو حذفها. خلال السنة الحالية شرعنا في التواصل مع الجامعات على أمل ان يتم تشريكنا في هذا الصدد. على كل مازلنا بعيدين عن المأمول بما اننا فوجئنا في مناسبات عديدة باضافة شعب جديدة تتعلق بالتكوين الهندسي في كتيبات التوجيه الجامعي دون العودة الى العمادة او استشارتها.

هل تفاعلت معكم سلطة الاشراف بعد تعبير عمادتكم عن استعدادها للمساهمة في رفع اشكالات مشروع ترميم الملعب الاولمبي بالمنزه؟

التفاعل كان من جانبنا كعمادة وتمثّل دورنا في التدخل لصالح المشروع للتسريع في انجازه بحلحلة اشكالات بين المهندسين أو بينهم وبين المهندسين المعماريين. وما زاد على ذلك من اخطاء او اية اجراءات أخرى يبقى من مشمولات وزارة التجهيز. باختصار تدخلنا لتيسير الامر امام الدولة حتى تعجّل في انجاز اشغال ترميم الملعب. دورنا كعمادة يرتكز أساسا على التحسيس بمخاطر الفساد لكننا واعون بأنه يمكن بمحاربة الفساد تحريك عجلة التنمية باعتبار ان الفساد الصغير يساهم في خسارة نقطتين في مؤشر التنمية فما بالك اذا استفحل بشكل كبير وهذا في اعتقادي واقع ملموس بتونس.. يذكر ان العميد السابق كمال العيادي يرأس حاليا لجنة مكافحة الفساد في المنظمة الدولية للهندسة وفي هذا اعتراف بمكانة عمادتنا وبدور المهندس التونسي في مكافحة الفساد. هنا لا مناص من الاشارة الى ان المهندسين عادة ما يكونوا في قلب المشاريع العمومية التي غالبا ما تتخللها اخطاء اجرائية او مهنية او حتى ملفات فساد. القانون لا يفرّق بين خطأ إجرائي والاستيلاء على اموال عمومية او تقديم مصلحة للغير بينما قد تتعطل بعض المشاريع كثيرا إذا لم يتم اختصار الاجراءات المعقدة. ومن يجتهد للتسريع في انجاز مشروع ما قد يجد نفسه موقوفا على معنى الفصل 96 باعتبار ان هذا الفصل لا يفرق بين خطأ إجرائي وفساد مالي أو اداري والامثلة كثيرة عن مهندسين تم ايقافهم طيلة أشهر قبل ان تتم تبرئتهم والاكتفاء بالاعتذار لهم شفويا مما أدى إلى امتناع زملاء لهم عن الامضاء على صفقات او التسريع في انجاز مشاريع عمومية. نطالب اذن باعادة النظر في الفصل 96 من المجلة الجزائية.

المرحوم جاد الهنشيري :

مران فلسفي في النضال الحر

فتحي طالب (باحث في الأديان والفلسفة والتصوف)

في حديثه عن الموت، يُبحر الفيلسوف فتحي المسكيني في محيطات التفكيك محاولا أن يجلي جوانب من هذا الحدث الوجودي ، وعندما سأله الباحث نادر الحمامي في محاورة أجراها معه قائلا : ما هو الموت ؟ أو ماذا تجيب الفلسفة عن سؤال الموت ؟ قال : لا يمكن للموت أن يصبح حدثا عاديّا في أي ثقافة ، عند موت أحد هناك تعطل ما للعالم ، دريدا يقول " فريدة دوما نهاية العالم " وعندما تسمع بصديق أو شخص ما لا تعرفه مات ، ينتهي نوع معين من العالم تحت امضائه ويذهب معه ،، نحن لا نموت بنفس الطريقة في كل عصر ، الناس يموتون داخل سرديات ولا يموتون كالأشياء .. ، وفي احدى دروسه المنهجيّة التي كان يقدمها لطلبة ماجستير فلسفة كان يقول لنا عندما يتعجب أحد الطلبة أنه لم يناديه باسمه " أنا لا أحفظ الأسماء أنا أحفظ الوجوه التي تبتسم لي " ، صدقت بروفيسور المسكيني ، لقد كانت اجابتك تلك آية على ما يعيشه الأحرار ، أولئك الذين نذروا أصواتهم وأعمارهم وسخّروا طاقاتهم لسد الثقوب السوداء التي حدّثتنا عنها في احدى محاضراتك نعم ودون شك ، هذه الوجوه المبتسمة أفعالها لا تنسى ، فللمواقف وجوه مبتسمة لا تمحى من ذاكرة الروح ، نعم ودون شك أيضا ، هناك من يأخذون على عاتقهم هم الردم والتقويض والبناء وسد الثقوب السوداء بابتسامة موقف شجاع ، الشجاعة والصدق والمبادئ التي لا تقبل التجزئة والوقوف في صف الضعفاء والحزن الباسم في وجه السواد ، كلّها هذا الطبيب الشهم الذي رحل دون سابق إنذار ، نعم صدقت هم لا يموتون كالأشياء بل هناك أناس لا يموتون كالناس لأنهم يصنعون سرديات كبرى ، إن شئنا أن نقول ، هي تمرين فلسفي في النضال الحر ، نعم مرة أخرى ، هم ليسوا كغيرهم في القول والفعل إذ كيف يمكن أن أساويهم بالأشباح والأشباه بعد أن حملوا على كاهلهم هموم زمانهم وأحزان عيشهم وجراحات وعذابات قطاعهم (قطاع الصحة)، وفي واقع الأمرهو ليس كذلك ، نتيجة السرقة والتملص والمحاباة ، إن إنسانا مثل المرحوم جاد الهنشيري يحتاج إلى كتاب ضخم شخصية هذا المناضل الحر يجب أن تُدرس في كليات الطب والصيدلة ليقف الطلبة على محطات من نضاله ، أفكاره التي ناضل من أجلها رفقة زملائه الأحرار إثر ترؤسه للمنظمة الوطنية للأطباء الشبّان لا يجب أن تموت مع موته ، بل يجب أن يستأنف الغيورين من الشرفاء في قطاع الصحة من عمداء وأطباء وكافة الهيكل الطبي ما جاد به جاد وما صدحت به حنجرته وتبناه من أفكار من شأنها أن تنهض بهذا القطاع الحساس ، وتصلح ما يمكن اصلاحه ، وتبني ما يمكن بناءه ، وهذه مسؤولية مشتركة لم تكن يوما مسؤولية جاد وحده إنها مسؤولية وطنية وليست مسؤولية أشخاص ، الأشخاص يرحلون ، تفجعنا الموت برحيلهم أو المرض بتعجيزهم أو غيرها من صور الرحيل ، ويبقى الوطن وتبقى المبادئ الحرة التي نادى بها الشهيد شكري بلعيد والشهيد البراهمي والمرحوم مالك الصغيري والمرحومة مية الجريبي والمرحوم جاد الهنشيري وغيرهم من الأحرار الذي كانوا رموزا في النضال الحر وليس نضال الجيب العلوي والعبارة لريجمونت بومان ، وستظل مواقفهم شاهدة على رسوخ قدمهم في هذا المضمار شاهدة على جرأتهم وصراحتهم وغيرتهم الوطنية على المؤسسات العمومية من تعليم وصحة وفلاحة وصناعة وتجارة ومؤسسات عمومية يتربص بها السماسرة ، لقد تعب جاد ولم يصرح بأنه متعب ، تلمح أطنان التعب والحسرة في عينيه ورغم ذلك كان متمسكا بمبادئه مدافعا عنها إيمانا منه أن قطاع الصحة العمومية هي ملك للجميع ومن حق الضعفاء أن يتمتعوا حال عجزهم ومرضهم بالعلاج المجاني ومن واجب كل طبيب أن يعالج المرضى دون سمسرة ومتاجرة بالألم كما كان جاد صوتا مسموعا تخشاه سلطات الإشراف وتهابه الوزارة موصلا بشفافية ووضوح تامين معاناة الأطباء طيلة فترة تربصهم لما يواجهونه من قلة امكانيات وما يلقونه من تعسف وتثبيط عزائم .

نعم ، بهذا الفكر الوقّاد وهذه الروح الصافية كانت أفكار التغيير تعتمل في ذهن فقيدنا الوطني جاد ، لقد كان من القلائل الصادقين المهتمين بقضايا إصلاح الصحة العمومية في تونس بل أكثرهم جرأة وإقناعا ومن حين لآخر كاد أن يقمع صوته ويزول أثره النضالي لو لا عمق جذوره في نفوس الأحرار ، ألم نقل منذ البداية أنه بشخصه وروحه وفكره وعزيمته تمرين فلسفي في النضال الحر .

رحيل بطعم البقاء وسفر بمعنى المجيء

في كتابه مفهوم الموت عند الصوفية يصرح الدكتور محمد الرزقي بأن " مسألة الموت من المسائل العويصة التي اصطدم بها الوعي الإنساني فرجّته وفي أحيان كثيرة أذهلته فتسابق أهل النظر لفهم الظاهرة وتفسيرها حتى اعتبر شوبنهاور فكرة الموت بأنها عروس الفلاسفة " ، ويمكننا القول أن الموت له معنى شفاف صاغته المدونة الصوفية يمكن أن نبصر من خلاله وجه الله ، يمكن أن يكون مرهم للأوجاع وبلسم للأحزان وسلوى لقلوب الفاقدين الذين آلامهم الفقد فألقى بهم في فيافي الغربة وينسب للإمام علي بن أبي طالب أنه قال " فقد الأحبّة غُربة " أي غربة لمن فقَد وليس لمن فُقِد لأن المفقود باق والمسافرعائد من حيث أتى، وهذا الفهم كما قلت بإمكانه أن يكون وصفة روحية إن لم تشفي بالكليّة فإنها تُذهب جزءا كبيرا من آلام الفقد وتصيّره إلى معنى مشبّع بالإيامن ، إن الموت في التراث الصوفي يُسفرُ عن أصالة الحزن وعظمته ، إنه البداية وليس النهاية ، بداية مرحلة جديدة تتشح بالخلود والسرمديّة لذلك كان جلال الدين الرومي يذكر الموت مبتهجا لأنه سيجتمع بالحبيب وفي تركية يسمونا ذكرى وفاته بليلة العرس " شَبِ العُرْس " ويحيونها بأداء رقصة السماع وقصة الناي المشهورة التي يبث من خلالها أنينه وأشواقه لله تُظهر هذه الفكرة الدقيقة عن الموت فيتحول بموجبها الرحيل بقاء والسفر مجيئا

يقول الرومي : " إذا كنت باحثا عنا فابحث عنا بفرح لأننا نعيش في عالم الفرح " .

* تأبينُ آخر وليس بالأخير .. بشيء من الشعرِ :

هل أقول وداعا
أم مرحبا
سواء في معجم الخلود ..
هل أقول سلاما
أم كلاما ..
كلام يُسمع بالنظرات ويُفهم برجع صدى
الحناجر في الساحات..
حسنا ..
لك ما قُلت وما قيل وما سيقال ..
لك الدموع
والزهور
وساعات الإنتظار ..
لك تحيّة الرفاق والأحرار
لك الكفوف الملوّحة لنعشك
لك الحروف المصّاعدة مني ومنهم ..
تضرم ملء الأكف التماعا..
هل أقول وداعا ..
أم مرحبا ..
سواء في معجم الخلود..
هل أقول سلاما ..
أم كلاما..
يسمع بالنظرات
وُيفهم برجع صدى الحناجر في الساحات..

بيان التبرئة

أنس الشابي

ما إن صدر الحكم في قضية اغتيال الشهيد شكري بلعيد حتى سارعت حركة النهضة الى نشر بيان اعتبرت فيه أن هذا الحكم هو حكم تبرئة لها من الاتهام الذي طالها بعد مقتل شكري أيام كانت تحكم البلاد بعد سنة 2011. واللافت للانتباه أنها استشهدت بالآية 112 من سورة النساء: «وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا» وذلك بعد أن انتزعتها من سياقها لتصبح شهادة في صالحها. فالآية نزلت حسب ما ورد في أسباب النزول للواحدي في حق سارق خبأ درعا فيه دقيق عند يهودي ولمّا عثر عليه لديه اتهمه بالسرقة فنزلت الآية لتبرئة اليهودي من الاتهام الذي طاله. وفي تقديري أن الاستشهاد بهذه الآية في غير محله لأن الآية وردت تالية للتبرئة التي عاينها المؤمنون. أمّا لدينا فليس هناك أي تبرئة للحركة ممّا اتّهمت به وبيان ذلك:

1) القضاء يحكم وفق الأوراق والوثائق والمستندات الموجودة في الملف من حيث نسبة الأفعال لمرتكبيها -وهي القتل في هذه الحالة- وذلك لمن ثبت في حقه القيام بها. فالحكم القضائي يحمل الإدانة لأشخاص بعينهم ولا يحمل التبرئة لأيّ كان وإلا لصرّح بذلك. أمّا ما اتجهت إليه الحركة من خروج بالأحكام عن مرادها فهو من باب حمل الألفاظ على غير معانيها.

2) اغتيال شكري والبراهمي ليس بالاغتيالات العادية التي يمكن أن نعثر على أسبابها كأن تكون السرقة أو الخصومة حول إرث أو عقار أو غير ذلك. هي جرائم سياسيّة الهدف منها إسكات أصوات وإنهاء وجود ذوات فاعلة في محيطها ومن هنا فإنّ المتهم الأساسي هو صاحب المصلحة في تغييب هذه الأصوات وإنهاء وجودها.

فمن يكون صاحب المصلحة في ارتكاب هذه الجريمة؟ ومن شرّع للعنف والاغتيالات في العمل السياسي ببلادنا؟

يلحظ المتأمل في تاريخ الحركات السياسية التي نشأت بعد الاستقلال أن جميعها كان سلميّا ولم تتجاوز حدود البيان الموزّع أو التظاهر في الشوارع. ولم تعرف بلادنا إدخال العنف والإرهاب في الفضاء السياسي إلا بعد ظهور الحركة الإسلامية التي يقوم تفكيرها وبرنامجها السياسي المعلن على فرض معتقداتها على المخالفين ولو كان ذلك بالقوة. والمتابع لِما نشرت من نصوص يلحظ ذلك مليّا. ففي مقال لراشد الغنوشي عن قادة الحركة الإسلامية البنا والمودودي والخميني نشر سنة 1979 كتب: «ويبدو أن ما يُطلق عليه اليوم بلجنة الخميني وهي القائمة على حراسة النظام والتصدّي لأعداء الثورة من اليساريّين وملاحقة أنصار النظام السابق هو صورة من صور الجهاز السري للإمام وكما كان للخميني تنظيمه السري كان للبنا كذلك... وسواء كان هذا التنظيم سريا أو علنيا فهو على كل حال إذ يعمل ضمن مبادئ الإسلام وقيمه يتسلح بضمانة أساسيّة تجنّبه التورّط في عمل الأجهزة السرية الإجراميّة...»(1) . غير أنّ الغنوشي لم يحدّد مبادئ الإسلام وقيمه التي يعنيها بل تركها مفتوحة ليصبح الإسلام في نهاية الأمر إسلامه هو الذي يؤمن به هو. أما إسلام المخالفين فغير مشمول بما نصّ عليه. هذه العقيدة التي ترفض الآخر وتكفّره وتضعه في موضع العدو الذي يجب التخلص منه عن طريق الأجهزة علنية أو سرية نجدها حاضرة حتى بعد استلامه الحكم وبعد أن ادعى انتسابه إلى إسلام ديمقراطي وبعد أن روّج لفرية

فصله بين الدعوي والسياسي ودخوله منتدى الديمقراطية والتسامح وغيرهما من ساقط القول. يقول: «إن المتابع بقلب سليم جملة نصوص الإمام (يقصد حسن البنا) حول موقفه من الأحزاب يدرك بجلاء لا غبش فيه أن التعدّد الحزبي على الأقل بالنسبة للأمم الناشئة غير جائز... بل يدعو إلى حلّ الأحزاب وإحلال حزب واحد محلّها يجمع قوى الأمة... إنّ حديث الإمام ولئن تنزل في ظروف خاصة بمصر فإن سياقه العام يتجاوز الظرف ليندرج ضمن قواعد النظام الإسلام... إن الأحزاب المذمومة يقابلها حزب واحد هو حزب الله»(2)، نُشر هذا الكلام لزعيم الحركة أواخر سنة 2011 أي قبل مقتل الشهيد شكري بما يقارب السنة الواحدة. وممّا يؤكد أنّ هذه الحركة مارست القتل والإرهاب أنه استقال منها بعد جريمتها الشنيعة في باب سويقة عدد من قادتها كنور الدين البحيري(3) وعبد الفتاح مورو والفاضل البلدي وبن عيسى الدمني وصدقي العبيدي(4) واتجه بعضهم إلى تأسيس حزب آخر يقول عبد الفتاح مورو بعد أن تيقّن من وجود جهاز سري: «أعرف أنّ رئيس الحركة هو راشد الغنوشي وأنا أتولّى الأمانة العامّة، ولقد اكتشفت في الهياكل التي تمّ كشفها أنّ الأمانة غير موجودة تمامًا، وضعوني بصفة علنيّة ولم أشعر بأيّ خلل بتاتا وكنت أجتمع في هياكل علنيّة ظاهرة من خلال موقعي كأمين عام للحركة وإذا بي أفاجأ بأنّه لا وجود لخطّة أمين عام»(5). ويذكر لطفي زيتون القيادي المقرّب من الغنوشي وأحد رجاله الثقات في شهادته: «كنّا نعرف نحن أنّ رئيس الحركة ليس راشد الغنوشي ومن يُمسك الحركة لا نعرفه كان اسمه سفيان... عندما خرجت من السجن كنت لا أعرفه (يقصد الصادق شورو) أعرف أنّ اسمه سفيان وفي ما بعد تعرّفنا عليه طبعا»(6). والسؤال الذي تحاول حركة النهضة التهرّب من الإجابة عنه هو لماذا التنظيمات السرية؟ وأي مهام يمكن أن تكلف بها بعيدا عن أعين الملاحظين وحتى المنتسبين من قادتها؟.

لم يصدر اتهام الرأي العام لحركة النهضة بالاغتيالات من فراغ بل كان يستند إلى أدبيّات قادتها من ناحية وإلى سجلها الإجرامي الذي نذكر البعض منه في ما يلي:

* احتجاز عميد كلية العلوم المرحوم علي الحيلي وهذه أوّل مرة في تاريخ البلاد التي يُحتجز فيها أستاذ من طرف طلبته لتترى بعد ذلك الأحداث الشبيهة كمنع الأساتذة من إلقاء الدروس وتعنيف بعضهم ممّا يذكره التونسيون بأسى وحزن أدّى إلى انهيار العلاقة بين التلميذ وأستاذه.
* رشّ المواطنين بماء الفرق وأشهر مثال على ذلك الشيخ علي الورغي الذي توفي نتيجة ابتلاعه السائل الناري.
* اعتراف المنصف بن سالم في مذكراته بسعيه لإحداث فراغ دستوري في البلاد.
* سرقة 35 كلغ من المتفجّرات من مقاطع الحجارة.
* اكتشاف أسلحة في مقرّ اتحاد الطلبة التابع للحركة سنة 1990.

أما بعد سنة 2011 فإن سجل جرائم الحركة في حق البلاد لا حدود له. يكفي أن نذكر نهب مالية الدولة ممّا أدى إلى إفقار التونسيين وخروجهم يوم 25 جويلية 2021 مطالبين بمحاسبتها بعد أن ظهر أحد قادتها مهددا الحكومة بأنها سوف ترى الويل منهم إن لم تستجب لطلبها في التعويض لمنتسبيها. إن كان تدمير الدولة وتفقيرها من صنع حركة النهضة فإن المستفيد من الاغتيالات وإن صدر حكم قضائي في حق مرتكبيها هو من حرض على الشهيد بلعيد في التلفزة الوطنيّة وهو من أقال حمادي الجبالي ووضع مكانه وزير الداخلية المسؤول الأوّل عن أمن المواطنين الذي استلم من عميد المحامين شوقي الطبيب رسالة من بلعيد يعلم فيها السلط بأنه مراقب من طرف أشخاص لا يعلم هويتهم فكان جواب وزير الداخلية بأن شكري يتوهّم وأن ما ذكر في الرسالة غير صحيح. أسئلة كثيرة تطرحها الطبقة السياسية عن حركة النهضة حول أحداث وقعت في فترة حكمها ولكنها تتهرب من الإجابة عنها لتستشهد بحكم قضائي متوهّمة أنّه يبرئها من مسؤوليتها عما حدث وهي ممسكة بالبلاد طوال عشريّة كاملة.

الهوامش

1) «مقالات»، مطبعة تونس قرطاج 1988، ص98.
2) «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» راشد الغنوشي، دار المجتهد للنشر والتوززيع، طبعة تونس الأولى 1988، ص289 و290.
3) جريدة «الصباح» 24 مارس 1991.
4) جريدة «لا براس» 25 مارس 1991.
5) مجلّة «الوطن العربي» العدد 222 – 748 بتاريخ 21 جوان 1991.
6) «سيرة ابن نقابي عاشوري أصبح نهضويّا» لطفي زيتون، شهادة نقلها وعلّق عليها عبد الجليل بوقرة، دار آفاق برسبكتيف للنشر، تونس 2017، ص153.

خزعبلات سياسية تونسية

البريد والوكالة: اقتطاع موش في وقتو

منير الفلّاح

في ها التخربيشة متاع الأسبوع هذا، حاسس أنّي باش نغشّش برشة ناس... وكيف ما ولّيتو تعرفو أنا وبخلاف كوني نبّار راني زادة باش مختصّ في العفسان في الطّبق ! نعرف أنّو برشة منكم ومنكن قاعد يقول ايه شنوّة الجديد ؟الحاجة الوحيدة هي شنوّة وإلا شكون باش يكون"شكارة البوكس"؟

هنا انجّم نجاوبكم :الكلّ! ايه نعم أنا إنسان ديموقراطي وباش نوزّع "حشيشة رمضان"على الجميع بالتّساوي !

على الجميع مع مراعاة بعض الخطوط المسموح بيها طبعا! اليوم جاء على بالي باش نحكي على ما راج مؤخّرا بخصوص الإقتطاعات من الحسابات البريديّة لفائدة وكالة النّقل البرّي... نحلّ قوس صغير هنا ونذكّركم أنّي على قدّي في التّسميات متاع المؤسسات زيد ماعندي لا سيّارة لا حساب بريدي...نسكّر القوس،حسب ما فهمت،فمّة ناس مشات عدّات فازيتة سيّاراتها وخلّصت بالبطاقة البريديّة،لكن المبلغ ما تمّش إقتطاعه من حساباتهم وما قالوا وما عملوا شيء باش تتسوّى الوضعيّة...برّا يا زمان،ايجا يا زمان فاق البريد وبدأ في القصّان من غادي لغادي وقتها النّاس المعنيّة فاقوا وتغشّشوا !

الحكاية هذي ذكّرتني بمثل تونسي أصيل جدّا:"هو يقول سعدي بخالتي باش تعطيني بنتها وهي تقول سعدي بوليد أختي يسرحلي بالنّعيجات بلاش"، يحبّ يقول المواطن الحريف الّي عندو حساب بريدي إفتراضي وبطاقة طفّى الضوء وقال الدّولة تحبّني وما قصّتليش فلوس والدّولة،بمصالحها،كيكست بعد سنوات وقالت لا حلّت لا ربطت،البنيّة(الفليّسات) هاهي عندي ونعيجاتي ما فيهمش تفريط!

المهمّ وكيف ما قلتلكم من الأوّل،شاهي نعمل CARTON ونبوكسي الكلّ!توّة بالله،يُعقَل مؤسّسة كبيرة نعتزّو بيها الشعب الكلّ كيف البريد التّونسي ونتمنّاو أنّها تولّي "بنك بريدي"أصلا تقوللها وكالة الفحص الفنّي راهو فمّة حرفاء مشتركين بيناتنا عملوا فحص لسيّاراتهم وما وصلولناش الفلوس،يعني عندي(الوكالة)متخلّد بالذمّة متاعك من عام2020 لتوّة،يعمل هكّة البريد التّونسي نهار 14 مارس الجاري وفي وسط السّهريّة ويبدأ في الإقتطاعات من حسابات الحرفاء المعنيّين،من غير لا "إحم،لا سلام عليكم لا حتّى صحّة شريبتكم"يعني وكيف ما قلتلكم سابقا:فليساتكم هاهي عندي ونعمل بيهم الّي نحبّ !وكيف فمّة شكون قال شنوّة هالإقتطاع وكثروا الكلامات والسّلامات،حبّس البريد الضّرب،نقصد الإقتطاع وخرّج توضيح يقول فيه أنّو علّق الإقتطاعات(بداية من30مارس)حتّى يتّصلوا بالحرفاء المعنيّين ودعوتهم لخلاص مستحقّاتهم !

يعني قعد"البريد التّونسي"نصف شهر باش يوعى أنّو الإجراء متاع الإقتطاع من غادي لغادي ماهوش بالضّبط موافق لمقاييس التّعامل القانوني مع حرفاءه والحال أنّ ثنيّة القانون والحقّ أسهل وأسلم بما أنّو وحسب رأيي المتواضع الّي ربّما يكون غالط،كان ممكن أنّ"البوسطة"وهي من هي،كيف تتصل بيها وكالة الفحص الفنّي وتعلمها بها المتخلّد بذمّة حرفاءها تجاوب أنّها مؤتمنة على فلوس النّاس وما تنجّمش تقصّ من غادي لغادي والمفروض دعوة الحرفاء المشتركين والمعنيّين بهذا الخلل الفنّي الّي عمره عامين لتسوية وضعيّاتهم في آجال محدّدة ويتمّ كلّ شيء في ضوء النّهار ويحمل إمضاء المعني!

نجيو توّة للمعنيّين والمعنيّات بها الإقتطاع الّي صار موش في وقته،زعمة ما فاقوش بفليّساتهم قعدت كيف ما هي ما نقصتش دورو بعد ما مشاو فحصوا سيّاراتهم وروّحوا بيهم محصّنين مضمّنين وخذاو هاك الوريقة الثّمينة الّي تعدّيهم من قدّام شرطة وإلّا حرس مرور مزهوّين بأنّ أمورهم عال العال؟ سامحوني، إيه نسيت وقتها،عام عشرين،الجايحة عاملة فتاريّة في البلاد وفي النّاس وحتّى من البنوك علّقت إقتطاع قروضها أمّا في بالي لا الوكالة ولا البوسطة بنوك! فوق هذا وحسب عِرفي القديم ياسر،أصحاب وصاحبات الحسابات البريديّة ما همش من أصحاب الحسابات المُنتفخة بآلاف الملايين وأقلّ تحريكة في الحساب بحسابها...هذا ما يعفيش أيّا كان باش يتمتّع بخدمة وما يدفعش مُقابلها ويحسب روحه موش هوني !

يحبّ يقول أنّو أضعف الإيمان أنّك كيف تمشي لفرع البريد الّي عندك فيه حساب باش تجبد شهريتك وإلاّ جرايتك وتثبّت في فليساتك تثبّت زادة في شكون يسالك وتسأل وتعرف أنّو فمّة عمليّة ما صارتش وتحرص باش كلّ حدّ ياخذ حقّه كيف ما نقولو على موت على حياة وربّي يطوّل في أعمار النّاس الكلّ ! لكن آش تحبّ تعمل يلزمنا نقرّو أنّنا نتعاملو بعقليّة "رزق البيليك"ونحبّو كان ناخذو! هذا الكلّ وأنا لا عندي لا سيّارة ولا حتّى بسكلات وما عنديش حساب بريدي! وفي الإخر ما عندي في ها السوق ما نذوق...

ومن الجيهة المقابلة،عندنا زادة دولة مُمثّلة في مؤسّساتها وإداراتها تتعامل بمنطق آخر حدّ معني بشؤونه هو صاحب أو صاحبة الشّأن ذاته ! يعني أنت موظّف أو موظّفة فلوسك عندي تخلّص ضرائبك على دائر ملّيم والآخر الّي ما يخدمش عندك يخلّص ضرائب على قدر تقديراته هو...فمّة خلل فنّي وفلوسك ما تعدّاتش في وقتها لمستحقّها،إيه شبيه توّة نقصّهم وقت نفيق إنشاء اللّه حتّى في أنصاف اللّيالي ومن غير ما نقلّك ستّة من سبعطاش قدّاش يطلعوا !وكان كثر الحديث والهرج والمرج،ساهل ياسر:نرجعو وين كنّا وناس ما كان باس !وإلّا هكّة يظهرلهم على خاطر وأكيد أنّهم يعرفوا،الدّنيا تبدّلت ياسر وخاصّة بمواقع التّواصل الإجتماعي الّي حتّى مشيكلة صغيرة تنجّم تولّي قضيّة أصلا !برّا عاد كيف يِتعلّق الأمر بالحنيّنات!النّاس تِشعل كيف الفتيلة وتولّي تحكي على خيانة مؤتمن وهات من هاك الحديث الّي نزيد نذكّركم والذّكرى ما تنفعش كان المؤمنين ما عندي فيه حتّى دخل...بخلاف أنّو عطاني فرصة باش نسيّب"ترمضينة" اليوم على الّي يعرضني الأوّل!

الدين الموازي...

بقلم : نهلة عنان

أين حشود «إلّا رسول الله» و «إلّا كتاب القرآن»...؟ هي غير معنية بما يحدث في غزّة وفي الضفة الغربية من أرض فلسطين. تظاهرات محتشمة محدودة ظهرت في البداية كموجة حسبناها تبشّر باستفاقة... مظاهرات سرعان ما انطفأت جذوتها حين تأججت النار التي تُصبّ على المظلومين هناك... وكأنّ الجماهير الثائرة وهي تخرج جماعات ترفع الصوت عاليا عندما قُصف مستشفى الشفاء قد أدّت ما عليها... وفهمنا الآن بأنّ ذلك مجرّد استعراض انفعالي لا يستند إلى مبدإ ثابت فكان من صنف تسجيل الحضور في قائمة الشعوب التي طالما قالت إنّها «مؤمنة بعدالة القضية الفلسطينية»....

لم يحرّك المجتمع الدولي ساكنا غير الاستنكار من البعض والإنكار من البعض الآخر والصمت الرهيب من قسم ثالث فكان ذلك مؤشّرا على أنّ الإسرائيلي المحتلّ والمعتدي مُنح صكّا على بياض بلا سقف لإجرامه.

سيكون من الإجحاف إنكار ما واضبت عليه لفترة بعض الجماهير العربية في الساحات وخاصّة في ملاعب الكرة من رفع الشعارات وترديد الهتافات والأغاني حول ما يحدث على مرأى ومسمع من العالم من تقتيل وتشريد وتجويع وممارسات بشعة في حقّ الذات البشرية مع الناس المدنيين العزّل في غزّة. خرجت الجماهير ولكن لم تكن حسب ما كان منتظرا أو حسب ما يفترض أن يكون. ولكننا رأينا ما يفترض أن يكون من طرف شعوب أخرى ليست عربية ولا إسلامية بمفهومنا الذي ورثناه حول العروبة والإسلام. شعوب إيرلندا وجنوب إفريقيا والمملكة المتحدة وإسبانيا وعدد من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وأمريكا اللاتينية... وحين كنّا نتابع مباشرة دويّ القنابل الحارقة وتتوافد صور الاعتقالات والتنكيل والتعذيب بكلّ الألوان شهدنا صوت العرب يخمد بل وأخزى من ذلك شهدنا من بين العرب من يتفرّج بشماتة ويجد التبريرات للإجرام غير المسبوق فدعا لممارسة الحياة بكلّ أريحية مطلقا العنان للغناء والرقص والمباهج مقابل صراخ الخائفين وبكاء المقهورين والتضوّر جوعا للمحرومين من أدنى مقومات الحياة. وهنا وقفنا لنسأل: أين الحشود التي كنّا نراها تخرج كالسيول الجارفة حين نشرت رسوم كاريكاتورية مسيئة للنبيّ الخاتم في صحيفة لم يكن أكثرنا يعرف عنها شيئا؟ أينها تلك التي ملأت الساحات العربية والإسلامية عندما أحرق المصحف الشريف؟ أين الحكومات العتيدة التي طالب القائمون عليها بقطع العلاقات مع بلد السويد الذي سمح بحرق المصحف؟

لم نر تلك الجماهير ولا سمعنا صوت تلك الحكومات تنتفض لما يحدث في الأراضي الفلسطينية بعد 7 أكتوبر 2023... بل لقد رأيناهم يزودون الظالم والمعتدي بما يُمنع عن الفلسطينيين ونقصد الأغذية الطازجة من خضر وغلال ولحوم ونحو ذلك... هي قوافل برية وجوية تؤمنها كلّ من تركيا والأردن والإمارات العربية المتحدة ولا مانع للبعض الآخر من تقديم أجوائها ممرات لعبور تلك القوافل نحو إسرائيل تفكّ عنها الحصار البحري الذي فرضه اليمنيون الشجعان صادقو الإيمان. ما أغرب ما يحدث وما أسوأ ما بلغنا من الإجرام في حقّ بعضنا البعض أوّلا كأمّة عربية أو ما روّج على أنّه يمثّل أمّة ثمّ ككتلة ضخمة من البشر يدّعون الإسلام وأخيرا كجماعات بشرية تدعي الحضارة والإنسانية.

بحثت عن جواب لسؤالي أين كلّ أولئك الذين كانوا يرغون ويزبدون ويحرقون أعلام الدول التي تسمح بالرسوم الكاريكاتورية وبتدنيس المصحف فوجدته في هذا الدين الموازي الذي تعتنقه الجماهير والذي لا علاقة له بدين الإسلام. وجدته في دين القواعد الخمس الذي خلا من قاعدة حماية المسكين وإطعام الجائع. دين طمس كلّ ما يبني العقل ويحفظ الحقوق والحريات... دين يُعلي الحاكم والفقيه ويقدّمهما راعيين لقطيع من القصّر الملتزمين بالسمع والطاعة... دين يعتمد النعيق بما ليس «المسلم»ملزما بفهمه...

كم تابعنا تلك البرامج المحسوبة على التوعية الدينية حين نرى أحدهم تصاحبه كاميرا يمسك مصدحا ويسأل المارّة: «ما هي قواعد الإسلام» ؟ ما هو مقدار زكاة الفطر؟ كم عدد ركعات صلاة العيدين ؟ ما هي أطول سورة في القرآن؟ ما هي أقصر آية في المصحف؟ ...إلخ. برامج الهدف منها تبيين حاجة المسلم لشيخ يلقنه تلك المعلومات من الدين الذي أورثناه. فهل ذاك هو دين الله الذي ينطق به القرآن أم أنّ القرآن مصدر للترديد دون العمل به في مقابل نصوص المنظومة الفقهية؟

إنّ كتاب القرآن الذي سيكون النصّ الوحيد الحجّة للناس يوم الحساب أمام الله العظيم لا يذكر للإسلام قواعدا خمسة ولن يسأل الله الناس عن صلوات الجنازة والاستسقاء والعيدين وصيغها ولن يسألهم عن أطول آية ولا أقصر سورة من المصحف بل سيسأل الله الناس عن مدى استعمال ما خوّلهم من عقل وإمكانات في إشاعة العدل وتمكين كلّ فرد وتحديدا المستضعف من حقوقه. فها هي سورة «الماعون» تثبت أنّ الذين يحرصون على الصلاة والعمرة ونحوهما أكثر من حرصهم على إطعام الجائع ومؤازرة المستضعف إنّما هم مكذّبون بالدين. لذلك لا نرى تلك الحشود الغفيرة تخرج لمطالبة حكامها بالدفع نحو رفع هذه المظلمة غير المسبوقة في تاريخ البشرية. لأنّ دينهم الذي ورثوه يتمّ من خلال قواعد خمسة لا يوجد من بينها ما يأمرهم بالانتباه لحال الجائع ومسلوب الحقوق. دين يقدّس الحجر على البشر حيث أنّ بيت المقدس أهمّ من أهله. فها هو بيت المقدس ما زال قائما لم تهدمه إسرائيل فعلام الانتفاض والنقمة على من يحكم هناك؟ ولكنّها حين لا تبقي ولا تذر من مقومات حياة الفلسطينيين شيئا فليس في قواعد إسلامنا «الخمسة» ما يدلّ على أنّ الله سيسألنا كشعوب «مسلمة» عن تفريط ما...

إنّ الدين الذي تدين به هذه الحشود أكثره مزوّر. لأنّهم رضوا باتباع منظومة فقهية ادعى الشيوخ أنّها تفسّر القرآن بينما لم يُفسّر شيء من نصوصها غير ما أمر به الحاكم الإسلامي منذ قرون... كيف لا وهي تأمر بطاعة غير مشروطة للحاكم وتغفل ما جاء في القرآن (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (وكيف لا يفرح حاكم اليوم بهذا الموروث ويقدسه أيّما تقديس وهو يجعل كلمته وأمره أنفذ وأعلى من كلام الله في القرآن؟).

هذه مرآة إسلامنا كدول وحكومات يزيد تعداد شعوبها مجتمعة على المليار نسمة مستكينون غير مبالين متخاذلون مباركون ضمنيّا إبادة جماعية لشعب يدافع عن حقّه في أرضه المسلوبة. ممتنعون عن أيّة مقاومة حقيقية بالموقف السياسي والاجتماع على كلمة سواء في إيقاف هذه المحرقة. أمّا من يقول إنّ «حماس» هي البادية بالاعتداء فنقول له: واصل الغطّ في نوم عميق كما كنت تفعل منذ 75 عاما وضع يديك لتغطية عينيك عندما تستفيق كي لا تشاهد المشاهد التي يراها كلّ العالم في كلّ مكان واستعدّ ليومك الذي ستلقى الله فيه ليحاسبك بقواعد إسلامه هو جلّ جلاله والتي أوصلها إلينا عبر القرآن وليس بقواعد إسلام منظومتك الفقهية والمكتفية بالخمسة والتي تكذّبها سورة الماعون حيث يقول الحقّ تعالى:

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾).

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

إحدى أيقونات «الثورة» التونسية... لكنها من ورق

منذر مطيبع

نقدم ضمن هذه المقال تحليل لصوة تعدّ أحد أهم ايقونات ما سُمّي «بالثورة التونسية»، وهي صورة الرجل الذي واجه قوات الأمن التونسية بواسطة خبزة يحملها بين يديه ويتخذ بها وضعية اطلاق نار على الأمنيين.

هي صورة صلاح السبيع، الذي اختارت له جهات أجنبية لقب «كابتن خبزة». وهو رجل تبدو على ملامحه مظاهر الفقر والحرمان وهو يقف بكل ثبات وقوة في وجه عدد كبير من رجال الأمن التونسي، حيث يتخذ وضعية استعداد لإطلاق النار، ولكن بواسطة خبزة عوضا عن بندقية. هذه الصورة التي لا نعرف اسم من التقطها، فقط نعرف أنها التقطت من مصور يعمل لصالح وكالة الأنباء الفرنسية يوم 18 يناير/ كانون الثاني من عام 2011. وذلك حسب مقال صدر لنغم قاسم بالمجلة الإلكترونية بي بي سي نيوز عربي بتاريخ 14 يناير/ كانون الثاني 2021، تحت عنوان «الخبز في مواجهة السلاح».

الجزء المقتطع الثالث من الصورة

الجزء المقتطع الثاني من الصورة

الجزء المقتطع الأول من الصورة

تميّزت هذه الصورة بتأثيرها الشديد على التونسي وكذلك على الرأي العام العالمي)شكل 1)، حيث غَزت مختلف أشكال شبكات التواصل الاجتماعي لقوتها التعبيرية ورمزيتها الكبيرة. فكيف لرجل مسنّ بتلك المواصفات أن يقف بكل ثقة بالنفس في وجه جيش جرار من الأمنيين الذين عُرفوا حينها بشدة بأسهم في حق المواطنين الذين كانوا يسعون بشدة لنيل الحرية ومحاربة كل أشكال الاستبداد والفقر. وكيف لم يعر رجال الأمن اهتماما لهذا الرجل الذي اتخذ وضعية هجوم عليهم خاصة أن المسافة الفاصلة بين الطرفين لا تسمح للأمنيين بالتدقيق في تفاصيل ما يحمل هذا الرجل من أدوات.

كانت هذه الصورة وغيرها من الصور والفيديوهات التي أوقدت نار التونسيين خلال فترة ما بعد 14 جانفي تثير فينا الفضول عن معرفة أصحابها ومعرفة مدى إدراكهم ما قدموا من أفعال فيها الكثير من التعبير عن الشجاعة والقوة والبطولة. وقد كانت صدمتنا كبيرة عندما عرضت احدى القنوات التلفزية التونسية حوارا مع هذا الرجل المُسن الذي بدا لنا من خلال حديثه انه غير واع بمدى أهمية ما فعل، ومدى الشجاعة التي قدّمها من أجل التصدي الرمزي لقوة الرئيس السابق بن علي، في فترة كانت مفصلية من تاريخ الشعب التونسي والعديد من الشعوب العربية الأخرى. هذه الوضعية دفعتنا للبحث في تفاصيل هذه الصورة عبر الفحص والتدقيق في مختلف مكوّناتها، خاصة بعد أن تكوّنت لدينا خبرة في مجال معالجة الصور عندما قمت بتدريس هذه المادة خلال السنوات السابقة. وقد استنتجنا أن هذه الصورة غير حقيقية ومفبركة وأنها مجرد عمل أُنجز بواسطة تقنية تلصيق وتركيب الصور، بمعنى أن جلّ مكونات هذه الصورة وخاصة منها الصورة الشخصية لصلاح السبيع صُورت بمفردها خارج حدود شارع الحبيب بورقيبة. ولتأكيد هذا الاستنتاج قمنا بوضع "زوم" حول ثلاثة أجزاء من الصورة "الأيقونة" لتظهر لنا العديد من المؤيدات التي توكد هذا الاستنتاج.

الجزء المقتطع الأول من الصورة

وهو الجزء الذي تم التركيز فيه على الأطراف السفلية لصلاح السبيع، حيث نلاحظ وجود ضلال تحت مستوى الساق اليمنى للرجل. وهو ما يعني أن هذه الساق مرتفعة فوق مستوى الأرض، وهذه وضعية غير مريحة بالنسبة لرجل مسن، بل ومستحيلة خاصة أمام الأريحية التي بدا عليها من خلال السيجارة التي يدخّنها بكل هدوء ويسر وهو يواجه جيشا جرارا من الأمنيين مثلما تبيّن ذلك الصورة الرئيسية.

كما نلاحظ وجود ضبابية في مستوى الحذاء الأيمن على خلاف الجوارب التي بدت أكثر وضوحا، إضافة إلى وجود الجزء الأمامي من حذاء الرجل خارج إطار الصورة (اقتطاع الصورة في مستوى نصف الحذاء). وهذا يعدّ خطأ تقنيا بالنسبة لمصور محترف. وهو ما يعني أنّ الهدف من اللجوء إلى مثل هذه الحلول هو تلافي المشاكل التقنية عند تركيب الصورة.

الجزء المقتطع الثاني من الصورة

في الوقت الذي تظهر فيه الظلال جلية تحت الساق اليمنى لصلاح السبيع مثلما ذكرنا ذلك سلفا، تغيب هذه الظلال عن الأشجار الموجودة في المستويين الأول والثاني من الجزء المقتطع الثاني من الصورة. ومقابل ذلك تظهر الضلال الخاصة بالشرطي الموجود في أقصى اليمين واضحة وجلية. وتتجه هذه الظلال نحو يمين الصورة. كما يمكن ملاحظة غياب الظلال بالنسبة للشرطي الموجود في وسط الصورة، مقابل حضور صغير تحت مستوى قدمه اليسرى.

الجزء الثالث المقتطع من الصورة

عند التركيز على أقدام رجال الأمن الموجودة في الجزء الثالث المقتطع من الصورة، تظهر مجموعة من "البيكسالات" تحيط بأقدام الشرطي الموجود على يسار الصورة. ومقابل ذلك تغيب هذه البيكسالات على مستوى أرجل الشرطي الموجود على اليمين، وهو الشرطي الذي احتفظ بظلاله كما أوردنا ذلك سلفا. وهو ما يعني أن الذي اشتغل على الصورة قام بإحداث تغييرات على مستوى الظلال الخاصة بالشرطي الموجود على اليسار لإزالة الشكوك حول مصداقية الصورة. بذلك يمكن القول إن هذه الصورة هي عبارة عن تجميع لمجموعة من العناصر المنفصلة داخل إطار واحد، وخاصة منها صورة صلاح السبيع التي نُرجّح انها صوُرت في مكان آمن بعيد عن شارع الحبيب بورقيبة.

كل هذه المعطيات والملاحظات تحيل إلى الاستنتاج بأن هذه الصورة حُبكت داخل غرف مظلمة، وأنه تم تركيبها باستعمال التقنيات الحديثة من قبيل برمجيّة الفوتوشوب، وهو ما يبرّر عدم إفصاح صانع هذه الصورة عن هويته، أو بتحديد ملتقط هذه الصورة كما توهّمنا. والحال أن صورة من هذا القبيل إن كانت حقيقية، تجعل من ملتقطها رمزا كبيرا من رموز عالم التصوير الصحفي، لما تعكس من شجاعة وحرفية كبيرتين، لأن المصور يدخل ضمن دائرة الخطر نظرا لتواجده القريب من صلاح السبيع، أي من رجال الأمن الذين كانوا خلال تلك الفترة على درجة كبيرة من العصبية والعدوانية.

وهو ما يؤكد أن الهدف من هذه الصورة ليس نقل الحدث "الرائع" كما توهّم التونسيون والغيورون على هذا الوطن ذلك بل كان هدف من قام بصنع هذه الصورة وهو أحد العاملين لحساب وكالة الأنباء الفرنسية، تأجيج الفتن ورفض العودة إلى الاستقرار الذي كانت البلاد تحتاجه خلال تلك الفترة المفصلية من تاريخ تونس. والغريب في الأمر أن لا احد من القامات العملاقة التي تزخر بها هذه البلاد في مجال التكنولوجيات الرقمية والذكاء الاصطناعي وانتاج ومعالجة الصور الرقمية، لم يفكر في التدقيق في الكم الهائل من الصور «الأيقونة»، والتي من شأنها أن تعطينا صورة أكثر وضوحا عما حصل ولا يزال بالبلاد التونسية، سواء كسلطة سياسية أو كأفراد في تحليل الكم الهائل من الصور الذي سُلط على البلاد والعباد خلال فترة ما سُمي «بالربيع العربي». وهو اجراء كثيرا ما نسمع عنه في وسائل الاعلام العالمية التي غالبا ما ترفق تعاليقها حول مختلف الصور المريبة بضرورة التحقق من مصداقيتها. هذه الصورة التي تخفي وراءها العديد من الصور الأخرى تفرض مزيد التدقيق في مختلف الصور والفيديوهات الأخرى، وذلك لمعرفة حقيقة ما حصل في تونس وكيف كان للأجنبي دور كبير في توجيه الرأي العام بالبلاد. فهل يعقل أن نكون على درجة كبيرة من الغباء وأن نصدق كل ما يحاك وينشر بما يسمح للأجنبي بمواصلة ألاعيبه؟

GEELY
SOTUDIS
GX3 PRO
DRIVE FOR A BETTER LIFE
GX3PRO
VISITEZ NOTRE SITE WEB
WWW.GEELY-TUNISIE.COM
DISPONIBLE DANS NOS SHOWROOMS
TUNIS | SOUSSE | SFAX | GABES
APPELEZ-NOUS AU
70 131 000
SUIVEZ-NOUS

رسالة تعاطف وتضامن مع الشعب الروسي الصديق

إننا الممضين أسفله من ممثلي منظمات المجتمع المدني والنشطاء السياسيين ورجال الفن والثقافة والشخصيات الوطنية:

1- ندين بأشد العبارات الهجوم الإرهابي الدموي والوحشي الذي استهدف مواطنين أبرياء في مركز تجاري بضواحي مدينة موسكو وأوقع العشرات من الضحايا بين قتيل وجريح.

2- نتقدم بأحر التعازي لعائلات القتلى وبتمنياتنا بالشفاء العاجل للجرحى.

3- نعرب عن تعاطفنا العميق مع عائلات ضحايا هذه العملية الإرهابية الشنيعة وتضامننا الكامل مع الشعب الروسي الصديق في هذه الفاجعة وإننا على يقين من انه سيتمكن من تجاوزها بشجاعة في أسرع الأوقات:

-الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان
-النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين
-ائتلاف صمود
-المرصد الوطني للدفاع عن مدنية الدولة
-الجمعية التونسية من اجل الحقوق والحريات
-الجمعية التونسية للدفاع عن القيم الجامعية
-منتدى التجديد
-جمعية بارسبكتيف
-الجمعية التونسية لخريجي الجامعات والمعاهد الروسية
-سلمى بكار منتجة ومخرجة سينمائية مناضلة سياسية ونائبة سابقة بالمجلس التأسيسي
-بلقاسم صابري طبيب الصحة العمومية
-الحبيب بلهادي منتج مسرحي وسينمائي
-لطيفة لخضر أستاذة جامعية ووزيرة سابقة
-رابعة عبد الكافي أستاذة جامعية
-محمد الصالح بن عمار أستاذ جامعي في الطب و وزير سابق
-حبيب مرسيط أستاذ جامعي مناضل سياسي وجمعياتي
-هاشمي بن فرج مناضل سياسي وجمعياتي
-هشام سكيك أستاذ جامعي مناضل سياسي وجمعياتي
-حبيب قزدغلي أستاذ جامعي ومناضل سياسي وجمعياتي
-رضا الباهي منتج ومخرج سينمائي
-عبد الواحد العباسي طبيب ومناضل سياسي وجمعياتي
-عبد الكريم زمزاري طبيب ومناضل سياسي وجمعياتي
-يسرى فراوس محامية مناضلة نسوية
-حفيظة شقير أستاذة جامعية ومناضلة نسوية
-محمد علي الحلواني أستاذ جامعي ومناضل سياسي
-بشيرة حلواني مناضلة سياسية
-محمد لخضر أستاذ جامعي ومناضل سياسي
-راضية وزيني أستاذة ومناضلة سياسية ونسوية
-أمين محفوظ أستاذ جامعي
-نجيب شاشية أستاذ جامعي في الطب
-صالح المناعي أستاذ مناضل سياسي ونقابي
-فوزي العيادي مهندس ومناضل سياسي وجمعياتي
-محمد الحبيب العوني مهندس ومناضل سياسي وجمعياتي
-الهادي بن صالح مهندس ومناضل سياسي وجمعياتي
-عبد الجليل القروي أستاذ جامعي

-نجاة ليمام الطنني أستاذة جامعية
-سارة عبد المقصود صحافية
-كمال الجندوبي مناضل سياسي وجمعياتي وزير سابق
-أمينة بالطيب أستاذة ورسامة
-الهادي كريم أستاذ جامعي
-محمد الصالح فليس مناضل جمعياتي وسياسي
-حاتم بن ميلاد منتج سينمائي
-مجيد الجلولي أستاذ جامعي وناقد سينمائي
-توفيق كركر أستاذ جامعي ناشط سياسي وجمعياتي
-رجاء بن سلامة أستاذة جامعية
-أمال قرامي أستاذة جامعية وصحافية
-الحبيب ملاخ أستاذ جامعي ومناضل سياسي وجمعياتي
-سامي العوادي أستاذ جامعي ومناضل نقابي
-لطفي الحمر وني مناضل نقابي
-سمير الطيب أستاذ جامعي و وزير سابق
-فتحية السعيدي أستاذة جامعية
-نعمان الفهري أستاذ جامعي
-منية بن جميع أستاذة جامعية ومناضلة نسوية
-ام كلثوم بن حسين أستاذة جامعية وناشطة جمعياتية
-كاهنة عباس محامية وناشطة جمعياتية
-امنة بنور أستاذة
-كلثوم تومي أستاذة
-ليلى حمروني أستاذة مناضلة سياسية وعضو مجلس نواب الشعب سابقا
-زينب بن سعيد الشارني أستاذة جامعية متميزة ومناضلة سياسية وجمعياتية
-سعاد التريكي أستاذة جامعية ومناضلة سياسية ونسوية
-سليم بن عرفة أستاذ ومناضل سياسي وجمعياتي
-سيدة رجب حمدي أستاذة ومناضلة سياسية وجمعياتية
-عبد العزيز المسعودي طبيب اسنان ناشط سياسي وجمعياتي
-نجم الدين القزدغلي أستاذ جامعي وناشط سياسي و جمعياتي
-محمد لخضر اللالة ناشط سياسي وجمعياتي
-طارق الشعبوني رجل اعمال مناضل سياسي وجمعياتي
-بسام الطريفي محامي رئيس الرابطة التونسية لحقوق الانسان
-زياد دبار رئيس النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين
-منصف الهرابي مهندس وناشط جمعياتي
-عزة غانمي مناضلة سياسية ونسوية
-محمد السافي أستاذ جامعي متميز مناضل حقوق الإنسان

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

سيدي بوسعيد

احتلت مدينة سيدي بوسعيد المرتبة الثالثة عالميا ضمن قائمة القرى الاكثر جمالا وفق احصاءات نشرها موقع "SEASIA STAT" المتخصص في الأسفار وبذلك تكون المدينة الساحلية التي تبعد عن وسط العاصمة نحو 20 كلم الوحيدة عربيا وافريقيا في مجموعة القرى المتفردة ببهائها عالميا.

اختيار سيدي بوسعيد التي تعتبر لؤلؤة سياحية تجمع بين زرقة البحر وخضرة الغابات الممتدة على طول الجبل المحيط بها وبياض منازلها العتيقة وثراء تراثها اللامادي لم يأت بمحض الصدفة. فالمدينة المطلة على قرطاج تحظى بصيت عالمي حوّلها الى قبلة للسياح من مختلف الأصقاع وكان لها السبق في إدراجها كأول منطقة بالعالم في قائمة التراث المحمي.

المدينة ليست مجرد وجهة سياحية فريدة بل هي أيضا معلما ثقافيا يزخر بأروقته الفنية وبفنه المعماري المبثوث في الأزقة الضيقة والنقوش والزخارف البديعة والمباني العربية اضافة الى مهرجاناتها الصوفية التي ارتبط اسمها باسم الولي الصالح سيدي بوسعيد الباجي.

ثراء ثقافي وجمال ساهما في احتلال المدينة مراكز متقدمة ضمن القرى الأكثر جمالا على غرار ترتيب موقع Time Out الذي صنّفها في أوت 2023 في قائمة أفضل 20 قرية في العالم. ومع أن ذلك سمح بادراجها في ركن حسن فإنه لا يخفي حاجة هذا المعلم الحضاري الضارب في التاريخ الى التعهد والصيانة حتى لا يخفت بريقه.

رديء

اتحاد الشغل بسيدي بوزيد

الاوضاع في الاتحاد الجهوي للشغل بسيدي بوزيد خلال الفترة الاخيرة ليست على ما يرام. فمقر النقابة الجهوية بات مسرحا للشد والجذب وحتى الاعتداء بالعنف. فقد أفادت النقابة الجهوية لموظفي التربية بسيدي بوزيد يوم الخميس الماضي بتعرض كاتبها العام سليم الطاهري للتعنيف على أيدي أعضاء بالاتحاد الجهوي للشغل مشيرة الى انه تم نقله الى المستشفى الجهوي.

أزمة داخلية يعيش على وقعها الاتحاد الجهوي منذ فترة عجز معها اعضاء المكتب الجهوي عن حل خلافاتهم بالحوار فحل تبادل الاتهامات محل النقاش الرصين وشقت صراعات الاجنحة صفوف قياداته يفترض ان تعطي المثال في حسن التفاوض وإدارة الخلافات.

نكسة جهوية غاب فيها صوت الحكمة مما حدا بالهيئة الجهوية لموظفي التربية بسيدي بوزيد الى اصدار بيان للتعبير عن تأزم الوضع النقابي على المستويين الوطني والجهوي بسبب ما اسمتها ممارسات غير مسؤولة للقيادة النقابية المركزية والجهوية خاصة بعد تجميد سليم الطاهري عضو المكتب الجهوي للاتحاد.

المتأمل في ما يجري صلب الاتحاد الجهوي للشغل بسيدي بوزيد قد لا يستغرب من ارتفاع منسوب التشنج بل هناك من يعتبر ان ما آلت اليه الامور داخل المكتب الجهوي هو حصيلة منتظرة لسيطرة شق بعينه على النشاط النقابي بالجهة لفترة طويلة مقابل قطع الطريق امام اية أصوات مخالفة في الرأي والتوجه والانتماء بما يتعارض مع هوية الاتحاد التاريخية القائمة على التنوع والاختلاف مع حسن ادارتهما.

صورة تتحدث

من جنازة جاد الهنشيري بمسقط رأسه أم العرايس في جنازة مهيبة... كاينو ما حضر حد من الدولة؟
ربي يرحمك يا جاد الطبيب الشاب اكثر المدافعين عن الصحة العمومية

قالوا

سهام البوغديري نمصية

تونس ابرمت عدة اتفاقيات مقر مع اطراف سواء كان ذلك في اطار اتفاقيات متعددة الاطراف او في اطار ثنائي ... اذن المسألة ليست بجديدة على تونس ونحن لنا عدة اتفاقيات مقر مشابهة لمشروع قانون حول مقر لصندوق التنمية القطري وما تضمنته الاتفاقية المعروضة عليكم من الامتيازات لا يفوق باي حال من الاحوال الامتيازات التي تم اسنادها سابقا لوكالات تنمية اجنبية أخرى ... ولتونس الكثير من اتفاقيات المقر سارية المفعول وبها امتيازات تفوق حتى ما هو موجود في الاتفاقية المعروضة عليكم.

رابح الخرايفي

من الجانب القانوني يشير اسقاط اتفاقية المقر لصندوق قطر للتنمية الى ان النواب لم يميزوا بين اتفاقيات التعاون بين دولة قطر وبين اتفاقيات المقر. فمثل هذه الاتفاقيات ليست بدعة في القانون التونسي وهناك العديد من الاتفاقيات المماثلة ولا خطر فيها على مسألة السيادة وهذا في الحقيقة يدل على جهل النواب بالاعراف الديبلوماسية وعلى جهل بالقانون الدولي وقد رايت هذا التصويت غريبا من الناحية القانونية خاصة ان جهة المبادرة هي رئاسة الجمهورية وأن النواب الذين صوتوا على اسقاط المشروع هم من المحسوبين على المسار (مسار 25 جويلية) والنواب الذين صوتوا لفائدة المشروع من المحسوبين على "المعارضة" وهذا دليل كذلك على انه ليس هناك تنسيق بين رئاسة الجمهورية والحكومة ومع مجلس نواب الشعب.

محمد المسيليني

في جملة اقول ان الدولة لا تدار بالشعبوية وبالتشهير ...الدولة تدار بنواميس معينة ولتدخلات الوالي صلاحيات ومجالات حددها القانون...وفي تقديري فإن مصالح وزارة المالية لا تتبع مجال تدخله وثانيا هناك اساليب اخرى لتغيير الاوضاع وليس بالضرورة من خلال التشهير بالناس وهذا لا يعني انه لا وجود لتسيب وعدم الالتزام بالوقت ولكن المسألة عامة ومن المفروض ان تكون المعالجة شاملة.. اعتقد ان حبل اسلوب التشهير والشعوبية والافراط في استبلاه الناس قصير ولا يؤدي الى نتيجة... دور الوالي والمسؤول في البلاد ليس التشهير بالناس بل التّدخّل لمعالجة المسائل بعيدًا عن عدسات الكاميراوات.. واقع الشعب التونسي لا يمكن تغييره بمثل هذه الزيارات بل بمعالجة شاملة تتضمن رؤى .

المحامي محمد جمور

قضية اغتيال الشهيد شكري بلعيد تتعلق بالدائرة او بالحلقة التي نفذت عملية الاغتيال أي الحلقة قبل الأخيرة من الأطراف التي ساهمت بالتخطيط وبالقرار وبالإعداد وبالتنفيذ والتستر على جريمة الاغتيال... هذا الملف لا يتعلق الا بحلقة واحدة ستتلوها حلقات أخرى وهناك ملف سينشر عما قريب امام نفس الدائرة ويتعلق بما يعرف بقضية فتحي دمق وهناك ملف الغرفة السوداء والجهاز السري كل هذه الملفات هي اجزاء من ملف كامل .. نحن اذن في مرحلة اولى من مراحل هذه القضية المتشعبة والشائكة وهي المرحلة الاولى في ملف لان هذا الحكم ابتدائي قد يُستأنف ومن المتوقع ان يصل الى محكمة التعقيب .

سامي المكي

تمّ تقديم مطلب رخصة للبنك المركزي حول مشروع إحداث بنك بريدي منذ أواخر سنة 2019 وقع إعداده بالاستعانة بمكاتب خبرة ليكون مستوفيا للشروط المطلوبة... البنك المركزي طلب في ردّه مراجعة المنوال الاقتصادي لكي يتماشى مع توجهات البنك وقد تم تكوين لجنة في الغرض من أجل تجاوز العراقيل التي تمثلت أساسا في الشكل القانوني الذي يتطلّب إحداث البنك في شكل شركة خفية الإسم وكذلك في طلب إحالة كل خدماته المالية إلى البنك المركزي وتمّ تقديم ملف ثان للسلط المعنية ولم يتلق البريد ردا إلى حد الآن...

الجنرال هارالد كوجات

جنرال ألماني (2):

يجب أن يكون واضحا للغرب أن هزم روسيا وهْم

ترجمة : الحبيب القيزاني

بعدما تساءل في الحلقة الماضية عما اذا كان هناك حلّ سياسي للحرب الدائرة بأوكرانيا وتأكيده على وجوب أن يكون هناك حل سياسي رغم تواصل المعارك قال الجنرال الألماني هارالد كوجات : "هذا يقودنا الى مقاربة مزدوجة : من جهة ضرورة وجود قدرات دفاعية تضمن حماية البلاد ومن جهة أخرى وجوب بذل جهود للتوصل الى سلم عبر المفاوضات ووضع حدّ للحرب. فلما يتم وضع السياسة والدبلوماسية في التسلّل مثلما هو الشأن في هذه الحرب، تصبح الحرب حسب تعريف كلاوزفيتز فعلا عنيفا لا حدود له يفرض معه كل عدوّ قوانينه على الآخر. وينتج عن ذلك تشابك يقود الى أقصى حالات التطرف وهو ما نسميه اليوم تصعيدا وهذا تحديدا ما رأيناه منذ بداية هذه الحرب. ولا يمكن للوضعين الجغراستراتيجيين لروسيا ولأمريكا، الفاعلين الرئيسيين في هذه الحرب أن يكونا متعارضين أكثر ممّا هما عليه. فالولايات المتحدة محمية بمحيطين وتحدّها دولة حليفة من الشمال وأخرى صديقة من الجنوب زيادة على أنه لا تأثير جغراستراتيجي لعاملي المساحة والزمن على هذه البلاد التي لا يمكن مهاجمتها بوسائل تقليدية لأنها قوة جوية وبحرية عظمى.

أمّا روسيا فنتيجة ترامي أطراف مساحتها الجغرافية وإحاطة عدة دول ومناطق بها تعيش أزمات فتمثل المساحة والزمن أهمية وجودية بالنسبة لها. كما لا يجب أن ننسى أن روسيا تطمح بشكل خاص لأسباب تاريخية الى التمتّع بحماية عسكرية استثنائية. ولديّ انطباع بأن روسيا لا هي جاهزة للتخلي عن تاريخها ولا هي قادرة على الافلات من الوضعية الجغراستراتيجية التي هي فيها. وقد حدث المنعرج الجغراستراتيجي في العلاقة بين الولايات المتحدة وروسيا سنة 2002 لمّا تنكرت واشنطن لاتفاق 1972 حول منظومات الدفاع المضادة للصواريخ الاستراتيجية والذي كان هاما جدا بالنسبة للتوازن النووي الاستراتيجي بين هذين القوتين العظميين. وقد تم في نفس الوقت تركيز منظومة دفاع مضادة للصواريخ بأوروبا رأت فيها روسيا تهديدا للتوازن النووي الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الامريكية. وفي عام 2019 نقضت الولايات المتحدة معاهدة الصواريخ النووية متوسطة المدى التي كانت مهمة جدا لأمن أوروبا. وفي الحقيقة قدمت واشنطن بإقدامها على هذه الخطوة فرصة لروسيا حتى تقوم بشكل مشروع ومطابق للاتفاق بتطوير ترسانة نووية استراتيجية جديدة موجهة ضد الدول الأوروبية. وبعد مرور عام تنكرت واشنطن من طرف واحد لاتفاق السماوات المفتوحة. وقد كان هذا الاتفاق هاما جدا لأنه كان يسمح بإجراء تفتيشات ثنائية ويضمن شفافية وتوقعات أي عمل عسكري، غير أنه تم في عام 2021 التمديد في معاهدة نظام الأسلحة الاستراتيجية العابرة للقارات المعروفة باسم "معاهدة ستارت" بـ 5 سنوات وذلك باتفاق الطرفين. بل وتم اجراء مفاوضات بين الجانبين خلال الحرب الدائرة بأوكرانيا قبل أن تقاطعها روسيا بسبب الدعم الكثيف الذي تقدمه الولايات المتحدة لأوكرانيا.

وقد مثلت قمة الحلف الأطلسي التي انعقدت سنة 2008 ببوخارست منعرجا في السياسة الأمنية اذ حاول خلالها الرئيس بوش عبر ضغوطات شديدة تأمين انخراط جورجيا وأوكرانيا في الحلف الأطلسي. ولمّا فشلت مساعيه – وكعادته – أدرج المعسكر الغربي، لحفظ ماء الوجه في البيان الختامي للقمة المذكورة إشارة مبهمة حول انضمام البلدين الى الناتو في المستقبل. وكان مدير الـ "سي. أي. ايه" الحالي ويليام بيرنز يشغل آنذاك خطة سفير لأمريكا بموسكو وسبق له أن حذّر حكومة بلاده في رسالة عاجلة من التداعيات الاستراتيجية لنوايا بلاده في أوروبا الشرقية وشدّد بيرنز في رسالته على أنه لا يمكن التكهن بتداعيات زحف الناتو نحو الحدود الروسية وعلى أنه سيخلق تربة خصبة لتدخّل روسي في شبه جزيرة القرم وبشرق أوكرانيا وعلى أن ردّ بوتين سيكون بلا أي شك صارما.

لكن المنعرج الحقيقي كان الانقلاب الذي دبّرته الولايات المتحدة في فيفري 2014 بكييف. انقلاب فتح الباب لحرب أهلية بالدونباس ولرفض حق الأقليات بالنسبة للمواطنين الأوكران من أصل روسي.

ومثلما هو معروف تم الاتفاق في مفاوضات مينسك بحضور المستشارة الألمانية آنذاك ميركل والرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند على أن تنقح أوكرانيا دستورها قبل نهاية عام 2015 في اتجاه منح الأقليات الروسية الناطقة باللغة الأوكرانية نفس الحقوق التي يتمتع بها المواطنون الاوكران.

في الولايات المتحدة، يعتقد الكثيرون أنه كان بالإمكان تجنب الحرب وأن ذلك كان ممكنا لو تمت مناقشة انخراط أوكرانيا في الحلف الأطلسي بشكل جدّي مع منح حكم ذاتي أوسع للسكان من أصل روسي. كما كان بالإمكان انتهاء الحرب بعد مرور 6 أسابيع على اندلاعها وذلك خلال مفاوضات إسطنبول التي أجريت مع نهاية مارس 2022 اذ كانت أوكرانيا وروسيا قد توصّلتا خلال المفاوضات الى نتائج مقبولة من الطرفين وتم الاتفاق أساسا على تراجع أوكرانيا عن نية الانضمام للحلف الأطلسي وتبني وضعا محايدا وذلك مقابل عودة القوات الروسية الى المواقع التي كانت بها قبل اندلاع الحرب أي الى مواقع 23 فيفري 2022. لكن أوكرانيا لم توقع على هذا الاتفاق نتيجة ضغط

رئيس الوزراء البريطاني الأسبق بوريس جونسون مع زيلنسكي في كييف واتفاق على رفض السلام ومواصلة الحرب

الغرب. ومع بداية العام الثالث لهذه الحرب بات واضحا ان مصير أوكرانيا قد يتحدّد خلال الأسابيع او الأشهر القليلة المقبلة وأن مستقبل البلاد أضحى بين ايدي الدول الغربية خاصة أنها في أمسّ الحاجة للمال وللتجهيزات العسكرية والذخيرة وأنها تشكو خصوصا من نقص في عدد الجنود.

وقد صرح زيلنسكي بأن بلاده باتت رهينة المساعدات المالية الغربية التي قال انها تمثل نصف ميزانية الدولة وأنه إذا تم قطعها خسرت بلاده الحرب... اليوم كل تأخير عن صرف مساعدات مالية لنظام كييف أو قطعها يمكن أن يؤدي الى تصنيف أوكرانيا كدولة عاجزة عن الايفاء بديونها والحقيقة انه طالما ساهمت أوكرانيا بشكل كبير في وجود هذه المشاكل المالية بسبب تفشي الفساد وطالما طالت الحرب ستكون البلاد رهينة الدعم العسكري الكامل من الغرب. ولكن وحتى بعد مرور عدة سنوات على إعادة اعمار البلاد وتسجيل انتعاشة اقتصادية بها ستظل أوكرانيا في حاجة لمن يقف الى جانبها خصوصا من طرف الأوروبيين. وقد تزعم المستشار الألماني منذ مدة قائمة الدول التي ستمكن أوكرانيا من مواصلة الحرب طيلة المدة التي تراها ضرورية لذلك. ويبدو ان المستشار الألماني لعب دورا محوريا حتى توافق دول الاتحاد الأوروبي بما في ذلك المجر على محفظة دعم مالي ثابت لأوكرانيا.

لكن سيتم توزيع مبالغ هذه المحفظة التي تفوق قيمتها 50 مليار أورو على سنوات 2024 و2025 و2026 و2027. وهذا المبلغ لا يمثل شيئا كبيرا مقارنة بالـ 60 مليار أورو التي خصصتها الولايات المتحدة لأوكرانيا لأنه لا يغطي حاجات البلاد المالية للمحافظة على الوظائف الحكومية ولا كلفة حاجاتها العسكرية.

ومع ذلك يبدو أنه سيكون على الأوروبيين تعويض الولايات المتحدة اذا توقفت هذه الأخيرة عن احتلال المركز الأول في قائمة البلدان التي تدعم أوكرانيا بالعتاد العسكري. وهذا احتمال قائم اذا رفض الكونغرس الموافقة على تخصيص مزيد من الإعانات المالية أو مواصلة دعم أوكرانيا وذلك في صورة تغيّر الحكومة. ويجري حاليا دراسة حلول تعويضية، مثال ذلك قيام اليابان وكوريا الجنوبية اللذين يمنعهما دستورهما من بيع أسلحة الى دول بينها نزاعات عسكرية بتسليم أسلحة الى الولايات المتحدة لنقلها الى أوكرانيا.

وهناك خيار آخر يتمثل في دفع الدول الأوروبية فاتورة الأسلحة الامريكية الموجهة الى أوكرانيا، ومن المنتظر ان يتسلم الحلف الأطلسي مهام التنسيق الأمريكي الدائر بقاعدة رامشتاين الألمانية وكل هذا يعني أن "أوربة" هذه الحرب شهدت قفزة كبرى الى الامام. غير ان الولايات المتحدة لا توفر الدعم المالي والسلاح فحسب وانما تساهم أيضا بشكل له مغزى في تكوين الجنود الاوكران وتوفير معطيات استخباراتية في الوقت المناسب لاستهداف القوات الروسية الى جانب دورها المحوري في التخطيط للعمليات العسكرية.

كل هذه العمليات تدار من مقر قيادة عامة خاص بأوكرانيا مركزه بألمانيا. من جهة أخرى تظل إرادة مواصلة الحرب ودعم أوكرانيا ماليا لشراء الأسلحة والذخيرة بلا أي تغيير بل انه من غير المستبعد توسيع العمليات العسكرية الي داخل الأراضي الروسية مثلما نادى بذلك أحد رجال السياسة بألمانيا الذي سبق له أن قال ان الغرب يحارب الى جانب أوكرانيا لأن الأمر يتعلق بوجود ميليشيات في منطقة الدونباس الشيء الذي لا أعتقد أنه يمثل تهديدا له وزن رغم أن ذلك يمثل سببا كافيا للقتال الي جانب أوكرانيا.

انه من الوهم ان نقول انه ليس هناك حاليا غلبة لأحد الطرفين في ساحات المعارك. فقد فقدت القوات الأوكرانية بشكل كبير القدرة على شن حرب برية واسعة النطاق بعد الهجوم المضاد الفاشل الذي طبّلت له وسائل الاعلام الغربية طويلا قبل بدئه. وما يلزم القوات الأوكرانية اليوم هو اثبات قدرتها على شن هجومات داخل الأراضي الروسية.

لقد دفعت وضعية أوكرانيا الحرجة الولايات المتحدة الى تطوير استراتيجية جديدة وبات على القوات الأوكرانية أن تتبنى حاليا طريقة دفاع استراتيجية شبيهة بتلك التي اتبعها الروس السنة الفارطة والهدف هو الحفاظ على أقصى ما يمكن من الأراضي تحت سيطرتها المحكمة مع وجوب الحدّ من الخسائر المرتفعة جدا في الأرواح. وتتشكل الاستراتيجية الأمريكية الجديدة من 4 مراحل : القتال، البناء، الاسترجاع والإصلاح. ويحاول الامريكان حاليا اقناع الرئيس زيلنسكي بتبنّي هذه الاستراتيجية وخاصة

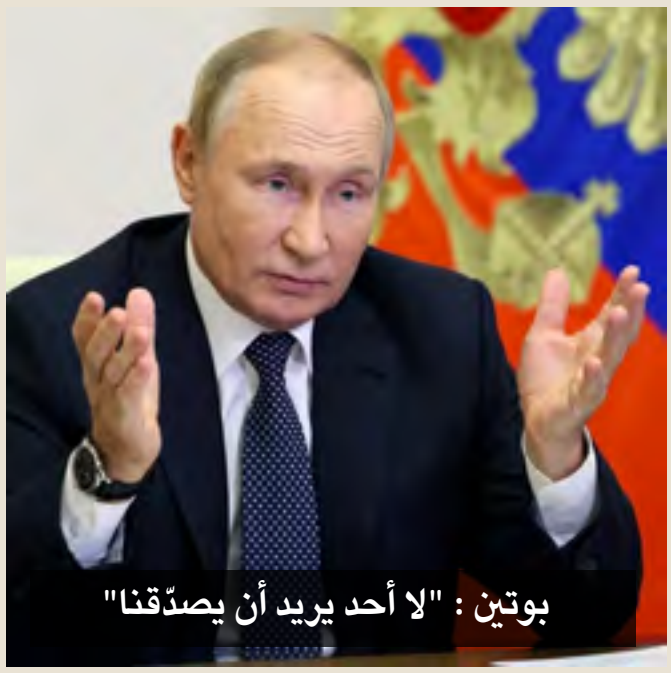
بوتين : "لا أحد يريد أن يصدّقنا"

افهامه ان جيش بلاده سيملك بعد مرور 10 سنوات قوة قتال كبيرة وعنصر ردع عال. ومن المبرمج أن تصبح قوة الجيش الاوكراني قبل نهاية هذا العالم أكبر بكثير ممّا هي عليه اليوم وهذا يعني انه على الرئيس الاوكراني التخلي عن استعادة كل الأراضي التي احتلتها روسيا بما في ذلك شبه جزيرة القرم لأنه يجب تجميد الحدود الحالية. هذه الاستراتيجية التي من المبرمج تطبيقها على امتداد 10 سنوات تنصّ على التزام الحلفاء بدعم أوكرانيا عسكريا واقتصاديا حتى لا يتم التراجع عن هذا الدعم في صورة وصول ترامب الى البيت الأبيض.

كما يهدف هذا الالتزام الى منع تغيير السياسة إزاء أوكرانيا بوصول حكومات ذات انتماء مخالف لانتماءات الحكومات الحالية. وقد أمضت بريطانيا اتفاقا مع كييف في هذا الاتجاه في حين عبرت المانيا عن استعدادها للمشاركة في إنجاح هذه الاستراتيجية لدعم أوكرانيا طيلة 10 سنوات، واذا نسجت كل دول الحلف الأطلسي على هذا المنوال فإن ذلك سيعني في النهاية دخول أوكرانيا الحلف الأطلسي من الباب الخلفي على الأقل في ما يتعلق بالدفاع المشترك حسب الفصل 5 من معاهدة دول الحلف الأطلسي. ولهذا السبب هناك تفكير في الولايات المتحدة لانشاء آلية شبيهة بالفصل 4 الذي ينص على تشاور الدول الأعضاء بالناتو عند تعرض وحدة أراضي او الاستقلالية السياسية او أمن أحد اعضاد الحلف الى الخطر (...) لمّا أعلن جالوسني وزير الدفاع الاوكراني مع بداية نوفمبر 2023 عن فشل الهجوم المضاد خالف كل تصريحات رئيسه الذي حرص دائما على الترويج الى ان وضع قوات بلاده في جبهات القتال جيّد الشيء الذي يتعارض مع الحقائق التي وقفت عليها الأقمار الاصطناعية الامريكية التي تراقب مسار الحرب. وقد تمت اقالة جالوسني في مرحلة حساسة جدا من مسار الحرب وثبت أن خيارات زيلنسكي كانت خاطئة.

بعد فشل الهجوم المضاد كبر الخوف في الدول الأوروبية اذ بات الجميع يتخوف من أن يكون الهدف الاستراتيجي لروسيا هو غزو كل أوكرانيا ثم الالتفات لمهاجمة دول بحر البلطيق وبولونيا والدخول في حرب مع الحلف الأطلسي.

وقد وصفت صحيفة "والتم سنتاغ" الألمانية السيناريو بتفاصيل ضافية. وتقول الصحيفة إن الهجوم على أوكرانيا يمثل جزءا من استراتيجية تحقيق حلم امبراطوري على المدى البعيد يتمثل في استعادة مناطق نفوذ الاتحاد السوفياتي. فمنذ ميل ميزان القوى على الأراض لصالح روسيا يروج من يزعمون أنهم خبراء في الحرب هستيريا وقوع حرب كبرى في أوروبا ولست أدري ان كان ذلك ناتجا عن جهل أو عن رؤية أيديولوجية ضيقة أو عن غرور ودعني أقول بوضوح إن غاية كل الذين توقعوا انتصار أوكرانيا كان حشد أكبر قدر من الدعم لكييف وهؤلاء يؤكدون أن هزيمة أوكرانيا لن تشفي غليل تعطش روسيا للهيمنة وأنها تبعا لذلك لن تتردد في مهاجمة دول الحلف الأطلسي. وهكذا قد تجد المانيا وأوروبا نفسيهما أمام عشرية مواجهة مع روسيا. وتجدر الملاحظة أن رجال السياسة يبرّرون طلب الترفيع ترفيعا وازنا في ميزانيات الدفاع بفرضية نشوب حرب اثر عدوان روسي طالما روّجوا الى أنه وشيك. وعلى امتداد أكثر من عقد قبل القادة السياسيون بألمانيا خرق دستور 2011 الذي كرّس إعادة انحياز المانيا الموحدة الى الغرب.

وحتى أكون واضحا أقول اننا لسنا بحاجة الى رواية خطيرة عن حرب قادمة لتبرير جاهزية وقدرة الجيش الألماني على الدفاع عن البلد اذ يكفي تطبيق الدستور. لذلك يبقى السؤال حول ما اذا كانت هناك براهين مقنعة على أن روسيا ستكون في ظرف أعوام لا قادرة على مهاجمة الحلف الأطلسي فحسب وانما أيضا الاستعداد للقيام بذلك لأن لها نية القيام بذلك. فقد نفى بوتين الاتهامات الموجهة اليه لاستعادة مجد الإمبراطورية الروسية وقال حرفيا في هذا الصدد : "لا أحد يريد تصديقنا... لا أحد يريد الايمان بأننا لا نسعى الى استعادة نفوذ الاتحاد السوفياتي" قبل أن يضيف : "لا قلب لمن لا يتأسف على انهيار الاتحاد السوفياتي ولا عقل لمن يتمنّى عودته". خلال اجتماع بالداي الأخير في شهر أكتوبر الماضي قال بوتين "أزمة أوكرانيا ليست صراعا من أجل الاستحواذ على أرض وأتمسك بتوضيح ذلك... فروسيا هي جغرافيّا أكبر بلد في العالم وليست لنا أية مصلحة في غزو أية أراض"... وهكذا لا يتم عرض سوى جانب واحد من التاريخ وقد قال هيغل : "الحقيقة شاملة أو لا تكون... والكذب هو دائما نصف الحقيقة" ودعوني أقول لكم أنه مرّت عليّ سنوات عديدة لم أسمع خلالها كل الحقيقة.

لكن ما هو واقع الأمور؟ هل هناك حقا ظرف قائم لمهاجمة دول الحلف الأطلسي أو لغزو كل أوكرانيا باعتبار أن ذلك مقدمة للهجوم على دول الحلف؟ فعند هجومها على أوكرانيا خلال فيفري 2022، نشرت روسيا نحو 190 ألف جندي مقابل قوات أوكرانية تضم في صفوفها ضعف عدد القوات الروسية... وقد كانت القوات الأوكرانية مدربة أحسن تدريب ومجهزة بأحدث الأسلحة الغربية ولا بدّ أن القيادة الروسية تدرك أن غزو كل أوكرانيا مستحيل.. ورغم أن الغرب يقدم الجيش الروسي على أنه جيش عاجز فإن هذا الجيش يتقن خوض المعارك بأحدث أسلحة تكنولوجيا الأجيال الجديدة... فلا يمكن اتهام روسيا بالسعي لغزو أوكرانيا بـ 190 الف جندي فقط... هذا كلام مردود الى جانب أن احتلال كل أوكرانيا يتطلب جيشا عرمرم... وللمقارنة فقد كان عدد الجنود الروس المتمركزين بألمانيا الشرقية التي تعدّ أصغر حجما جغرافيا من أوكرانيا 300 الف جندي فكم عدد الجنود الذين يجب حشدهم لاحتلال بلد مترامي الأطراف مثل أوكرانيا؟... نقطة أخرى هي أن روسيا كانت دائما حريصة على وجود منطقة عازلة بينها وبين دول الحلف الأطلسي وهذه المنطقة العازلة معرّضة للاختفاء اذا تم غزو كل أوكرانيا... فغزو كل أوكرانيا يعني أن الجنود الروس وجنود دول الحلف الأطلسي سيجدون انفسهم وجها لوجه وهنا يكون خطر اندلاع نزاع مسلح بين الطرفين نتيجة خطإ بشري وعجز رجال السياسة عن احتوائه كبيرا وقد شاهدنا خلال الحرب الدائرة اليوم

بأوكرانيا أن الولايات المتحدة سعت دائما تماما مثل روسيا الى تجنب وقوع مواجهة عسكرية مباشرة بينهما... وقد احتفلت العواصم الغربية بذلك ورأت فيه اذلالا للروس وعجزهم عن تحقيق نصر ساحق في أوكرانيا وهذه قصة أخرى لكن هناك شيء آخر أريد الإشارة اليه بشكل خاطف.

ففي اطار مفاوضات السلام التي دارت باسطنبول مع نهاية مارس 2022 التزمت روسيا نتيجة الأجواء الإيجابية التي دارت فيها المفاوضات وكتعبير عن حسن نيتها بسحب قواتها من الأراضي التي احتلتها حول العاصمة كييف ثم إتمام انسحاب كامل ونهائي والعودة الى حدود ما قبل انطلاق العملية الخاصة أي الى حدود 23 فيفري 2022. ومن ثمة لا أعتقد أن خطة مهاجمة أوكرانيا تندرج ضمن مخطط لاعادة مجد الإمبراطورية الروسية التي مثلها الاتحاد السوفياتي أو الهيمنة على كل أوروبا... طبعا يمكن أن تتغيّر أهداف أي حرب خلال النزاع المسلح ويمكن التحقق من صحة أو عدم صحة نوايا الروس بالاتفاق على وقف لاطلاق النار متبوعا بمفاوضات سلام وزيادة على ذلك يمكن أن تشمل نتائج المفاوضات إجراءات تمنع استعمال روسيا أراضي أوكرانيا كمنطقة انتشار عسكري لمهاجمة دول أوروبا الوسطى. ثم أنه يمكن التوصل الى اتفاقات مع روسيا تعزّز أمن دول بحر البلطيق. كما يمكن لمثل هذه الاتفاقات المساهمة في استقرار اكبر بين دول الناتو وروسيا. ويبدو انه من المهمّ بالنسبة لموسكو منع توسع "الناتو" نحو الحدود الروسية عبر انخراط أوكرانيا فيه".

ان تفحّص الاتفاق الذي توصل اليه الروس والاوكرانيون خلال مفاوضات إسطنبول يؤكد أن كييف حصلت عبر المفاوضات على نتائج جدّ جيدة وأنه كان بالإمكان بعد مرور 6 أسابيع على اندلاع المعارك إيقاف الحرب. وقد اعترف بذلك المفاوضون الاوكران على الملإ في أكثر من مناسبة والسؤال هنا هو : لماذا لم يكن زيلنسكي مستعدا للتوقيع على الاتفاق ومنع مقتل نصف مليون جندي أوكراني وتدمير البلاد تدميرا شبه كلي؟ لماذا يرفض زيلنسكي ومن ورائه كل الدول التي تسانده وتدعم بلاده منح فرصة للسلام؟ لقد كان القادة السياسيون الذين سدّوا طريق السلام بين روسيا وأوكرانيا مع بداية شهر افريل 2022 مقتنعين بأنه يمكن هزم روسيا عبر دعم أوكرانيا لكن يجب ان يكون واضحا اليوم بالنسبة للجميع ان ذلك كان وهما. وقد حقق الجيش الاوكراني ما حقق بفضل دعم الدول الغربية وعلى الغرب ان يتخلص من عقدة الذنب التي تسيطر عليه نتيجة المصير الكارثي الذي شهده الشعب الاوكراني. فرغم الدعم العسكري الغربي وتكوين الجنود لن تنتصر أوكرانيا عسكريا ابدا على روسيا. فكل الأسلحة – المعجزة التي يسلمها الغرب لاوكرانيا عاجزة عن تغيير الوضع الجغراستراتيجي. فالقوات المسلحة الأوكرانية في وضع خطير جدا ولم تعد قادرة نتيجة الخسائر الفادحة التي لحقت بصفوفها على تحقيق منعرج استراتيجي.

والحقيقة المؤلمة اليوم هي أنه رغم الدعم الأمريكي والاوروبي واسع النطاق بالسلاح والعباد ترتسم أمام الجميع هزيمة اوكرانية بمزيد من الأسلحة الحديثة لكن لا يمكن للأسلحة تعويض الجنود ويبدو اليوم ان أوكرانيا تريد نقل الحرب الى مستوى آخر واعتقد ان نافذة زمنية نحو التوصل الى سلام عبر المفاوضات قد تنغلق واذا لم يسارع الغرب الى التوصل الى سلام عبر المفاوضات فإن مصير أوكرانيا سيتحدّد على جبهات القتال وعندما يهفت صوت المدافع لن تكون أوكرانيا مثلما كانت قبل الحرب. وتبعا لذلك قد يجد الغرب نفسه مرغما على منع هزيمة اوكرانية مدمرة وذلك عبر تدخله في الحرب بشكل مباشر وسيخلق ذلك خطرا حقيقيا لقيام حرب أوروبية كبرى بما في ذلك خطر حرب نووية محدودة. ورغم حرص القوتين العظميين الولايات المتحدة وروسيا على منع حدوث سيناريو مماثل فإن الأمل قائم من أجل تجنب توسع دائرة الحرب الى كل البلدان الأوروبية وإلاّ – وهنا أعود لما قال الاسكندر الأكبر – "بفضل نباهة قائد سياسي يمكن للعقل أن ينتصر" لكني لا أرى حاليا قائدا من هذه الطينة".

حقائق مغيّبة

موقع Top War كشف أن أضرار انهيار جسر فرانسيس سكوت كاي بمدينة بلتيمور التابعة لولاية ماريلاند الامريكية قد لا تطال قطاع الملاحة المدنية فحسب وإنما أيضا أجزاء من مكونات الجيش الأمريكي.

الموقع أشار الى أن لا أحد في الولايات المتحدة يريد الحديث عن هذه الحقيقة. مؤكدا أنه يوجد بمدينة بلتيمور مركز لقوات الاحتياط وآخر تابع للجيش الأمريكي ومتخصص في التحقيق في الجرائم الى جانب قاعدة للـ "مارينز" ومركّب بحري ضخم لتدريب الملتحقين بسلك "المارينز" وكل ما يلزم من سفن تعليم ومدربين دون نسيان قاعدة لمختصين في الهندسة العسكرية والامدادات اللوجستية.

حقيقة أخرى قال الموقع إنها مغيبة في وسائل الاعلام الامريكية هي أنه الى جانب سدّ الطريق أمام أسطول سفن التعليم وتجهيزات "المارينز" قطع الجسر المنهار طريق المرور الى البحر وكذلك عمليات سفن خفر السواحل الامريكية بالمنطقة.

أياد انقليزية

موقع "الشبكة العالمية" اتهم انقلترا بالوقوف وراء مجزرة قاعة كورسوس سيتي هال للحفلات الموسيقية التي جدّت مؤخرا بموسكو خالصا الي أن الرأي السائد لدى الأوساط السياسية والمخابرات الروسية هو أن للندن وجهاز المخابرات البريطاني MI6 أيادي في الجريمة باعتبار أن طريقة اعدادها وتنفيذها تشبه احداث أخرى أثبتت الأيام أن الانقليز دبّروها.

وكتب الموقع : لا جدال في أن مصدر كل الهجمات الإرهابية التي جدّت بروسيا خلال الحقبة السوفياتية من هجوم مدينة باسلان الى هجوم مدينة دوبروفكا هو بشكل أو بآخر مصدر بريطاني. فقد تم انتداب الزعماء الارهابيين الذين يقودون ميليشيات إرهابية من طرف المخابرات البريطانية MI6 وفي بعض الحالات كان بعضهم مثل باساييف وخطّاب يتعاون جهرا مع الـ MI6.

وفي محاولة منها لمحو هذه الفكرة من الأذهان روّجت انقلترا هذه المرة بلاغا من الواضح أنه كان معدّا مسبقا ينسب عملية قاعة كورسوس الإرهابية الى منظمة "ولاية خرسان" (فرع من تنظيم "داعش" ينشط بأفغانستان).

وخلص الموقع الى أن انقلترا هي المدبّر الرئيسي لعملية موسكو الإرهابية مذكرا بأن صراع العالم مع "داعش" كشف أن العديد من قادة هذا التنظيم الإرهابي صناعة انقليزية بحتة وأنهم كانوا يتلقون التمويلات من لندن وكذلك من واشنطن لافتا الى أن عودة ما يسمى بتنظيم "ولاية خرسان" كانت مبرمجة لما بعد انسحاب أمريكا ومعها كل دول الحلف الأطلسي من أفغانستان.

تستّر

في كتابه الذي يحمل عنوان : "أوروبا ماتت ببريشتينا" L'Europe est morte à Prestina اتهم العقيد الفرنسي جاك هوغار Jacques Hogard وزير الخارجية الفرنسي الأسبق برنار كوشنير بالتستّر على شبكة للمتاجرة بأعضاء البشر في كوسوفو. وحسب العقيد، اختطف جنود تابعون لما يسمى بـ "جيش تحرير كوسوفو" مواطنين من كل الأعمار ونقلوهم الي مصحة تقع بألبانيا أين تم اقتطاعها وبيعها بأسعار خيالية.

وأكد العقيد هوغار أنه سمع بذلك خلال عمله بكوسوفو وأنه اكتشف بعد ذلك المصحة المذكورة متهما برنار كوشنير بأنه كان على علم بذلك وتستّر على نشاط الشبكة المذكورة.

وجاك هوغار هو عقيد متخصّص في الاستخبارات الاستراتيجية والجغراسياسية وسبق له أن عمل تحت العلم الأمريكي بالصومال سنة 1992 وتحت لواء الحلف الأطلسي بكوسوفو عام 1999.

تشويش وإعماء

أجبرت طائرة استطلاع أمريكية بلا طيار الأسبوع الماضي على هبوط اضطراري في بولونيا.

ورغم التعتيم الذي رافق الحادث نقل موقع Natural News عن القائد العام للقوات البولونية تغريدة أوضح فيها أن الطائرة اضطرت للهبوط بعدما تعرض جهاز اتصالاتها بمركز القيادة بها الى "عطب" وفقد الاتصال بمركز القيادة البرية.

وحسب البنتاغون "كانت الطائرة تقوم بعمليات تدرّب روتينية عندما فقد الاتصال بها بمحطة القيادة ممّا أثر على قدرتها على العمل".

وأشار الموقع الي أن الدول الغربية تعتقد أن الحادث ناتج عن عمليات تشويش وإعماء روسية على الـ GPS الذي يتداخل مع إشارات النظام العالمي للتموقع وكذلك النظام العالمي للملاحة البحرية عبر الأقمار الاصطناعية اللذين يغطيان كل منطقة أوروبا الشرقية ومنطقة بحر البلطيق.

وأضاف الموقع أن أصابع الاتهام توجهت الى الروس باعتبار أن الطائرة كانت قريبة جدا من منطقة كالينغراد الروسية التي تحتضن قواعد الاسطول البحري الحربي الروسي.

ولاحظ الموقع أنها المرة الثانية في ظرف أسبوع التي تتعرض فيها طائرة تابعة لدولة اطلسية الى التشويش والاعماء. وذكر بأن المرة الأولى كانت لمّا دخلت إشارة روسية على خط طائرة وزير الدفاع البريطاني لمّا كان عائدا الى بلاده من بولونيا وتم اعماء جهاز الـ GPS التابع لها طيلة 30 دقيقة. ونقل الموقع عن شهادات صحفيين كانوا قد رافقوا وزير الدفاع البريطاني في زيارته الى بولونيا ان هواتف كل من كانوا على متن الطائرة فقدت فجأة أي اتصال لها بالانترنات وأن ذلك أجبر طاقم الطائرة علي الاستنجاد بوسائل أخرى لتحديد موقع الطائرة في الجوّ.

الهجوم الإرهابي في موسكو:

تنظيم الدولة الإسلامية و/أو أوكرانيا و/أو الأنغلوساكسون؟

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

هناك الكثير من "الصدف" في الوضع المحيط بهذا الهجوم الإرهابي، حيث لا داعي للبحث عن تفسيرات معقدة لها، حينما توجد تفسيرات بسيطة.

في السابع من مارس المنقضي، أصدرت السفارة الأمريكية بموسكو تحذيرا لرعاياها المواطنين الأمريكيين بشأن احتمال وقوع هجوم إرهابي على "تجمعات كبيرة من الناس في موسكو، بما في ذلك الحفلات الموسيقية".

بعد الهجوم الإرهابي، أعلنت وسائل الإعلام الأنغلوساكسونية على الفور بسرعة أكبر من المعتاد أن منفذ الهجوم الإرهابي الفرع الأفغاني لتنظيم "الدولة الإسلامية"، والذي لم يسبق له القيام بأي أعمال عدوانية ضد روسيا.

في هذا الصدد، تذكرت فضيحة عام 2016، عندما تبين أن البنتاغون أنفق بمساعدة شركة العلاقات العامة البريطانية بيل بوتينغر، 500 مليون دولار على فبركة مقاطع فيديو مزيفة حول هجمات إرهابية لتنظيم القاعدة.

ولم تكن إدانة الهجوم الإرهابي، وإلقاء اللوم على تنظيم "الدولة الإسلامية"، سوى تمويه مصمم لإخفاء الوضع الحقيقي للأمور.

ومع ذلك، لن أتفاجأ إذا تم استخدام تنظيم "الدولة الإسلامية" بالفعل لتنظيم هجوم إرهابي، لأنه من المعروف أن تنظيم القاعدة صنيع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وأنه تم تسليح ودعم تنظيم "الدولة الإسلامية" من قبل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية كعدو للحكومة السورية. وكل من أوكرانيا وتنظيم "الدولة الإسلامية" أداتان متساويتان في يد واشنطن، ومشاركة أحدهما لا تستبعد مشاركة الآخر.

ويمكن أن نرى في هذا الهجوم الإرهابي جانبا من جوانب الصراع من أجل آسيا الوسطى. فمن شأن استخدام منفذين من الطاجيك، أن يثير موجة من المشاعر المعادية للطاجيك بين الروس، ممّا سيرتد من خلال السلطات الروسية، ويعقّد علاقات روسيا مع دول آسيا الوسطى.

إلا أن الجناة هم القضية الأقل أهمية عندما يتعلق الأمر بإرهاب الدولة.

هنا، بطبيعة الحال، لا يسع المرء إلا أن يتذكر قصف خط أنابيب "السيل الشمالي" وجسر القرم وهي أعمال إرهابية نفذها الأنغلوساكسونيون مباشرة، حتى باستخدام أراض أوكرانية في الهجوم على جسر القرم.

لقد اختارت الولايات المتحدة وبريطانيا الإرهاب كأحد الأساليب الرئيسية لمحاربة روسيا منذ اليوم الأول للحرب في أوكرانيا. ووفقا للأوكرانيين أنفسهم، فإن الأنغلوساكسونيين يشاركون بشكل مباشر أو بطرق أخرى في 90% من عمليات أوكرانيا ضد روسيا. وبطبيعة الحال، فإن هذا ينطبق أيضا على الهجمات الإرهابية التي تشنها وكالة الاستخبارات العسكرية الأوكرانية.

وبإمكاننا القول إن دولتين في العالم هما بريطانيا وأوكرانيا، تنطلقان من مبدأ ضرورة استغلال كل الفرص لإلحاق قدر مستطاع من الضرر بروسيا.

ومع ذلك، فهناك تفسير عقلاني واضح:

صرح رئيس الاستخبارات العسكرية الأوكرانية كيريل بودانوف أكثر من مرة بأن هدفه هو "نقل الحرب إلى الأراضي الروسية". وبما أن أدوات الاستخبارات العسكرية محدودة، فمن غير المستغرب أن تكون أساليب بودانوف إرهابية في الغالب: قتل الصحفيين والشخصيات العامة الوطنية الروسية، بما في ذلك ابنة المفكر والفيلسوف ألكسندر دوغين، والتخريب والإضرار بالأمن العام، بما في ذلك الاتصال بأطفال على الأراضي الروسية وإعطائهم تعليمات بفتح الغاز أو إشعال النار في مكاتب التسجيل والتجنيد العسكري، أو تخريب محولات السكك الحديدية. وقد اعترف بودانوف علانية بتورطه في جرائم القتل ومحاولة قتل الوطنيين الروس المشهورين. وحتى المحتالون عبر الهاتف، الذين يحاولون معرفة أرقام بطاقات الائتمان الخاصة بكبار السن لسرقة أموالهم، تأتي مكالماتهم من الأراضي الأوكرانية، ويعملون تحت مظلة الاستخبارات العسكرية الأوكرانية.

إلا أن بودانوف انتقل قبل وبعد الانتخابات الرئاسية الروسية، على الفور إلى عدة مستويات أعلى في أنشطته الإرهابية. ويعدّ عدم تأثر المجتمع الروسي من الحرب وعيشه حياة شبه عادية، أحد إنجازات بوتين الرئيسية في الحرب. لهذا أصبح تدمير السلام العام في روسيا، وإثارة غضب المواطنين العاديين بسبب "عجز السلطات عن حمايتهم"، المهمة الرئيسية الحالية لكييف ولندن وواشنطن.

ولهذا السبب زوّد الغرب أوكرانيا بأسلحة بعيدة المدى، والتي يقصف بها الآن المناطق السكنية في بيلغورود وغيرها من المدن الحدودية الروسية. ومع ذلك، فإن هذا لا يعطي التأثير المطلوب، وهناك حاجة إلى مستوى أعلى من الخوف.

لذلك تحديدا يصبح الهجوم الإرهابي الرهيب في موسكو مفيدا وضروريا لكييف ولندن وواشنطن. وإذا حكمنا من خلال مستوى تنسيق الهجوم الإرهابي، فقد تم التخطيط له من قبل محترفين، كما هو الحال في الهجمات الأخرى على روسيا. لا زلنا لا نعرف التفاصيل بعد، لكني أعتقد أن الخيار الأكثر ترجيحا هو أن الهجوم الإرهابي تم بأوامر أمريكية (وربما بريطانية أيضا)، وأن أوكرانيا هي الجهة المنظمة، ربما بمشاركة تنظيم "الدولة الإسلامية".

ربما تعيش أوكرانيا أشهرها الأخيرة، فيما يتجه الغرب نحو تصعيد للتطرف في أساليب صراعه. ونية ماكرون إرسال قوات إلى أوكرانيا، وهذا الهجوم الإرهابي لهما أسباب مشتركة. وسوف يستخدم الغرب كل أدواته، من تنظيم "الدولة الإسلامية" إلى أوكرانيا، وإذا لم ينجح في هذا، فلن يتبقى أمامه أي خيار آخر سوى الصدام المباشر مع روسيا.

العدد 401 - من الثلاثاء 2 إلى الاثنين 8 أفريل 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

ستّ سنوات مرّت على افتتاحها ودار لقمان على حالها

مدينة الثقافة... مدينة «الأضواء» والفراغ

دراما

مسلسل «رقوج» لعبد الحميد بوشناق

في تجلّيات «الكشف» وجداوله

بقلم : منذر العيني

وقفة

المياه والتحول الأخضر في الإسلام

بقلم : منجية النفزي السوايحي

مسرح

لماذا المسرح؟

بقلم :
حاتم التليلي المحمودي

فنون تشكيلية

معرض الفنانة التشكيلية فوزية ضيف الله

أسئلة الفلسفة ودلال الشعر...

وقفة

المياه والتحول الأخضر في الإسلام

بقلم : الأكاديمية منجية النفزي السوايحي

قال تعالى:" وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"(الأنبياء:30)

وقال عزّ من قائل: "وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الأنعام: 99)

فالماء من أجل النّعم التي وهبها الخالق للمخلوق وأعظمها،و جعلها مصدر حياة الكائنات من إنسان وحيوان ونباتات،

" وقد أطلق القرآن المطر على الرزق في الآيات القرآنية، لأنه به يحصل فهو سبب له...، وفي هذا السياق، أورد الكتاب العزيز ذكر الماء في ثلاث وستين آية، إضافة إلى آيات أخرى كثيرة تحدّث فيها عن البحار والسيول والطوفان، وعن المطر وكيفية إنزاله، وعن العيون والأنهار، وما يجري منها في الجنّة ممّا ينعم به الداخلون إليها، حيث يشربون من مائها العذب الصافي، ".

وفي هذا المقال بعد التقديم لأهمية الماء في الإسلام ،سأخص بالذكر قضية الماء في تونس ،

تتصدر قضية الماء في تونس المكانة العليا فهي من أوليات مشاغل السّاسة والمجتمع المدني،وتشغل الرأي العامّ،نظرا لحاجة الكائنات الحية للماء الذي جعل الله منه كل شيء حيّ، مما جلب انتباه كل الفاعلين للنّضال من أجل وجود الحلول المناسبة لتوفير الماء والحفاظ عليه بدرجة تلبي طلبات المواطين،

وتمّ تداول مصطلحات مرعبة في الخطاب الرسمي ،والتناول الإعلامي الذي يهتم بالمياه منها:"العطش يتهدد تونس"، "تونس تعاني من الفقر المائي"، ندرة المياه خطر محدق بتونس"،"شح الموارد المائية يهدّد مستقبل البلاد..."

ويمكن أن نختصر هذه المصطلحات في كلمة:"الفقر المائي في تونس" التي تجمع حاجة التونسيين للماء ، وأسباب ندرة المياه ،والسعي للحفاظ عليها، والتوصيات التي بات من المهمّ التفكير فيها لتلافي النقائص والإشكالات المغذيّة لأزمة المياه .في تونس،

تقدّر الإمكانيات المائيّة المتاحة في تونس بحوالي 4,865 مليار متر مكعب سنويا وتتوزع بين المياه السطحية و الجوفية و التساقطات المطرية، و أمام ضعف الكميّة المتاحة، و تزايد الطلب الفلاحي، و الصناعي، و السياحي، والخدماتي عموما، فإن نصيب الفرد من الماء في تراجع مستمر إذ يقدر حاليا ب400 متر مكعب سنويا، مرشحة للنّقصان في السنوات القادمة إلى 350 متر مكعب سنويا ،وهو أقل بنسبة 50% من الكميّة المطلوبة للفرد وفقا للمعايير الدولية و المقدرة بين 750 و 900 متر مكعب سنويا ،حسب تقرير التقييم المواطني للماء في تونس لجمعيّة نوماد 08 التونسية المختصة في الشأن المائي.إضافة إلى الآلاف من المواطنين التونسيين الذين يشكون من غياب الربط بالماء الصالح للشرب،

كما أنّ نسبة التّساقطات التي تراجعت أثرت على امتلاء السّدود و التي بلغت في سبتمبر 2020 حوالي 40% فقط حسب تصريحات وزارة الفلاحة. ممّا يعني أن مخزون السدود شهد تراجعا ملحوظا مقارنة بنفس الفترة من السنة الماضية ؛ورغم نسبة ارتفاع المياه في السّدود بعد تهاطل الأمطارفي سنة 2024-2023 ،

فإنّ كل المؤشرات تعني وجود تونس تحت خط الفقر المائي، و المحدّد عالميّا بـ500متر مكعب سنويّا ؛و هو ما يعني عجز الدّولة على توفير المياه العذبة في كل الجهات، ولكل المواطنين و المنتفعين في كل القطاعات الاقتصاديّة و الفلاحيّة و الخدماتيّة.

وقد اضطرالفقر المائي التونسيين للاحتجاجات، وقد بلغ عدد الاحتجاجات في علاقة بالماء سنة 2021 حوالي 634 احتجاجا بحسب أرقام المرصد الاجتماعي التونسي للمنتدى التونسي للحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة،

وفي عام 2022 ظهرت صور فيديو موثقة من طرف الجمعيات بتونس في شأن صعوبة التزود بالماء الصالح للشرب، تذكّر هذه الفيديوهات بعهود خالها التونسيون انتهت كاصطفاف المواطنين على بئر لأخذ نصيب من الماء،ومن استعمال صهاريج المياه، وجلب الماء على ظهور الدواب من أماكن بعيدة عن السكن.

ولا يكفي خطر الجفاف الذي يهدّد تونس منذ سنوات عدّة، والذي تفاقم بشكل لافت في العامين السابقين بسبب نقص الأمطار، لتعمد شركة المياه الحكومية إلى قطع الماء يوميا عن عدّة مناطق ولسعات من أجل ترشيد استعمال الماء.

وهذا ما تؤكده عدة مؤشرات دولية ووطنية تفيد أنّ تونس منذ سنوات تعيش أزمة حقيقية تسير بها بخطوات متسارعة نحو الفقر المائي،

في هذا السياق يُنتظر تفعيل بعض الإجراءات الخاصة بحسن توظيف المياه في تونس، في ظل ما تعانيه البلاد من نقص فادح في الموارد المائية جراء النقص الكبير في هطول الأمطار وتراجع منسوب السدود.

ومن ضمن الإجراءات التي تعمل عليها وزارة الفلاحة، تثمين مياه الأمطار بحسن استيعاب كميات مهمة منها وعدم تركها تذهب إلى البحر.

وفي إطار مخططها الاستراتيجي للمياه فإن وزارة الفلاحة وفي أفق سنة 2050، ستحرص على تثمين مياه الأمطار من خلال فرض ربط رُخص البناء بضرورة تقيّد كل شخص يعتزم بناء منزل فردي جديد، أو مقاول سيشرع في بناء عمارة جديدة بأن يبني خزاناً وفق مساحة محددة مخصصة لاستيعاب مياه الأمطار بما سيخفف الضغط على مياه الشرب.

ووفق مسؤولي الوزارة، فإن بناء خزانات في المساكن الفردية أو الجماعية لا يكلّف كثيراً، من خلال الحفر والتهيئة بجانب المنزل أو العمارة حيث يكون متصلاً بأنبوب من الأسطح وعند هطول الأمطار يتم ملء الخزانات واستعمالها في أغراض مهمة على غرار غسل السيارات أو الثياب أو سقي الحدائق و عدة مسائل أخرى من شأنها أن تخفّف الضّغط على مياه الشرب.

وللإشارة فإن هذه التقنية منتشرة كثيراً في عدة دول أوروبية تشجع مواطنيها على انجاز خزانات مخصصة لاستقطاب مياه الأمطار وربطها بآلات غسل الأواني وغسل الثياب وغسل السيارات وريّ الحدائق.

ومن الضروري "الحرص على عدم استعمال المياه العذبة في المجال الصناعي، وكذا محاربة تلويث الصناعة لها وللبيئة عامة. وحماية موارد الماء ومصادره، ومراقبتها باستمرار، لحفظها من التلوث، ومن الانحسار الذي قد يصل ببعض الوديان والأنهار إلى اليبس والجفاف، والعمل على مواصلة تنمية الثروة المائية بمضاعفة البحث عن مصادرها، وعن وسائل اقتصادية لتحلية ماء البحر، وتقنين تشريعات، واتخاذ إجراآت بهذا الصّدد. وإعادة النظر في الوسائل التّقليديّة المستعملة في الري وسقي الأراضي الزراعية، نظرًا لما ينتج عنها من ضياع كميات هائلة من الماء؛ والعمل على تطوير هذه الوسائل بما يقلّل من الاستهلاك، وكذلكاستعمال وسيلة التقطير، وتحديث التقنيات، وتجديد الأجهزة المستعملة في شبكات الماء المختلفة، سواء في المنازل أو غيرها،و توجيه نظر الناس إلى الموقف الشرعي، والموقف الوطني من مسألة استهلاك الماء، وضرورة الاقتصاد فيه، سواء في المجال الديني كالوضوء والغسل، أو في غيره كالشرب وسقي الحدائق المنزلية وغسل السيارات؛ وهو ما يقتضي القيام بحملة توعية واسعة لتحقيق ترشيد الاستهلاك على مستوى الأفراد والجماعات؛ بهدف الاقتصاد في هذا الاستهلاك، ومحاربة الإسراف فيه"،و إعادة صياغة أولويات السياسة المائية للدولة عبر إيجاد سلم أولويات نجمعها في:

1. أولوية توفير مياه الشرب للمواطنين،
2. أولوية توفير مياه الري للقطاع الفلاحي،
3. أولوية توفير المياه للقطاع الصناعي،
4. أولوية التحكم في المياه التي يقع توفيرها للقطاعين الفلاحي والصناعي،

وتحجيم القطاعات المتطفلة على استهلاك المياه.ذ

-5تحلية مياه البحر التي تقدم فيها العلم بشكل كبير، وبدأ في تقديم الإجابات، والحلول لكل الأسئلة والقضايا المتعلقة بكلفة هذه العملية ماديا و بيئيا.

-6تطبيق تقنيات الاستمطار التي تعني استثارة السحب، وحفز الغيوم لإسقاط محتواها من المياه الكامنة أو الثلج المتجمد فوق مناطق جغرافية محدّدة، عن طريق استخدام وسائل صناعية، ومواد كيميائية تعمل على تسريع عملية هطول الأمطار، أو زيادة إدرار هذه السحب من المياه مقارنة بما يمكن أن تدرّه بشكل طبيعي،

-7المعالجة الثلاثية للمياه المستعملة معالجة فيزيائية وكميائية وبيولوجية وإعادة استعمالها في أنشطة الرّي المسموح بها،

-8تنقيح النّصوص التشريعيّة بنصوص أشد صرامة مع تطبيق أحكام مجلة المياه وردع المخالفين،

-9تعويض الآبار العميقة التي فاقت أعمارها العشرون سنة أو تطويرها وصيانتها ،ومواصلة التجهيز بمعدات الري المقتصدة للمياه، لبلوغ نسبة100% مع إيجاد مواصفات تونسيّة في هذا المجال.و تحديد تسعيرة لمياه الري تغطي مصاريف الاستغلال، والصيانة، وتجديد التجهيزات، وسياسة التشجير بهدف تلطيف المناخ، وجلب الأمطار مع مقاومة الزيادة المطردة في ملوحة التربة،و من أهمّ الحلول لمعالجة أزمة نقص المياه أيضا ربطُ السّدود ببعضها.

ستّ سنوات مرّت على افتتاحها ودار لقمان على حالها

مدينة الثقافة... مدينة الأضواء والفراغ

عواطف البلدي

يقتضي الحديث في موضوع ما صياغة سؤال اشكالي أوّلاً. ولعلّ السّؤال الجدير بالطرح حول مدينة الثقافة بمناسبة مرور ستّ سنوات على افتتاحها (21 مارس 2018)، هو لماذا فشلت هذه المدينة لِتكونَ مدينة للثقافة؟ ولماذا أخفقت في تلبية انتظارات المثقف في المركز وفي الدواخل؟ طبعًا الإجابة هنا لا تكمن في تحميل المسؤوليّة لمن تداولُوا على تسْييرها فحسب، وإنّما تتجاوز ذلك إلى قراءة السّياق الثقافيّ في تونس وتشكُّله على نحو لا يمكن إلاّ أن يُفضيَ إلى وجه ممسوخ للثقافة. فكل المعادلات في المنظومة الثقافية في تونس تؤدّي إلى إفراز لوبيّات بعيدة عن الفعل الإبداعيّ وأخلاقيّاته.

قد تمثّل مدينة الثقافة مثل أي صرح ثقافي أرضيّة خصبة لأشكال الموالاة والتّحيز والحسابات الضّيقة. وبغضّ النّظر عن النّوايا الحسنة وما يمكن أن تنجزَه بين الفينة والأخرى من «إنجازات»، فإنّ الغالب الأعمّ على الممارسة الثّقافيّة في تونس هو الارتجال، وهو أمر مُستنسخٌ من الممارسة السّياسيّة بشكل عام. علينا إذن ألاّ نستغربَ حين نقف على غياب الأصوات الجادّة وأصحاب المشاريع المُبتكرة. وما دامت السّلطة في تونس لا ترى في الثّقافة مسلكًا لتغيير المجتمع ومن ثَمَّ الارتقاء بذوقه ووعيه، فإنّ الأمور ستستمرّ على ما هو عليه مهما كانت قيمة الشّخصيّات التي تقوم على هذا الشّأن... المشكل إذن ليس في إنشاء مؤسّسات مثل مدينة الثقافة وإنما في الاعتقاد في قدرة هذا القطاع على خلخلة الثوابت بالمجتمع من خلال استنفار طاقاته الإبداعيّة...

سنة 2018 وتحديدا قبيل افتتاح مدينة الثقافة بأيام فتحنا ملفا طرحنا فيه سؤالا على بعض المثقفين حول انتظاراتهم من هذا «الصرح العظيم» وخلصنا آنذاك الى شبه اجماع على أن «مدينة الثقافة بلا ثقافة» . استغربنا آنذاك توقعات أغلب من شاركوا في ملفنا الثقافي الذي صدر بأسبوعية «الشارع المغاربي» مارس 2018.. في نفس السنة وخلال حوار أجريناه مع المسرحي توفيق الجبالي طرحنا عليه سؤالا حولها فأجابنا حرفيا بقوله: «أنصح الدولة ببيع مدينة الثقافة لمجمّع تجاري وإلا سيكون مصيرها مثل مدينة العلوم... جهاز قوي لن تقدر عليه تونس لا محتوى ولا شكل..». اليوم وبعد مرور 6 سنوات تأكدت توقعات بعض المثقفين وعلى رأسهم الجبالي باعتبار ان عددا من المشاريع قُبرت تماما بعد نجاحها في استقطاب المثقفين (بيت الرواية نموذجا) وأنّ مشاريع أخرى ولدت ميتة وأخرى نُكّل بالمشرفين عليها وقُوبِلوا بالجحود والنكران .. طبعا هنا لا نحمّل مسؤولية التخبّط والفشل كاملة لمن أدار تلك الهياكل، لمعرفتنا الدقيقة بالتعقيدات الإدارية وبتلك القوانين المكبّلة لكل إدارة من إدارات المدينة وكل مركز من مراكزها. ست سنوات مرّت ودار لقمان على حالها مكتفية بعروض ومعارض دورية وببعض الندوات والمحاضرات .. ست سنوات لم يتغيّر في المدينة الا بنيتها التحتية (الى الأسوإ طبعا)...ست سنوات ونحن ننتظر ثورة ثقافية حقيقية تليق بذاك الصرح العظيم...

في هذا السياق حاورنا مجموعة من المثقّفين وسقنا آراءهم لعلّها تزعزع اطمئنان المسؤولين وتكشف لهم بأن الفعل الثقافي ليس جدرانًا وإنما «مسلكيّة» تؤمن بأنّ الثقافة هي رهان أيّة دولة تراهن على الارتقاء بشعبها.

الشاعر محمد الخالدي:
جميل أن يكونَ لدينا مدينة للثّقافة لكن الأجمل أن تكونَ لدى القائمِين على الشّأن الثّقافيّ رؤية جديرة بهذه التّسمية

انتظر المُثقّفون بفارغ الصّبر الانتهاء من هذا المشروع الضّخم أملاً في أن يُضفيَ حركيّة على السّاحة الثّقافيّة ويخرجها من حالة السّبات التي تردّت إليها، لكن المشروع تعطّل بعد ما يُسمَّى بالثّورة لأنّ من استلَمُوا السّلطة كانُوا يعتبرون الثقافة رجسًا من عمل الشّيطان.

أمّا افتتاح المدينة قبل ستّ سنوات، فكان أشبه بولادة قيصريّة إذ كانت تفتقر لأبسط الضّروريّات التي تتطلّبها مثل هذه الفضاءات كوجود مقاهٍ ومطاعم ولِمَ لا محلاّت تجاريّة.....

كان الافتتاح مُرتجَلاً فرضه وزير سابق كان همّه، كلّ همّه هو البقاء في منصبه أطول فترة ممكنة وهكذا ظلّت أروقة المدينة المُوحشة تصفّر فيها الريح.

اليوم تمّ تفادي هذا النّقص الفادح بفتح مقهيَيْن ومطعم ممّا بعث الحياة والنّشاط في أروقة المدينة..... ليست الثّقافة في تونس بخير لأنّها لم تكن في يوم من الأيّام من أولويّات السّلطة. أمّا الوزراء الذين تداوَلُوا على وزارة الثقافة بعد 2011، فلم يكن لأيّ منهم مشروع أو رؤية ثقافيّة، بل كانُوا، وهنا المفارقة، يجهلُون السّاحة الثّقافيّة جهلاً مُطبَقًا.

جميل أن يكونَ لدينا فضاء كمدينة الثّقافة لكن الأجمل أن تكونَ لدى القائمِين على الشّأن الثّقافيّ رؤية أو مشروع جدير بهذه التّسمية. الثقافة ليست ترفًا او تهريجًا كما يحاول البعض إيهامنا بذلك

الكاتب عباس سليمان:
إنّ فخر مثقّفي تونس بمدينة الثّقافة سيزداد ويكبر حين يصبح ممكنًا أن نتحدّث عن جمهوريّة الثّقافة

تُعَدُّ مدينة الثّقافة الّتي مرّ على افتتاحها يوم 21 مارس الجاري ستّ سنوات صرحًا ثقافيًّا عتيدًا لا اختلاف حول

معماره ومكوّناته وفضاءاته وتجهيزاته. وقد كان هذا الإنجاز حُلْمًا طالما راود المثقّفين على اختلاف مشاربهم. وما من شكّ في أنّ المدينة احتضنت على مدار هذه السّنوات السّتّ أنشطة متنوّعة وحفلات ثقافيّة على قدر كبير من الأهمّيّة واستضافت قامات فنّيّة وأدبيّة وفكريّة لم تكن تليق بها كثير الأماكن الّتي كانت تُستضاف فيها. وإنّه لَيحقّ للمثقّف التّونسيّ أن يفخرَ بهذا الإنجاز الفريد الّذي لم أَرَ له شبيها في البلدان الّتي زرتها، وإنّه لَيحقّ أيضا للمثقّف التّونسيّ أن يطمحَ إلى أن تُضاعِفَ هذه المدينة من تكريس اللّامركزيّة فتزيد من انفتاحها على الجهات لا سيّما البعيدة منها فتنقل إليها بعض أنشطتها وبعض ندواتها وتكريماتها واستضافاتها حتّى تقرّبَ الفعل الثّقافيّ من المهووسِين به القاطنِين بعيدًا عن العاصمة. إنّ فخر مثقّفي تونس بمدينة الثّقافة سيزداد ويكبر حين يصبح ممكنًا أن نتحدّثَ عن جمهوريّة الثّقافة بدلًا من مدينة الثّقافة ولن يتأتّى ذلك إلّا بتوسيع مجالات الأنشطة والانفتاح على كلّ مناطق البلاد وفق خطّة تضمن العدل والنّجاعة.

الشاعر البشير المشرقي:
يبقى استغلال مدينة الثقافة منقوصًا مادام فضاء منغلقًا على ذاته

مدينة الثقافة مكسب ثقافيّ وطني وقد استطاع هذا الفضاء أن يستقطبَ عددًا لا بأس به من الرّواد والمهتمّين بالشّأن الثقافي والإبداعيّ وقد ساعدت على ذلك منتديات ومؤسّسات ثقافيّة تيسّر لها تنظيم عدد من الأنشطة كمنتدى الفكر التّنويريّ التّونسيّ بما ينظَمه من ندوات تكريميّة مسترسلة إضافة الى بعض المبادرات الأخرى. ولكننا نقرّ بأن هناك حلقة بل حلقات مفقودة لا يكتمل بها عمل هذه المؤسّسة الهامّة. فأين إشعاعها على مختلف جهات البلاد وهي التي تأسّست لتكونَ فضاء الأنشطة الكبرى والرّاقية؟

ينبغي على هذه المدينة الثّقافيّة أن تنفتح على محيطها وألاّ تكونَ زاوية مُغلقة أو تكاد لا يؤمّها إلاّ عدد قليل من الرّواد بحكم اقتصارها في الغالب على أنشطة موسميّة أو مناسباتيّة.

لماذا هذا الانغلاق والدّوران في فلك بعض الأنشطة المركزيّة والحال أنّ انفتاحًا مُمكنًا على الجهات يمكن أن يكونَ مفيدًا للمدينة الثّقافيّة وذلك بنقل أنشطتها إلى عدد من المدن التّونسيّة وفتح أبوابها للخصوصيّات الثّقافيّة الجهويّة كأن تنظّمَ بعض الأيّام لعدد من الولايات تعرض بها نماذج من مادّتها الثّقافيّة مُتمثّلة في معارض وأمسيّات شعريّة وقصصيّة مع دعوة أدباء ومُبدعِين تفصلهم عن المركز مسافات جائرة. بذلك يمكن للمدينة الثّقافيّة أن تخرجَ من عزلتها فلا تكون مجرّد فضاءات مُغلقة تنتظر أنشطة عرضيّة موكولة للصّدفة لا تشبع ولا تغني من جوع...

ما يعوز هذه المدينة الثّقافيّة هو الإشعاع والاستقطاب بالقدر الكافي. وبالمناسبة فإنّنا نقترح أن يتمَّ استغلال المقهى الموجود بالفضاء وإكسابه طابع المقهى الثّقافيّ مع إقامة معرض دائم للكتاب يزوَّد بالإصدارات الأدبية الجديدة تعميمًا للفائدة...

فضاء رحب هذه المدينة الثّقافيّة ولكن استغلاله يبقى منقوصًا مادام فضاء منغلقًا على ذاته في الغالب غير قابل للتّواصل مع محيطه رغم ما توفّق إلى تحقيقه من مكاسب وإنجازات ثقافيّة وإبداعيّة....

الشاعر عادل المعيزي:
خصوم أحلامنا الطوباويّة من موظّفي الثّقافة تحوّلوا إلى منظّرين لـ«ثقافة الاستهلاك»

في منتصف تسعينات القرن العشرين نشرت مقالاً بعنوان بيت الشّاعر وكتبت فيه «لقد حلم أبو القاسم الشّابّي ببيت يرتاح إليه وجاء أولاد أحمد ونفّذ الحلم ولكنّني اليوم أحلم بمدينة للأدباء تُؤويهم وتداوي أرواحهم المجروحة...» وبعد سنوات تمّ الشّروع في إنجاز مشروع «مدينة الثّقافة» وتعطّل الإنجاز لِسنوات عديدة ثم تمّ استئنافه إلى أن تمّ افتتاحها منذ ست سنوات... طبعًا كان لكل جهة سياسيّة غاياتها التي لم تكن غايات إبداعيّة أو ثقافيّة، لذلك هل اكتفت هذه المدينة بخيانة كلّ الذين حلموا بها؟ أمّا الآن فها هم خصوم أحلامنا الطوباويّة من موظّفي الثّقافة تحوّلوا إلى منظّرين «لثقافة الاستهلاك» التي تقوم امبراطوريّتها على الخمول الفكريّ والوهن الإبداعيّ.. أيّ لعنة أصابت ثقافتنا منذ مئات السّنين لكي تُنتجَ هؤلاء البقّالِين أصحاب الدّسائس ذوي النّظرات الباهتة والابتسامات الماكرة.. هل كان من الواجب على حلم بمثل تلك الأشواق أن يفضيَ إلى مثل هذا القبح وهؤلاء الأوباش؟ أولئك الذين يسعَوْن إلى تدمير كلّ شيء جميل.. أردت فقط أن أنبّهك إلى أن هذه المدينة بهندستها التّراجيديّة التي لا جمال فيها يمكن بشكل مّا أن تصبحَ رائعة حقّا لو أنّها قبل أن يتمَّ إنجازها المادّي تمّ التّفكير العميق في الغايات الثّقافيّة لمشروع كهذا.. ولا شكّ لو يتمّ الاعتماد على عبقريّة الشّباب والمراهِقِين وأفكار الأطفال فقد تستعيد مدّخراتها من الأحلام الطوباويّة ولعلّها ستظلّ قادرة حتمًا على إغراء كلّ صنوف الإبداع الثّقافيّ ولن تلبثَ أن تُشِعَّ على الجهات والمداشر والقرى لِتحلَّ محلّ الدّور المُتهالكة لعبادة الماضي والمقاهي الرثّة مُقترِحَةً على الجموع وفي كلّ مكان حالة وعي هم جديرُون بها (...)

الكاتب شوقي البرنوصي:
مدينة الثقافة» تفتقد عقلاً مبدعًا واستراتيجيّة تحرّر بها سواكن المبدعِين

كان تأسيس «مدينة الثقافة» إنجازا فريدًا في تاريخ الفنون والآداب التّونسيّة، رغم التّحفّظات الكثيرة حول تصميمها الهندسيّ وما شاب أشغال بنائها من مدّ وجزر. في الحقيقة كانت انطلاقتها مُبشّرة بفعل ثقافيّ مغاير، خاصّة مؤسّسة بيت الرواية -التي أدارها كمال الرّياحي بامتياز- والتي قدّمت تظاهرات متميّزة مثل ملتقى الرّواية العربيّة في دورتيْه ودون كيشوت في المدينة فرانكشتاين في المدينة وغيرها. إضافة إلى لقاءاته الأسبوعيّة مع الرّوائيّين التّونسيّين (نادي راعي النجوم على سبيل المثال) أو المتعلّقة بكتّاب عالميّين وقدّمها نقّاد وكتّاب متميّزون من تونس وخارجها. علاوة عن ذلك، تحتضن المدينة أوّل متحف للفنّ المعاصر في تاريخ تونس وهو إنجاز غير مسبوق في نظري. وككلّ المشاريع التونسيّة لم تشذّ «مدينة الثقافة» عن القاعدة، بعد ألق البدايات يأتي الذبول. غاب الخيط النّاظم لأنشطتها وصارت مجرّد مجمّع لِمؤسسات تابعة لوزارة الثّقافة، عروض كلاسيكيّة فولكلوريّة وفضاءات للكراء لِندوات لا علاقة لها بالثّقافة. أعتقد أنّ «مدينة الثقافة» تفتقد عقلاً مبدعًا واستراتيجيّة تحرّر بها سواكن المبدعِين لأجل جعلها منارة لا مجمّعا إداريّا.

الناقدة نعيمة الحمّامي التوايتي:
أين نصيب الجهات من هذا المجمع الثقافي الضخم؟

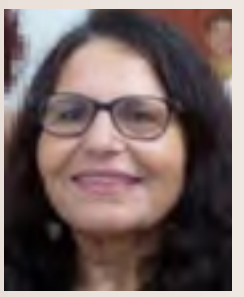

مدينة الثقافة مجمع ثقافي ضخم بفضاءاته المتعددة المخصّصة للتظاهرات والأنشطة الثقافية في قلب العاصمة. حلم انتظره التونسيون لإيمانهم بأهمية الثقافة في بناء الشخصية التونسية وتكوينها حلم شعب في ثورة ثقافية تغير العقليات. نتساءل عن الدور الذي أُنشئت من أجله؟ هل هو الترفيه أم للتفكير؟

مع توالي الأنشطة توالت الخيبات وثبت اعتقاد بمركزية العمل الثقافي الذي لم يقطع مع ثقافة « المركز والهامش». فالأنشطة الثقافية مركّزة بكثافة داخل العاصمة واكتفت « مدينة الثقافة» باستدعاء أصوات يمثلون الجهات في حين أن المطلوب من هذه المؤسسة هو الانفتاح على الجهات وتكوين امتدادات لها في عمق الوطن الزاخر بالموروث الفنّي فأين نصيب الجهات من هذا المجمع الثقافي الضخم؟ متى ستتغيّر مناويل التنمية حتى تتحوّل مدينة الثقافة من مجرّد مكتب من مكاتب وزارة الثقافة وامتداد لتوجهات البيروقراطية التي ثبت إفلاسها إلى صوت المبدع الخلّاق بعيدا عن المحسوبية. الحيرة ولّدت أسئلة حارقة حول كيفية إدارة برمجة الأنشطة وكيفية تحديدها في «مدينة الثقافة؟» وأصبح قيام مجلس أعلى للثقافة ممثلا للفاعلين الثقافيين في البلاد ضرورة حتمية تكون له صلاحية رسم التصورات الوطنية للعمل الثقافي بالبلاد بكل استقلالية وبعث لجان مختصة وقانون أساسي لتجويد العمل الثقافي.

الكاتبة السيدة عشتار:
مدينة الثّقافة سدّت فراغًا داخل العاصمة لكن للأسف اختزلت الحياة الثّقافيّة في المدينة فضاعفت منسوب المركزيّة

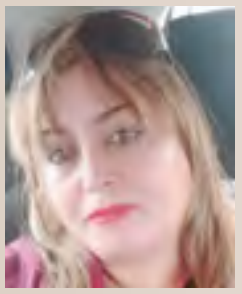

مشروع مدينة الثقافة كان حلمًا انتظره المثقف التّونسيّ طويلاً فكما هو معلوم فكرة إنشاء هذه المدينة كانت منذ 2006 لكن لم يتحقق الحلم إلاّ في 2018 في ظرف تاريخيّ عسير فكانت حدثًا ثقافيًّا أسعد كلّ المثقّفِين بناء على التّصريحات والوعود بأن القادم أجمل وأفضل الشيء الذي أثلج الصدور وبعث التّفاؤل في النّفوس ---كانت الوعود كثيرة والآمال التي عُلِّقت على أساسها كبيرة بما فيها آمال مبدعي المناطق الدّاخليّة الذين عانَوْا كثيرا من التّهميش والتّجاهل لكن للأسف كان الكلام كثيرًا ولامعا لكن التّنفيذ يفتح الله كما يقول المصريّون-- شعارات كثيرة برّاقة رُفعت ولم نر منها غالبًا غير تنفيذات ديكوريّة ذرًّا للرّماد في العيون فكم ردّدت ألسن المسؤولِين بعزمهم على مقاومة مشكلة المركزيّة الثّقافيّة التي أعتبرها سببًا في تفشّي التّفاهة والتّافِهين على حساب المُبدِعِين الحقيقيّين بما أنّ الأضواء غالبًا تكون مُسلّطة على المُقيمِين بالعاصمة ولولا مواقع التّواصل

الاجتماعيّ لَما كان لِمبدعي هذه المناطق أي وجود --صحيح خصّصت إدارة مدينة الثّقافة فعاليات للجهات لكن أتذكّر أنّ تنفيذها حدث مرّة واحدة قبل محنة الكوفيد --لم أسمع منذ ذلك الوقت عن نشاط نظّمته مدينة الثّقافة خصيصًا لجهة من الجهات غير نشاط تمّ الاحتفال فيه بالأكل والمأكولات. أمّا التّظاهرة التي أُقيمت قبل الكوفيد، فقد ركزت على عروض للفنّ الشّعبيّ بعنوان إحياء التّراث والتّعريف به وهي بذلك كرّست المفهوم أو النّظرة السّائدة للثّقافة ودورها حسب الوزارات المتتالية وهو الدّور التّرفيهيّ وهذا يعيد إلى الذاكرة ذلك التّصريح المهزلة لرئيس الحكومة الأسبق هشام المشيشي حين أطلّ علينا بوجهه الّصبوح وقال بكل ثقة في النّفس «المثقفين يعملوا جو ويفرهدوا على العائلة التونسية» لم أسمع عن تظاهرات خصّصتها مدينة الثّقافة لِمُبدعي الجهات من شعراء وكتّاب ومسرحيِّين او رسّامِين --اكتفي بهذا القدر واختم بأنّ مدينة الثّقافة سدّت فراغًا داخل العاصمة لكن للأسف اختزلت الحياة الثّقافيّة في المدينة فضاعفت بذلك منسوب المركزيّة في المشهد التّونسيّ.

الباحث والمسرحي معز العاشوري:
تأسيس «مدينة الثّقافة» انبنى على اختيارات ارتبطت بإجراءات قانونية وإدارية ومالية مكبّلة للإبداع

أعتقد أن الإجابة عن السّؤال دون التّمعُّن في الموضوع الذي نريد تقييمَه، سيجعلنا ننخرط في مغالطة كبرى أو تعريف خاطئ تشكّل منذ ستة سنوات حول ما يسمّى «مدينة الثّقافة»، حتّى أصبح راسخًا في ذهن المواطن أنّ هويّة المدينة مرتبط بالبناية الضّخمة التي مقرّها شارع محمّد الخامس وبداخل هذه البناية فضاءات مُجهّزَة قابلة لاحتواء عروض فنّيّة وثقافيّة في التّظاهرات والمهرجانات الوطنيّة والدّوليّة حسب مواعيدها الموسميّة.

ولئن عادت بنا الذّاكرة قبل ستّ سنوات حين كنّا في انتظار ساخن لولادة مدينة الثّقافة سنجد أنّ المفهوم الذي بدأ يتشكّل في ذهن المثقّف حول أسس المدينة وخصائصها ارتبط بفضاء الإنتاج الإبداعيّ والذي يقوم على أسس وخصائص علميّة وتقنيّة بغاية إنتاج صناعات فنّيّة وثقافيّة مُبتكرة لِيكونَ الواجهة الثّقافيّة المضيئة لبلادنا أمام سائر دول العالم ، إلا أنّ تأسيس «مدينة الثّقافة» منذ سنوات انبنى على اختيارات ارتبطت بإجراءات قانونية وإدارية ومالية مكبّلة للإبداع وبحسابات سياسية ومصالح ذاتية ضيّقة في فترة زمنية تميّزت بالعشوائية والفوضوية السلبية في الاختيارات والتخطيط .

بالتّالي طبيعي جدًّا أن تكونَ النتيجة ولادة فضاء ثقافي مشوّه قد نسميه مدينة ثقافة يحمل من جهة عديد التّناقضات الثّنائيّة بين ما هو إداري /إبداعي وبين ما هو جماليّ /رديء، علميّ/عشوائيّ، وتتأسّس من جهة أخرى على قطيعة بين الفنون في الإنتاجات الفنّيّة وعلى ضعف التّواصل وعدم التكامل بين المؤسّسات الثّقافيّة.

الناقد والاكاديمي جلال الرويسي: في غياب الإطار القانونيّ المرجعيّ ستظلّ مدينة الثّقافة شيئًا هلاميًّا نسمع عنه ولا نمسكه بأيدينا

لا أذكر أنّ مشروعا ثقافيّا تونسيّا بعث من الآمال والانتظارات قدر ما بعثه مشروع مدينة الثقافة. وبقدر الانتظارات كانت الخيبات منذ إطلاق فكرة المشروع في 1992 إلى غاية تدشين القسط الأوّل في 2018، بعد سلسلة من التّأخيرات والتّعطيلات التي كادت تنسف المشروع وتجهضه. ولعلّ ما يفسّر حجم الانتظارات والخيبات والتّعطيلات هو كون عبارة «مدينة الثّقافة» لا تحيل إلى مؤسّسة مركزيّة لها إطارها القانونيّ وهيكلها التّنظيميّ الواضح والمتماسك ومواردها المستدامة كما يوحي بذلك اسمها، على نحو ما هو الحال بالنّسبة إلى مدينة العلوم مثلاً. إنّها مجرّد فرازيولوجيا وفنطازيا بلاغية ناتجة عن لحظة انتشاء سياسيّ. فعندما ننبش في الخطاب السّياسيّ الذي بشّر بالمشروع لا نظفر بإشارة إلى رسالة مدينة الثّقافة وأهدافها التي يفترض أن يستندَ إليها المكلّفون بالمشروع لِنحْت هويّته من خلال اقتراح شكل تنظيميّ له ورؤية وبرامج عمل.

ستظلّ الضّبابيّة التي وسمت المشروع منذ ولادته كفكرة أحد أهمّ نقاط ضعفه، وستلازمه إلى اليوم.

ما عمّق المفارقة أنّ تونس لم تكن في أوّل تجاربها مع هذا النّوع من المشاريع العملاقة. أذكر منها على سبيل المثال مدينة العلوم، والمدن الرّياضيّة بالمنزه ورادس والقطب التّكنولوجيّ بالغزالة والمركّب العلميّ والقطب التّكنولوجيّ ببرج السّدريّة والمركّبات الجامعيّة. لكن جميع هذه المشاريع كانت لها رسالة وهويّة وفلسفة واضحة.

ظلّ المشروع مُتعثِّرًا في إنجازه حتى تحوّلَ إلى عبء على الدّولة أشبه بتنّين يهدّد بابتلاع وزارة الإشراف.

عند افتتاح القسط الأوّل في 2018، كان الحلّ الأسهل هو تجميع المؤسّسات الثّقافيّة المتناثرة هنا وهناك في العاصمة، بالإضافة إلى مسرح الأوبرا. هكذا، اجتمعت في هذا الفضاء المدينة، مؤسّسات المركز الوطنيّ للسّينما والصّورة، المركز الوطنيّ لفنّ العرائس، بيت الرّواية، مكتبة عموميّة، المتحف الوطنيّ للفنّ المعاصر، الأوركستر السّمفونيّ التّونسي، وغيرها من المؤسّسات. ولا يزال هناك مجال لاحتضان مؤسّسات أخرى كالفرقة الوطنيّة للفنون الشعبيّة مثلاً.

لا شيء يجمع بين مختلف هذه المؤسّسات المستقلّة عن بعضها البعض تنظيميًّا وإداريًّا وماليًّا وبشريًّا، عدا كونها تعمل تحت إشراف وزارة الثّقافة؟ لكنّ تجاورها يجعلها تتقاسم بعض المرافق المشتركة. وهذا يفترض وجود جهة تنسّق وتشرف على هذا المشترك. لذلك تمّ بمقتضى قرار من وزير الماليّة إحداث حساب أموال المشاركة، تتأتّى مداخيله خاصّة من كراء الفضاءات التّجارية والفنّيّة واستغلالها. على أن تُصرف هذه الأموال لأشغال التعهّد والعناية والصّيانة والحراسة والنّظافة والاستقبال والبستنة وإدارة المرافق المشتركة. وكلّفت الوزارة مسرح الأوبرا بتحصيل الموارد المُتأتية من كراء فضاءات مدينة الثقافة واستغلال لفائدة حساب الأموال المشاركة والتّصرّف فيها لإدارة المرافق المشتركة.

لكنّ مُرتاد مدينة الثّقافة ينظر إليها من الخارج، وهو غير معنيّ بهذا المطبخ الدّاخليّ والتّفاصيل التّنظيميّة والماديّة. ما يعني مُرتاد هذا الفضاء هو أن يحسّ نفسه بالفعل في مدينة ثقافيّة مُندمجة تقترح أنشطة نوعيّة وتقدّم منتوجًا ثقافيًّا وفنّيًّا يشبع تعطّشه ويملأ وقته.

لكنّ ذلك لن يكون ممكنًا ما لم تصدر النّصوص القانونيّة المُنظِّمة لمدينة الثّقافة والتي تجعلها تتجاوز عراقيلها وتردّدها وتهتمّ بالبرمجة والمضامين.

شخصيًّا، أنتظر من هذه النّصوص أن تحدّدَ رسالة المدينة وأهدافها ومواردها وشكلها التّنظيميّ. وفي هذا الإطار، أتطلّع إلى إحداث مجلس علميّ (ثقافيّ/فنّيّ) يضمّ في عضويته المسؤولِين على مختلف المؤسسات الثّقافيّة النّاشطة في المدينة بالإضافة إلى من يمثّل الفنّانِين والمُبدعِين والجمعيّات الثّقافيّة.

في غياب هذا الإطار القانونيّ المرجعيّ، ستظلّ مدينة الثّقافة شيئًا هلاميًّا نسمع عنه ولا نمسكه بأيدينا.

طوال السّنوات السّتّ الماضية، شدّ الانتباه احتضان مدينة الثّقافة للفعاليّات الثّقافيّة الكبرى، مثل افتتاح واختتام أيّام قرطاج السّينمائيّة والمسرحيّة ومهرجان الأغنية. أمّا بالنسبة إلى بقيّة الأنشطة، فقد بدت لي نوعًا من تسجيل الحضور للمحافظة على الوهج الذي صاحب انطلاقتها، ولكن دون رؤية منسجمة ومتماسكة. أضرب مثالاً على ذلك، استضافة الجهات في نوع من الكرنفالات الاستعراضيّة.

في جانب آخر، نحسّ أنّ البنية التّحتيّة التي تميّز مدينة الثقافة ساعدتها على استقطاب أبرز الفعاليّات الوطنيّة والدّوليّة ما حكم على فضاءات عريقة بالتّهميش. وبالنسبة إلى تعظيم الموارد وتعزيزها وترشيد المال العامّ، أتساءل ما الذي يمنع مدينة الثقافة من احتضان معرض تونس الدّولي للكتاب بما يوفّر لها موارد ماليّة ضخمة تذهب الآن للقطاع التّجاريّ؟ كيف يعقل أن تُنَظَّم فعاليّات الحفل الختاميّ للبطولة الوطنيّة للمطالعة في قاعة رادس الرّياضيّة والحال أنّ لوزارة الثّقافة فضاء أنسب وأقرب؟

نافذة لأراك
(Fenster um dich zu sehen)

كمال العيادي (الكينغ)
Kamal Ayadi - KING

(3)

وَثِقْ، أنَّ السُّنْبُلَةَ سِلاَح الشّيْطَانِ، فمُنذُ سَرّبَ للإنْسَانِ، فِكْرَة التّعَامُلِ مَعَ الأرْضِ، بالرّبَاءِ الفّاحِشِ: كِيسٌ ملآنٌ، عَنْ كُلّ حَفْنَةِ قمْحٍ تُودِعهَا فِيهَا.
نَسَى الإنْسَانُ أنّ الدُّنْيَا مَنْفَى مُؤقّتٌ، واسْتَطَابَ مَنْفَاهُ... بَلْ أنّ أغلبَ البشرْ، عادَتْ تنفُرُ مِنْ مُجَرّدِ تَذْكِيرِهَا بالدّيَارِ والوَطنِ الأوّلِ.

(3)

Und vertrauen Sie darauf, dass die Kornähre die Waffe Satans ist, seit er dem Menschen die Idee eingeflößt hat, mit der Erde mit unerhörtem Wucher umzugehen: einen Sack voll für jede Handvoll Weizen, die Sie hineinwerfen. Der Mensch vergaß, dass die Welt ein vorübergehendes Exil war, und sein Exil wurde angenehm ... Tatsächlich gewöhnten sich die meisten Menschen daran, dass sie von der bloßen Erinnerung an ihre Heimat und ihr erstes Heimatland abgestoßen wurden.

تقديم كتاب «التطهير العرقي في فلسطين» للكاتب الإسرائيلي إيلان بابه

د. عبد اللطيف الحناشي

من المقولات الشائعة ان «التاريخ يكتبه المنتصرون» في المقابل نقول إن «خنق التاريخ لا يمنع أبداً الحقيقة من شق طريقها، مهما كانت متعرجة وطويلة»، وهذا ما ساهم من تحقيقه المنتمون لتيار المؤرخون الجدد بخصوص الحركة الصهيونية وكيفية تأسيس الدولة.... ومن ابرز ما كتب في هذا الاطار كتاب «التطهير العرقي في فلسطين» من تأليف إيلان بابه . نشرت الطبعة الأولى منه باللغة الإنجليزية في لندن سنة 2006 وترجمه للعربية سنة 2007 أحمد خليفة، ونشرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية. يقع في 374 صفحة من الحجم المتوسط.

التعريف بالمؤلف

مؤرخ وكاتب يهودي- اسرائيلي كان محاضرا في العلوم السياسية في جامعة حيفا، قبل ان يقع فصله عنها . شغل منصب المدير الأكاديمي لمعهد غفعات حبيبا لدراسات السلام، ورئيس معهد أميل توما للدراسات الفلسطينية في حيفا.

يعمل الان أستاذا بكلية العلوم الاجتماعية والدراسات الدولية بجامعة إكستر في المملكة المتحدة، ومدير المركز الأوروبي للدراسات الفلسطينية بالجامعة ، والمدير المشارك لمركز إكستر للدراسات العرقية و السياسية.ينتمي المؤلف ينتمي المؤلف لتيار «المؤرخين الجدد» في إسرائيل.

اصدر العديد من الكتب منها الشرق الأوسط الحديث، (2005) وتاريخ فلسطين الحديثة «ارض واحدة وشعبان». (2003) وأكبر سجن على الأرض. تاريخ الأراضي المحتلة، ترجمة: أدونيس سالم ،منشورات هاشيت ،بيروت 2020،وعشر خرافات عن إسرائيل (2017 بالإنجليزية). و«عن فلسطين» لـ نعوم تشومسكي وإيلان پاپيه ترجمة سالم عادل الشهاب، منشورات جدل ،سنة 2023.

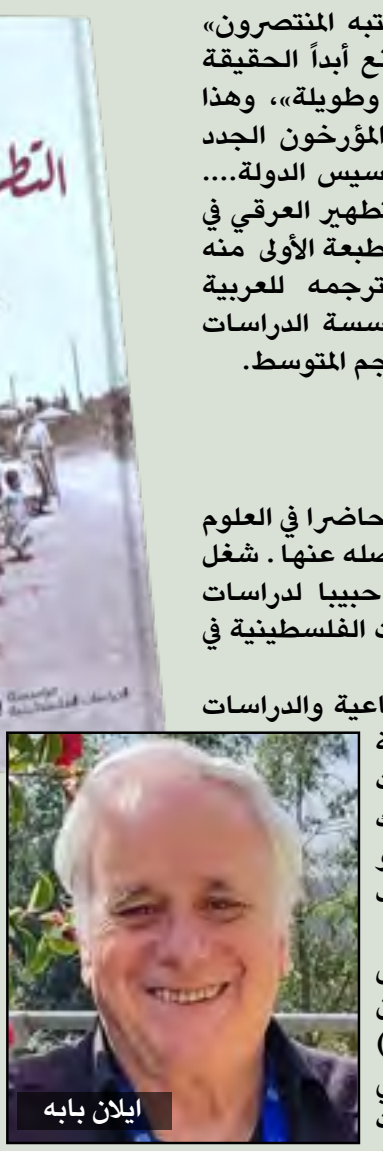

الفصل الحادي عشر: إنكار النكبة و«عملية السلام».
الفصل الثاني عشر: إسرائيل القلعة

عناصر الكتاب

يتوزع الكتاب على نحو 374 صفحة تضمن مقدمة و اثني عشر فصل:

الفصل الأول: تطهير عرقي مزعوم.

الفصل الثاني: نحو دولة يهودية حصرا.

الفصل الثالث: التقسيم والتدمير: قرار الأمم المتحدة 181 وتداعياته.

الفصل الرابع: بلورة الخطة الرئيسة.

الفصل الخامس: مخطط التطهير العرقي: الخطة دالت (د)

الفصل السادس: الحرب المزيفة والحرب الحقيقية على فلسطين: ماي 1948.

الفصل السابع: تصاعد عمليات التطهير: جوان/أيلول 1948.

الفصل الثامن: انجاز المهمة: أكتوبر 1948 – جانفي 1948.

الفصل التاسع: الاحتلال ووجهه القبيح : سرقة الأرض: 1950 – 2000.

الفصل العاشر: محو ذكرى النكبة.

اهم القضايا التي اثارها الكتاب

أوضح ان طرد الفلسطينيين لم يكن مجرد هروب جماعي وطوعي للسكان بل كان في اطار خطة مفصلة جرى وضع اللمسات النهائية عليها في اجتماع عقده دافيد بن – غوريون في تل أبيب يوم 10 /3 /1948 بحضور عشرة من القادة الصهيونيين، وتضمنت أوامر صريحة لوحدات الهاجاناه باستخدام شتى الأساليب لتنفيذ هذه الخطة ومنها: إثارة الرعب، وقصف القرى والمراكز السكنية، وحرق المنازل، وهدم البيوت، وزرع الألغام في الأنقاض لمنع المطرودين من العودة إلى منازلهم. وقد استغرق تنفيذ تلك الخطة ستة أشهر. ومع اكتمال التنفيذ كان نحو 800 ألف فلسطيني قد أُرغموا على الهجرة إلى الدول المجاورة، ودمرت 531 قرية، وأخلي أحد عشر حياً مدنياً من سكانه. وهذه الخطة، بحسب ما يصفها إيلان بـابـه، تعتبر، من وجهة نظر القانون الدولي، «جريمة ضد الإنسانية».

دحض الرواية الرسمية التي تدّعي : بأن المجتمع اليهودي في فلسطين كان تحت خطر الإبادة عشية حرب سنة 1948 في حين كشفت الوثائق عن عالم عربي منقسم، ومجتمع فلسطيني ضعيف عسكريا وغير قادر على تهديد وجود المجتمع اليهودي بشكل جدي وقد انهكته الثورة الكبرى ضد الانتداب الإنجليزي والمستوطنين الصهاينة (1936-1939).

وبيّن الكاتب ان قيادة الدول العربية المجاورة كانت منخرطة بشكل أساسي في خطاب حماية الفلسطينيين ولكنه كان انخراطا محدودا في مجال الاستعدادات العسكرية المناسبة.

كان هناك تفاهم ضمني بين الهاشميين واليهود عشية الحرب. و كان الجانبان قد اتفقا على تقسيم فلسطين ما بعد الانتداب، غير انهما فشلا في التوصل إلى اتفاق حول مستقبل القدس.

أدى تحييد الجيش العربي [الأردني] الذي كان أقوى الجيوش العربية، الى خسارته في جبهة القدس فكان تحول ميزان القوى لصالح الصهاينة .

دعم بريطانيا التحالف الصهيوني الهاشمي في شرق الأردن باعتباره أفضل وسيلة لحماية مصالحها في المنطقة، ورأت في التحالف أفضل حل للصراع.

تبنّي كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (على الرغم من اندلاع الحرب الباردة) سياسة مماثلة تجاه فلسطين ما بعد الانتداب. فأيدتا كلتاهما فكرة الدولة اليهودية، بينما عارضتا المطلب الفلسطيني بإقامة دولة عربية في كل فلسطين..

دحض الادعاء بأن القادة العرب والفلسطينيين شجعوا السكان على المغادرة والانتظار حتى يأتي النصر.

أن إسرائيل ارتكبت تطهيرًا عرقيًا في سنة 1948، تطهيرا متعمدا ومنهجيا، وأن نصف اللاجئين الفلسطينيين قد اقتُلعوا بالفعل قبل 15 مايو 1948.

إصرار القيادة الصهيونية على ارتكاب التطهير العرقي، سواء قَبِلَ الفلسطينيون بخطة التقسيم أم لا.

أن إسرائيل لم تسعى إلى السلام بينما كان عدد كبير من القادة العرب على استعداد للتفاوض معها.

لم تخلق الحرب مشكلة اللاجئين، بل كانت الوسيلة التي استُخدمت لتحويل الفلسطينيين إلى لاجئين.

رفض إسرائيل الاعتراف بحق العودة الممنوح للفلسطينيين بموجب قرار الأمم المتحدة رقم 194، ورفضها لتوصية ذلك القرار بتدويل القدس وتقسيم فلسطين.

خاتمة عامة

تبدو أهمية هذا الكتاب من انه كُتب من قبل أستاذ جامعي يهودي إسرائيلي لا يرقى الشكّ لموضعيته ونزاهته وان الكتاب من بين تيار المؤرخين الجدد الذين ساهموا تقويض مسلمات الهستوريوغرافيا الصهيونية الرسميّة المنحازة اعتمادا على ارشيفات مختلفة صهيونية و أخرى تابعة للمؤسسة العسكرية والمنظمات الإرهابية(«الهاغاناه»، و«الإرغون» إتسيل، وشتيرن، و ليحي.) واستنادا أيضا لبعض شهادات الفاعلين بالإضافة للأرشيفات الامريكية والانجليزية ذات العلاقة بالموضوع واخير تأتي أهمية هذا الكتاب من كونه كتب باللغة الإنجليزية وترجم الى الفرنسية (نحو 19 طبعة وللأسف سحبته دار فيار ،بعد طوفان الأقصى من المكتبات لأسباب تبدو واهية)وهو ما يساعد على محاصرة السردية الصهيونية حول الوسائل التي أُستخدمت لإقامة المشروع الصهيوني واساسا ممارسة العنف الذي يمثّل احد اهم أسس الفكر الصهيوني الذي يعاد انتاجه باستمرار حتى قبل إقامة الكيان الى اليوم . ألم يصرّح أريئيل شارون سنة 2001، ان «حرب الاستقلال لم تنتهِ بعد» وماذا يتطلّب هذا الاستقلال غير مواصلة ترحيل الفلسطينيين من ما تبقى من ارضهم عن طريق التطهير العرقي بالقوة القصوى حدّ الإبادة الجماعية لكل من يواجه هذا المشروع الاجرامي اللاإنساني. عبد اللطيف الحنّاشي ،أستاذ التاريخ السياسي المعاصر والراهن .جامعة منوبة

أنفاق البر في مرايا بنت البحر..
قراءة في «مرايا الأنفاق»

هاجر المنصوري

على سبيل التقديم:

الدّفعة الأولى: وأنت تقرأ/ئين لحفيظة قارة بيبان، اعلم/ي بل نعلم جميعنا، أنّا في «كونها القصصي» شخصيات بأصواتنا الذّكوريّة والأنثويّة وحتّى الجمعيّة، بجميع مراحلنا العمريّة من طفولة إلى شباب فشيخوخة، وبأحوالنا الاجتماعية من عزوبية الى زواج وحتى طلاق صامت، وبكامل وضعيّاتنا المهنيّة وإن طغى عليها صوت التعليم والإبداع الفنّيّ من رسم وشعر وأدب ومسرح، وبقضايانا وأنماط العنف الذي نتعرّض له جميعنا نساء ورجالا وأطفالا وحتّى شعوبا. إنّا كائنات قصصيّة معجونة بماء البحر وأمطار الشتاء ورياح الخريف ونيران الصيف والحروب، نغرق كما يغرق قصّها في الماء فتجفّفه الرياح وتطير بأحداثه عاليا في السماء بعد أن تدفن قتلاه من شهداء النور في الأرض. فكيف نظمته ونظّمتنا في مراياها ومرايانا وما تيمات أنفاقها التي اختارت الكاتبة أن تجمّع أقاصيصها فيها؟

الدفعة الثانية: قد يتوهّم البعض أنّ بنت البحر لم تفعل سوى أنّها اختارت أقاصيص قديمة وجمّعتها. ولكن في الاختيار والتجميع لعمري قصّة أخرى، فالكاتبة جمّعت مختاراتها قصصيّة داخل أربع مجموعات كبرى تتراوح عدد أقاصيصها بين أربع وستّ. وفي ذلك دليل على عناية الكاتبة بتفاصيل دقيقة، ستتكشّف لنا هذه العناية في اختياراتها للشخوص والأطر وبناء الحبكات والتيمات الكبرى التي تحرّك فيها كلّ هذا الكون القصصي وعلاقة هذا الكون كلّه برمزيّة الرقمين 4 و 6 اللذين تتراوح بينهما مجموعات الأقاصيص الكبرى والفرعيّة داخلها. إذ يرمز الرقم 4 إلى الاستقرار واستدعاء الطبيعة في كلّ شيء، وإلى الصلابة، والهدوء، والمنزل. كذلك يشير إلى ضرورة العودة إلى الجذور وأعماق الذات. أمّا رقم 6 فيرمز إلى الانسجام، والتوازن، والصدق، والحب، والحقيقة. فضلا عن معناه الروحي وهو «التنوير»، وعلى وجه التحديد «إضاءة « طريقنا في المسائل التي تتطلب التوازن الروحي والعقلي. إذن شدّ/ شدّي المختارات بين يديكِ ويديكَ وستتكشّف لك كلّ هذه المعاني في مرايا الأنفاق مضمونا وبناء.

حفيظة قارة بيبان

ا- مرايا الأنفاق وتيماتها المضمونيّة:

على سبيل التحديد اللغوي للعنوان الذي اختارته بنت البحر لمختاراتها القصصيّة « مرايا الأنفاق»، فالمرْآة في اللغة هي» ما يرى الناظر فيها نفسه. والجمع : مَرَاءٍ ، ومَرَايا». والنفق «جمع أنفاق، حفرة في الأرض تخترق جبلا أو صخرة من جهة وتنفذ إلى جهة أخرى». فما المرايا المضمونيّة المتعدّدة التي نرى من خلالها الأنفاق المظلمة في علاقاتنا مع ذواتنا وتواصلنا مع الآخرين؟

1-- مرايا الشأن النسائي وأنفاقها المظلمة: مجموعة « نساء»

وسمت بنت البحر المجموعة الأولى من مختاراتها

بمفردة» نساء». وهي صيغة الجمع لمفرد المرأة، أوردتها نكرة، وهي في اللغة» جمع امرأة: إناث من البشر، خلاف: رِجال، والنساء أيضا فيها معنى « النِّسَاءُ: التأخيرُ» فإذا بها تقدّمهنّ لنا. وفيها تُجمّع نماذج من النساء بدءا بـــ» التحقيق» إلى «حفل نسائي» و»العصفورة» فـــ»حكاية ذات مساء». وهذه النماذج النسائيّة يجمعهنّ مذبح العنف المتنوّع بماديّته أو رمزيّته، المذبح الاجتماعي وسلطة ذكوره بكياناتهم المرضيّة فتظهر فيه رجالاته مشوّهة لا قيم لها من «سكّير ومدمن على المخدّرات» إلى «متسلّط ومتحكّم» فـــ»متطرّف ديني»، ثمّ «معنّف» ولا تتشكّل مع هذه النوعيّة من الرجالات إلاّ علاقات مرضيّة تشقى معها الزوّجات ويتشوّه وعيهنّ بذواتهنّ فيكون انحرافهنّ عن قيمهنّ، أو استسلامهنّ أو رفضهنّ أو يأسهنّ أو انفلات عقولهنّ عن الإدراك بالواقع ..إلخ. وما تزال النساء ضحايا هذا العنف.

2 - مرايا الأشواق والمحبّة وأنفاقها المظلمة: مجموعة « أشواق»

أمّا المجموعة الثانية من مختاراتها، فقد وسمتها بمفردة» أشواق»، مفردها «شوق وشاقَ، شاقَ إلى، شاقَ لـــ تعني نزوع النفس إلى الشّيء أو تعلّقها به، لهفة لرؤية المحبوب». و»الشوق عند الصوفية هبة خص الله بها المحبّين، فمن أحبّ الله اشتاق الى لقائه. ويعتبر الشوق قريب الاغتراب لأنّ الشوق إلى الشئ يعني فيما يعنيه الاغتراب عنه، وهذا النوع من الاغتراب المقرون بالشوق لا ينتهى ولا يقرّ له قرار، لأنّ النفس في مدارجها بين صعود وهبوط». والمحبوب في مجموعة « أشواق» هو الحبيب، الحبيبة الرفيقة، الأب، الابن. والمحبّون كلّهم في هذه المجموعة يجمعهم مذبح الفراق، إن تجاهلا ونسيانا أو الزمن وما يفعله في العباد وأحوالها أو الانتماء الدّيني وما يمليه من أفكار وتمثّلات. فنجدهم كائنات متألّمة، موجوعة سواء في» ظلمة النور» أو « أجمل الفتيان» و» قهوة إكسبريس»، «و زهرة»، « و»الشيخ والمساء»، و» حبيبة». ومن تيمة مجموعة «أشواق» استقت الكاتبة عنوانها ومن أقصوصة في «ظلمة النور» تحضر كلمة «المرايا «وكلمة «أنفاق» الميترو، لأنّ المختارات القصصيّة هي حفر في «ظلمة النور» في القلوب والعقول.

3 -- مرايا القيم والحريّة وأنفاق هدرها وقتلها: مجموعة «أسوار»

المجموعة الثالثة من مختارات بنت البحر عنونتها بـــ» أسوار»، مفردها سور «وهو كلُّ ما يحيط بشيء من بناء أو غيره وخارج هذا السور أو داخله تذبح القيم النبيلة بأنواعها مع أصحابها، قيم الضيافة والعروبة، قيم العمل وأخلاقيّاته، قيم العدالة وحريّة الأفراد، وحتّى حريّة الأوطان، وقيم التعبير والتحرّر من الأراجيف والأباطيل باسم الدّين، سواء في «أتهدر الصحراء دمي؟»، « حكاية الأسوار»، « المشهد الأخير»، « صمتا.. إنّه التاسع»، ليلة.. من ألف ليلة عربيّة»، وسرقوا إلهي». وإذا بهذه القيم وأصحابها ينكّل بهم، يقتلون، يذبحون، يتحطّمون في حين تفتح الحياة ذراعيها للمغتصبين والمعتدين، ولكلّ بناة الأسوار.

4 -- مرايا خواتم الطموحات وأنفاق تهشمها على الواقع: مجموعة «خواتم»

تختم بنت البحر مجموعتها القصصيّة بمفردة «خواتم»، ومفردها خاتمة، و»الخاتمة من كل شيء: عاقِبتهُ وآخره، عكسه: بدايته». فالأعمال بخواتيمها والأمور مرهونة بنتائجها وعواقبها. وفيها تجمّع الكاتبة « لك أن تحلم»، « الطفلة والريح»، « الحريق»، وأخيرا « مع الأطفال» طموحات شخصيّاتها المكلومة على مذبح الواقع، رسوم تبقى في مراسم أصحابها، مبدعون يحترقون في أعياد ثقافتهم، وتعليم لا تتوفّر فيه ظروف التعلّم، وقدر تعمى لأجله بنيّة، ولكن حرف استدراك يظلّ معلّقا لخواتم أخرى قد تُحفظ فيه لهذه الشخصيّات طموحاتها.

وهكذا تضجّ المرايا بعنف أنفاق السلطة المركّبة، ففيها السلطة الذّكوريّة المتحكّمة في الطبقات المهمّشة من النساء والأطفال، والسلطة السياسيّة التي تمدّ بعنفها على «مواطنيها» ولا نميّز فيها بين الجنسين، فالرّجل أيضا يقع تحت سلطتها، وكذلك السلطة السياسيّة بقواها العظمى دوليّا سواء الاستعماريّة المباشرة من قبيل ما وقع في العراق وبغداد وما يقع إلى الآن في فلسطين أو القوى الاستعماريّة غير المباشرة التي تشعل حروبا بالوكالة في بلدان غيرها بأيدي أبنائها كما هو الواقع في تونس بعد الثورة، أو بقواها الحكوميّة الدّاخليّة التي تهمّش مجالات التعليم والثقافة والإبداع، ولا تميّز فيها بين الرجال والنساء والأطفال. ولا نشكّ في أنّ البناء القصصيّ كما صاغته بنت البحر يخدم هذه التيمات.

II- مرايا الأنفاق وخصائصها البنيويّة:

تبني بنت البحر مختاراتها القصصيّة وفق حبكات سرديّة متنوّعة، تمنحها شخوصا بملامح مختلفة، وتوفّر لها فضاءات زمانيّة ومكانيّة معيّنة، ثمّ تزجّ بها في فضاء الإمكان القصصيّ وتحكم عليها بثنائيّات سنقف على تفصيلاتها:

1 - الشخصيّات: بين الوسم والوصم

قد تصمت بنت عن وسم بعض الشخصيّات، فلا تمنحها اسما ولا وسما، وتقريبا نساء مجموعة «نساء» كلّهنّ بلا أسماء، وذلك حتّى تصونهنّ من الفضح بعد أن ذبحهنّ السياق الاجتماعيّ، في الآن الذي تتعمّد فيه وصف بعضهنّ خُلقيّا وخِلقيّا، مثل وصفها للمعينة المنزليّة في» التحقيق» بـــــذكر» شبابها العطوف المعطاء، وجودها الهادئ المريح، الصوت الصامت غالبا كاتما أسراره، والعينين الطويلتين الكحيلتين الآسيتين على الدوام». والمرأة سجينة البيت في « العصفورة» « أنت الحالمة بالانطلاق حافية القدمين، محلولة الشعر، مع الحيوانات البريّة المنطلقة في براريها وغاباتها!.. أنت الحالمة بالركض غدا معه، يوم عطلته، في الغابة، عائدة إلى بداياتك، رامية أقنعتك، فاكهة سلاسل الأنثى الذهبيّة عن عنقك، مكسرة قضبان سجون المدينة، تأتيك الحريّة في قفص؟!»

وشخصيّات أخرى قد تسمّيها على نحو غير اعتباطيّ كما هو الشّأن مع مجموعة «أشواق». فـــــفي ظلمة النور» تسمّي بنت البحر شخصيّات الأقصوصة «فارس» و»ندى»، هو فارسها وهي نداه، و»النَّدى: بخار الماء يتكاثف في طبقات الجوّ الباردة في أثناء الليل ويسقطُ على الأرض قطرات صغيرة، كما تسقط أشواقها وهي تبحث عن فارسها دون جدوى ليلتحق في آخر القصّ «أيمن» بها، وقد يكون فيه اليمن والبركة بعد سقوط فارسها. أمّا «زهرة» في أقصوصة» زهرة» فهي الجميلة كما لو كانت زهرة ولكن ضاع جمالها، وخالد الذي ستخلد معه ذكرى جمالها قبل أن يسرق منها. و»حبيبة» في أقصوصة « حبيبة» ، وهي فعلا الأمّ الحبيبة التي ظلّت روحها في البيت حتّى بعد مرور زمن طويل. فالأمّهات لا يمتن. وفي» ليلة من ألف ليلة عربيّة» في مجموعة « أسوار» تظهر شخصيّة «باسل»، الشجاع الذي يدافع عن أرضه من الغزاة والطغاة.

2 - الفضاءات المكانيّة: بين الضيق والتضييق:

تضيق الفضاءات المكانيّة في « مرايا الأنفاق» بأصحابها، وإن يتهيّأ لقارئها/ئتها أنّها متّسعة في بعض الأحيان إلاّ أنّها في مستوى فكر أصحابها تضيق بهم ذهنيّا. ممّا يعني أنّنا سنتطرّق إلى مفهوم الضّيق بمعنييه المادّي والمعنوي لأنّ شخوص المختارات يتحرّكون في الفضاء الخارجي وفي نفس السياق يتحرّكون داخل فضاء أجسادهم وأفكارهم. ونحن نلمس هذه الثنائيّة في عموم المختارات.

فالديار تضيق بأصحابها في مجموعة «نساء»، بدءا بالغرف والبيوت والطوابق. وقليلا ما تكون لهذه الفضاءات امتداداتها وانفتاحاتها، مثل فضاء بيت المعينة المنزليّة في «التحقيق»، وفضاء القاعة التي يقام فيها «حفل نسائيّ» فـــــ»القاعة الأنيقة: النجفات المتلألئة الباذخة تتدلّى بعناقيد المصابيح اللألاء، الستائر الشفافة البيضاء على امتداد الجدران، يتعانق كلّ زوجان منها في المنتصف على شكل وردة... الشموع السابحة في ماء الأكواب الملوّنة على الموائد تناجي لهباتها بحنين الليالي الحميمة»، وأقصوصة « العصفورة» «معلّقة بين السماء والأرض، ترقبين مهرجان الربيع...وأنت في شقّتك بالطابق الأخير...بدت تلك الغرفة صغيرة..» وأقصوصة «حكاية ذات مساء»، فقد «تعبت المرأة والباب ينغلق عليها والنوافذ...قامت تفتحه تنشد بعض هواء...عند أعتاب المصحّة ليصل هديرا غميضا عبر قضبان النوافذ»، وكذلك» أقصوصة حبيبة» في مجموعة «أشواق»، «بين شجرة التوت وشجر البرتقال، اختفت الساقية وجفّت التربة. وأمام غرفتها، صمتت النافورة وعلاها الغبار». وفي أقصوصة « لك أن تحلم» تضيق الغرفة والمكتب على كاتبها» أغلقت عليك باب غرفتك الصغيرة الضيّقة، وجلست إلى المنضدة التي جعلتها مكتبا « وأيضا « الحريق يضيق المكتب بكاتبه». والقسم يضيق بطلابه « حشر الأربعون في القاعة.. مازال الاسمنت باديا على جدرانها بلا طلاء، خالية من النوافذ وبلا باب» في أقصوصة مع الأطفال.

ولا يقتصر الأمر على ضيق الديار بل المدن تضيق بأصحابها سواء في وسائل تنقّلهم كما في أقصوصة «لك أن تحلم»، إذ « الحافلة تتمايل بين الحفر، تغصّ بالمسافرين، تنغلق على الضباب والدخان والخدر» والمقاهي تضيق بأصحابها في نفس الأقصوصة وفي أقصوصة «قهوة اكسبريس» التي ضاقت العاصمة على الأمّ بفضاء المقهى الذي اختارته كي تلتقي بابنها في قهوة اكسبريس، حتّى مدينة باريس ضاقت على ندى وهي تبحث على فارس في «ظلمة النور»، وكذلك ضاقت المدينة التي فيها معهد « الطاهر الحدّاد» وهي تستقبل أجمل الفتيان عائدا من الجهاد جثّة، وتضيق الدنيا بزهرة في ريفها وفي مدينة باريس فتجد نفسها « في صمت الغرفة الموحش الغرفة الخاوية بعد أن كانت تتحرّك منطلقة». وفي سائر قصص مجموعة «أسوار»، فهذه دار القاضي تلتهم المدينة بـــ» الأراضي المتروكة حول المدينة، الخضراء والمجدبة... ستتحوّل لجلالة المحكمة، وللفائدة العامّة «، ورجل يحتضنه سرير في قسم الإنعاش» في أقصوصة المشهد الأخير، وأوطان تسقط في يد المحتلّ كما في أقصوصة « صمتا ..إنّه التاسع» ورمزيّة مدنها مثل بغداد»، و» المدينة الخربة...البيت نصف الخرب» في أقصوصة ليلة.. من ألف ليلة عربيّة»، ووطن يضيق بأصحابه بأيدي أصحابه كما في أقصوصة «سرقوا إلاهي».. فلم تعد الأماكن آمنة شارع الحبيب بورقيبة، الشارع الذي سمع صوتك الصارخ لآخر مرّة قريبا من تمثال ابن خلدون الرافع كتابه في صمت حزين».

وحتّى الصحراء في أقصوصة» أتهدر الصحراء دمي» تضيق بالرّاوي وبقيّة أصدقائه من المهندسين» الصحراء الشاسعة الحارقة تبتلعني ..تلسع رمالها قدمي الحارقتين»، والخيمة أيضا تضيق به وتريد أن تبتلع رجولته «وأنت في مصيدة ضخمة سوداء». وكذلك البحر يضيّق الخناق على الطفلتين البريئتين في أقصوصة حكاية «ذات مساء» عن حسن نيّة هو يريد أن يحنو عليهما « ولم يتعب البحر. بقي ساهرا.. وما انفكّ متقدّما تحت ستار الظّلام، يداعب الطّفلتين النّائمتين عند أقدامه، يغسل الخدود الطريّة المتربة ... يدعوهما وقد تعالى الموج إلى أحضانه... وعبثا دعت الأيادي الصغيرة النجمة لتدفع نزق الماء، فنجمة الحلم ابتلعها الظّلام».

وهذا الضيق المكاني يرافقه ضيق ذهنيّ ونفسي تعيشه الشخصيّات ففي أقصوصة « الحريق»» توقّف قلم الكاتب. سقط من يده وقد عاد يهزّه السعال. أمسك رأسه بيديه. بدأ صدره يضيق والهواء يشحّ والدّاء المزمن اللعين يسجنه في زنزانته الخانقة»، نضيف أمثلة أخرى معبّرة عن هذا الضيق الذهنيّ الذي عرفته الراوية الشخصيّة في « حفل نسائيّ»، وهي تذكر أنّها» أمسكت رأسي المتشظّي.. فزّ الجسد هاربا من جحيم ظلمات الراقصين على رأس الذبيح... أستنجد بظلمة الليل في الخارج... أحاول النجاة برأسي المتشظّي ولكن عصيّ الطبول كانت تضرب أكثر رأسي، تشظيه والقرع يخترق كلّ شقوق الروح». ولا نتخيّل أنّ الضّيق المادّي والمعنوي اتّسمت به فضاءات الحكي ببعدها المكاني فحسب بل كانت متواطئة مع البعد الزّماني.

3 - الفضاءات الزمانيّة: والثنائيّات الرباعيّة:

قامت الفضاءات الزمانيّة في المختارات القصصيّة على ثنائيّات مختلفة: أوّلها ثنائيّة النور والظّلام. فمعظم الأقاصيص يبدأ الحكي فيها صباحا فيكون النّهار إلى أن يباغتها الليل فيسقط القصّ فيها على عتبات الظّلام، وهي محكومة بثنائيّة النور والظّلام كما هو الشّأن في أقصوصة التحقيق، وحفل نسائي، والعصفورة، وقهوة إكسبريس» هذا المساء لن يأتي القطار معذرة أمّي»، وزهرة، أقصوصة الشيخ والمساء» سيفتكّه الليل كعادته وأيّام البعد الطويلة «.

ثانيها: ثنائيّة الماء والهواء، إذ تحرّك القصّ العواصف وتهطل عليه الأمطار معلنة أنّ أحداثها تدور في فصلي الخريف والشتاء. وهذه الثنائيّة جليّة خاصّة في مجموعة خواتم « في الرّيح، ظلّ الثوب الحريريّ، خاويا ...يتأرجح على حبل الغسيل» من أقصوصة حبيبة. و» الشارع قفر والليل مثلج، ورجلك تغوص في وحل المحطّة في مياه المطر... ورأسك نوافذ مشرعة للرياح والذكرى، من أقصوصة «لك أن تحلم». وفي أقصوصة الطّفلة والرّيح « تعوي الرّيح تعوي بكلّ وحشتها صارخة، صاخبة.. تمطر بعنف بتمرّد»، وفي أقصوصة الحريق» يأتيني البحر البعيد مزمجرا، وقطرات المطر تنقر النافذة، والنوارس ترتفع من ناحية الشّاطئ تفتح أجنحتها في وجه الرّيح الماطرة وتعلو في رماد السماء الخضل».

ثالثا: ثنائيّة زمن الحرب وتحدّيات ما بعد السلم: وتمثّلها قصص كاملة بعينها مثل «سرقوا إلاهي» من مجموعة «نساء». و»صمتا إنّه التاسع» و»ليلة من ألف ليلة عربية من مجموعة «أسوار». وفيها يتراوح الزمن بين زمن الحرب بنوعيها المباشرة وغير المباشرة، وفيه عرض للتحوّلات التي تشهدها المدن والدول في هذا الزمن الذي تتغيّر فيه الأحداث نحو التعقّد والتوتّر اللّذين تعرفهما الشخصيّات.

رابعا: ثنائيّة الزمن الدّاخلي والخارجي: فما تعيشه الشخصيّة من توتّر داخلي، وما يعاش خارجا عنها من أحداث يعكسان حالة التأزّم في القصّ. وتظهر هذه الثنائيّة بشكل بارز في مجموعة أشواق وخواتم، حيث تعيش شخصيّاتها في عالمها الجوّاني بشكل واضح وبارز. ونأخذ مثالا على ذلك المعلّمة في أقصوصة « مع الأطفال» ولكنّها لن تعود إليهم .. لتعلن رفضها يوما بطريقة مّا.. جسدها يذوي يوما بعد يوم، وقريبا تعصف بها الرياح.. أحمد رحل والبقيّة يصارعون مجاري الهواء المثلّج. والكلّ منشغل عنها وعنهم».

4 - الحبكة القصصيّة: نفق ومرآة

الحبكة القصصيّة في « مرايا الأنفاق» كما النفق « مَمرّ يخترق الحواجزَ كالجبال أو البحار له مدخلٌ ومخرج» ولكن النفق في غالب الحكايا يبدأ القصّ فيه من نقطة النهاية. فالقصص تبدأ مع نهايتها وما بينهما شريط من الأحداث يفصّل المجمل ويفسّر النتيجة. وقد تنتهي معظم القصص بالفراق التأمّلي مهما كان نوعه فراق حياة أو موت أو اغتراب نفسيّ وجسديّ، قد يراها منطق القصّ القديم نهايات تعيسة بآليّات القراءة البنيويّة حسب تودوروف وغيره، ولكنّها في قراءتنا التأويليّة إذا كانت المذابح بأنواعها منصوبة في واقعنا الرّاهن هذا الواقع الموبوء بالتدنّي القيمي والإسفاف الفكري والخيانات السياسيّة فلا نلوم الكاتب/ـــة حينما تنصبها لأبطالها إشفاقا عليهم/هنّ من الواقع ومذابحه.

على سبيل الختام:

لم تترك بنت البحر للصدفة تفعل فعلها في مرايا أنفاقها، ولا للقضاء والقدر أن يتولّيا التخطيط عوضا عنها. ولا للعفو الإبداعي أن ينسح حبكتها. فهي الوحيدة التي لها اليد الطولى في صرحها القصصي، بيدها الميزان، ترجّح وتعدّل، ترفع وتخسف. إنّها كما في مرايا أنفاقها آلهة الخصوبة الإبداعيّة. ولكن آلهة الخصوبة الإبداعيّة فضحت لنا بعض أسرارها، إنّها تقتل أولادها، وإن نخال أنّها تذبحهم كما يذبحون، إنّها ببساطة لا تريدهم أن يحيوا في موت هذه الحياة.

« رسائل إلى بحار ورسائل أخرى» لسليمي السرايري... ترددات البحر في أصداف اللغة..

هيام الفرشيشي

"رسائل إلى بحار ورسائل أخرى": عنوان كتاب جديد لسليمى السرايري من صنف الرسائل الأدبية، تحتل جزء كبير رسائل إلى بحار، وما تبقى رسائل لشخصيات أدبية وشعرية تبدو علاقة الشاعرة بها قريبة جدا إبداعيا وإنسانيا. ولكنني سأهتم في هذا المقال بالجزء الموجه للبحار وذلك لأسباب ذاتية.. فالبحر تيمة اشتغلت عليها وبكثافة في قصصي ورواياتي وتستهويني الكتابة عنه إبداعيا ونقديا، أما السبب الموضوعي فهو شعرية البحر في رسائل سليمى السرايري والصور الشعرية المبتكرة في رصد علاقتها بالبحر. ولو عزلنا جانب البوح العاطفي عن هذه النصوص فإننا سنهتدي إلى العلاقة الإبداعية بين الشاعرة والبحر والتي تقوم على التركيب المشهدي و البعد التشكيلي والصور الشعرية مع توظيف بعض أساطير البحر وخاصة حكايات عرائس البحر و رموز الشواطئ الصخرية على غرار الكهوف والصخور...

سليمي السرايري

عتبة صورة الغلاف

تحتل الشاعرة مركز لوحة غلاف الكتاب من خلال المرأة الشابة التي تنظر للبحر متشحة بالوردي من الجهة اليسرى مما يجعل ملامحها واضحة. كما أنها تعتلي البحر بألوانه الزرقاء والخضراء المتدرجة ولكنها تحتفظ بظلها الوردي الداكن أسفل الغلاف وبالهالة الوردية الفاتحة أعلاها.. أما القارب فقد كان صغيرا إلى الدرجة التي تقلص من مجال الرؤية إليه ليبدو كالقارب الورقي التائه في فضاء شاسع. مما يجعل أنا الأنثى تستقطب المشهد وتغيب صورة البحار، سيما وأن مؤلفة الكتاب مساهمة في تشكيل اللوحة وهي الفنانة التشكيلية لترى ذاتها في عنفوان وردي. أما كتابة عنوان الكتاب و اسم المؤلفة فقد كان بلون الشمس والنور، وبدت الألوان واضحة وناصعة وقريبة، مما ينفي صبغة الغموض وتشكل موضوع الكتابة بتمعن وتخطيط ...

البحر فضاء سردي

البحر فضاء سردي بامتياز إليه وجهت الشاعرة اهداءها .. ففي الوقت الذي لا يعمر شواطئه البشر، فهم لا يذهبون إليه إلا للسباحة أو الصيد أو طلبا لنشوة التأمل والتخيل. ولا يتسم بزخم الأحداث والعلاقات بين الأشخاص، لكنه شاهد على قصص حب عابرة نشأت على الشاطئ، واحتضن لقاء العشاق.. فتكون تفاصيل البحر على قلتها مخزونا ثريا لبلورة فضاء القصة، وتكون الأحداث البسيطة مطية لاسترجاع تفاصيلها. ويؤدي البعد بين العاشقين إلى الشوق والانتظار ومراقبة الموج عله يعود بقارب الحبيب المبحر في أعماق البحر. الموج هو الذي يصنع الحكايات، فهو يغوي البحار ويترك الطرف الآخر/ الحبيبة على الشاطئ. ومن ثمة تتشكل الأزمة.. فهو استعارة لكل حكايات الفراق والعودة المتواصلة كحلقات المد والجزر..

"على شواطئه تعيش كل الذكريات، وتشيد القصور الرملية، فهو أصل القصص المشوقة ونحن الغرباء لا نفهم أبجدية الموج، كل الحكايات تبدأ من البحر وتعود اليه" .

ولا توظف سليمى السرايري فن التراسل لغاية البوح والتعبير عن العواطف الفياضة فحسب، بل في تخصيصها للمرسل إليه في صورة بحار، تستعين بالسرد لرسم علاقته بالبحر، وكيفية تشكل علاقتها به. كما تحدد زمن اللقاء:

" في أواخر شهر سبتمبر كانت الأصداف مستلقية مستسلمة للنعاس على الرمال ينعكس لمعانها تحت أشعة الشمس، والريح تحث خطاها من جهة البحر، لمحتك جالسا على الشاطئ الحجري تخيط بعناية الشباك قبل أن تعود إلى البحر".

الزمن له دلالة نفسية فهو زمن اللقاء والوداع في آن، هو زمن الحلم، كمن عاش قصة عابرة في المنام وحين أفاق اندثرت صورة الحبيب. فالصدفات غافية مما يدل أن اللقاء تم في حالة اللاوعي، ومع ذلك فهي صدفات تلمع. لعله الحدس في جذب صورة الرجل المحلوم به في أعماق الروح. الإحساس يجمع بين الاسترخاء وشعلة النور. والصدفات استعارة تبلور حالة الشاعرة. تنطلق من صورة ظاهرة إلى أخرى باطنية. أما الريح فهي تسلك اتجاه البحار المتنقل إلى البحر، تريد مغالبته وثنيه عن الإبحار، ولكنه يمضي في رحلة الصراع والحركة. وكانت شباكه المحبوكة لا تقتصر على صيد الأسماك بل تدل على الغواية .. بعينين زرقاوين اسر الفتاة الحالمة/ الشاعرة التي تسير على الشاطئ بقدمين حافيتين مبللتين بالموج العابث وشعرها الغجري تتطاير به الريح.. الريح تعاضد الأنثى في جلب انتباه البحار، ولكن انجذابه للبحر أقوى... وما عودته للشاطئ إلا من أجل الاستراحة من هول البحار، بل إحكام شبكة الصيد.. وعودته التي تحاكي عودة طيور النورس هي عودة بانورامية دائرية.

فالبحر ليس مجرد لوحة ألوان وإنما بتفاصيل شاطئه الحجري وميناءه القديم ورماله وصخوره يتحول إلى مشهد حي لنشوء حالة عاطفية ... فالانطلاق من المشهدية يجعل الشاعرة في صورة رسامة تقتنص صورة معبرة ممتزجة مع صورة شعرية موحية وبذلك تضاعف من قوتها الايحائية بتشكيلها بأكثر من فن.. فهي تسرد وترسم و تكتب صورة شعرية في آن.

لوحة الشاطئ

« تتسكع على شاطئ مقفر إلا من الطيور البحرية والأصداف النائمة على الرمال » لتركز حواسها على الأمواج وتحشد لها العديد من النعوت فهي بيضاء، مزمجرة، عالية، مخيفة، مجنونة، تلتحف بالزرقة ... تكون الشاعرة مركز الفضاء وهو شاطئ مقفر و لكنه آهل بالنوارس، وفي غياب البشر تتكاثر الطيور، وتعمر الأمكنة التي تؤمها.. تواصل الأصداف استلقائها وحلمها.. فالشاطئ زاخر بعناصر حية وهي الطيور البحرية وأصواتها الصادحة والصدفات التي تحلم بعمق البحر.. والشاعرة تخاف رغوة الأمواج، زبدها وجنونها وهي تنتظر فارسها. الشاطئ يستدعي الصورة البصرية والصور الشمية والسمعية يستدعي الذوق والتخيل..

"تلوح بيدها إلى كل قارب قادم تخاله قاربه" ، وفي قدوم بعض القوارب تتغير الصور من الخوف والتوجس الى الفرح والبهجة. فالريح ذات إيقاع فني وتجسد فوضى العواطف الرومنسية المتمردة . "ترقص معه للأشرعة والرياح.. لعبت الريح بشعرها فتشابكت خصلاته وتمردت" ...

الصور الشعرية

الصور الشعرية في هذه الرسائل استحضار ما حضر في الذهن أي اضافة للمشهد البصري الذي انطلقت منه. فهي تتأمل الأفق ليصبح مراة للبحر تسبح فيه بخيالها حين تربط فستانها بموج البحر وكأنها تشد للبحر ولا تريد الانقطاع عنه. اسبح في الأفق واربط فستاني بموج البحر. وكأنها تستدعي القوارب الموغلة في الاعماق برسائل الشوق. فالقصيدة تكتسب معناها بعودة القوارب تحلق حولها النوارس. وتكون صورها رائعة ملهمة.

قراءة في كتاب

« عندما تعود المراكب تعود قصيدتي على جناح نورس »

الصورة الشعرية لها قوة ايحائية تجمع بين التصوير البصري والخيالي والبحث عن التماثل بينهما انطلاقا من الحالة العاطفية.. فنحن لا نرى المشهد الخارجي من اجل نقله ووصفه وانما من اجل اضفاء بعد داخلي لرسم لوحة متخيلة . "ترفع البحر بكفيها الرقيقين في قبضة واحدة وتحطه على اعلى غيمة في السماء البعيدة". والصورة تدل على رفعة البحر، على تساميه جراء الانبهار به ، احتلاله مرتبة العلو الروحي: "كنت مبهورة بأسرار البحر ".

لعبة الكتابة : رسائل من وحي الخيال

تحاكي الشاعرة فضاء البحر وتنقله إلى تفاصيلها اليومية: جدران غرفتها اختارت لها لون البحر، رسمت لوحات البحر تزوق بها جدران غرفتها الصغيرة، تحتفظ ببعض الكائنات البحرية كالتمائم " أخبئ بعض نجمات البحر في منديلي المطرز بالحروف الاولى من اسمك"، تصنع القوارب الورقية، تناجي زرقة السماء، ترسم كل لحظاتها على الشاطئ، تصبح اميرة الشاطئ ترفل في حريرها العجيب. خلقت بحرا من خيالها، ورسمت مركبا ذهبي اللون يليق بالبحار.

ولا فرق بين غرفتها وبين الكهف البحري السري فكلاهما يجسدان أمومية الشواطئ و استراحة الروح بقولها : "أشعر بالخشوع وكأنني في كهفي البحري يرافقني صرير الريح في الخارج.. مستلقية على سريري الحجري .. يعانق الأفق البحر ويصغي لهمسه". الكهف الذي تستريح فيه عاطفتها ويصبح مأوى للقاء متخيل: "نجلس في كهف جميل عشش في أركانه اليمام". فالكهف له بعد اسطوري هو حضن الذات ونور القلب وهو يرمز الى " اللاوعي الأمومي" والاحتواء والتدفق العاطفي.

الى جانب الكهوف البحرية تحضر الصخرة : "اقف على الصخرة المعتادة أطل على السفن والقوارب" .. وللصخرة صفة الدوام والثبات والتشبث بالمكان والتماسك والاصرار ...

لعبة الكتابة أسفرت عن "دفاتر مليئة بالعطور والأصداف والقوارب والأمواج "

فقد أخذت من البحر عناصر شعريته وجعلتها حاضرة معها. جعلتها شكلا ولونا. جعلتها طاقة تضخ فيها الروح راسخة فيها "رموز بسيطة وقوية توقظ الفرح والحياة" ضمن استراحة وجودية رائقة. حتى انها تمنت أن تعوض أوراقها بخشب الزوارق أو الرمال، ولكنها قابعة في غرفتها تبدع رسائل لبحار قد يعبر عن لحظة كامنة في لقاء قديم، أو نظرة اعجاب ولكن الصورة تتحول الى مشاهد متناثرة وتتسع وتبحث عن كل التفاصيل. فينجلي صوت الشاعرة يبحث عن صداه في الموج. في رسائل يأتي بها النورس " لم ترتو من رسائل وصلتها على جناح نورس ناصع البياض". النورس باجنحته البيضاء يسافر بين العوالم وعلى عكس الحمام فهو يحمل رسائل الروح ": لم يكن الانتظار غريبا وأنا جالسة قرب نورسة".

المخيال الاسطوري

رغم صخب البحر و توجس الشاعرة منه فهو يحوي كائنات انثوية أمومية تأخذها الى رحلة آمنة في أعماقه ": جاءت حوريات البحر عند قدمي المبللتين بالطحالب والزبد.. غاصت بي الحوريات في العمق حيث الكهوف، وقصر الحورية التي اختطفت البحار. "تحدثني عنك حوريات البحر الجميلات اللواتي يمسكن بخشب قاربك وهن يضحكن ضحكات خفيف،

خضبت جسدي بحناء المرجان. لتستحيل مياه الأمواج حريرية مشاكسة ترافقها حوريات البحر يسترحن على الصخور المتناثرة هنا وهناك في مياه شديدة الزرقة كعيني البحار.. بحثا عن اغنية بحرية..

تحملنا الشاعرة إلى مخيال الماضي، إلى عرائس البحر اللاتي كن يفتن البحارة بأغانيهن العذبة.. الى الموانئ القديمة التي نسجت حولها الكثير من قصص الانسان والبحر وكائناته العجيبة. تحاول ان تكسي تلك الحكايات بهيأة حقيقية، وكأنها من ترددات الماضي او الذاكرة، أو كأنها عاشتها بالفعل لذلك تستعمل عبارات من قبيل المرفأ العجوز، أتفقد بريد الموانئ المنسية، ابحث عني في خرائط منسية قرب البحر. ركبت قاربك وغادرت الميناء القديم الى جهة الشمال...لتعبر عن فكرة رحيل البحارة الى الشمال عبر غوايات البحر تاركين تفاصيل لا يمكن محوها.

الخاتمة

حين تكتب سليمى سرايري رسائلها الى بحار مجهول طرزت اسمه على منديل ولم تبح باسمه، فهي تحملنا إلى رحلة إبداعية مع البحر، يقذفها الحنين إلى أشياء منسية كالاحلام تبث فيها وجد العاطفة. فتخرج عن كتابة الرسائل العادية إلى أخرى عالية الشعرية.

صورة تتحدّث

قفصة / 1954 / قهوة عليّا

صورة مؤرخة لسنة 1954(حسب المصدر) تتصدرها بناية قهوة_عليّا، نسبة لصاحبها المرحوم "عليّا خلف الله"، (الطابق العلوي مدخله مقابل سبالة السوق)

قهوة_عليا محفورة في ذاكرة أهل قفصة، رغم انها عمرها لم يتجاوز النصف قرن من الخدمة، قبل أن تغلق في التسعينات،

تلك المقهى بموقعها الاستراتيجي في قلب بطحاء السوق؛ غربها سبالة_السوق و شارع_ كيلاني_مطوي و شمالها سوق_الحطب حيث حطة_ الكاليس (ساحة_المسيلة حاليا) كانت العنوان الأبرز للقاء، ففي الطريق إليها لا يضيع أحد

تلك التي احتضنت العمال صباحا في إنتظار عمل ليوم أو ايام سواء في حضائر البناء (المرمة) او في الفلاحة، قبل أن يغييرو وجهتهم الآن إلى #قهوة_زهيو، فيها تجد الكاتب العمومي بمحفضته فيها لوازمه إن كانت لك شكاية أو مطلب أو حتى استشارة قانونية أو اجرائية، و فيها إذا اردت أن تسأل عن شئ أو احد تجد ألف من يدلّك،

فيها لقاء الاحباب و الاصحاب عشيا، بعد يوم عمل، على الطاولة تاي او قهوة فيلتر او #قازوزة_ غربية، طرح شكبة أو"رامي" و الكثير من "الضمار" و الكثير الكثير من الضحك يمسح شقاء اليوم، متنفس للأرواح التلقائية بطبعها، حتى وقت "العشاء" تودع حرفائها لتفتح بابها في يوم جديد،

تحتها (يمين الصورة) يسبقها بفتح ابوابه #الفطايري، فطائره لافطار المسافرين و التجار و رجل اختار أن يرجع إلى أهل بيته بعد صلاة الصبح ب<عرصة فطاير> (تعبير مجازي يستعمله أهل قفصة لوصف الفطاير فوق بعضها)،

و جرت العادة في قفصة، عند المناسبات (الافراح أو الجنائز)، يشتري احد الجيران الفطائر لافطار الضيوف كمساهمة منه

قفصة؛ كل صورة تروي حكاية

عن ناجي القفصي

قراءة انطباعية في مجموعة «هاجرة ليل» للأستاذة القاصّة نجوى العريبي

شكري الدشراوي

هذه ليست دراسة نقدية أو تحليلية بالمعنى المتعارف عليه. هي تسجيل للانطباعات الحاصلة من القراءة الأولى لمجموعة قصصية استقبلتها بأفق انتظار يستشرف القدرة الحِرفيّة للقاصّة.

استقبلت هذه المجموعة تسبقني انتظارات ما أعرفه عن القاصّة سلفا، وكانت العتبة الأولى: عتبة العنوان، « هاجرة ليل « ! هل ثمة هاجرة بالليل !!؟ هذه مفارقة دلالية واعدة أقحمتني مباشرة في مسارب التوقّع التي أثّثتها لنفسي قبل فعل القراءة. « هاجرة ليل « ... قوة الإيحاء الخاصة بالشّعر، ومؤشّر الرّمز المولّد للتكثيف، وعدول اللغة الضامن للإبداع .. ما أشدّني شوقا إلى هذه « الهاجرة « ! ما أحوج بصيرتي إلى هذا « الليل « وقد عشي البصر من زيف الأضواء!

أقبلت على المجموعة تحدوني أنجمها تتلألأ في «ليل» العنوان فوجدتها كنجوم السماء التي نعرف: بعضها خافت البريق، وبعضها شديد اللّمعان والتلألؤ. وجدت نصوصا حيّيتها تحيّة العابر، ووجدت نصوصا بكرا « ما افترعَتْها كفٌّ حادثة» فتوقّفت عندها توقّف المُقيم

يطلب فيئا من رمضاء « الهاجرة «. عن هذه النصوص لا عن تلك، سأتحدّث. « نشيد الألوان « .. هكذا بدأته، ولمّا انتهيت منه اكتشفت أنه كان « نشيج الألوان». نشيج لوحة مرسومة تعيش وعي الاحتراق بين نفاسة ما تحمله في متنها، ودعارتها وهي تبيت في بيوت الأثرياء أو تعرض نفسها للفرجة في أروقة «الثقفوت». لوحة تعرّي قبح الواقع مرتين: مرة بما تضمّنته من رسم يكشف عن وحشية الإنسان ومرة بمن اشتراها في سوق النخاسة السياسيّة ليباهي بها أثرياء المزادات، مزادات الضّمير. وليست الحكاية في هذه الأقصوصة بأدلّ على حرفية الساردة من فعل الحكي نفسه، ثنائية الخبر والخطاب كما درجنا عليها في أيّ تناول للنصوص السّ.ردية. الخطاب ها هنا مربك : «احتللتُ الصدارة «، تاء المتكلّم المفرد التي توهمك أنّ السارد شخص مثلي ومثلك قبل أن يكون شخصية ذات كينونة ورقية تحتمل كلّ التشكّلات. أبحرت مع هذه « الأنا « التي تُحدّثنا عن أمّها وعن ظروف حملها وأنا أرافق فيها كينونة بشرية افترضها ذهني المدرّب على العاديّ من الكتابات حتى بدأ الشكّ يدبّ فيّ ثمّ اكتشفت : هذه « الأنا « ليست إنسانا ! إنها لوحة تأنسنت بمشيئة إلهة القصة ! رائعة هذه المراوغة التي تعصف بالمتوقّع

وتتخطّى بك الواقع الممكن إلى متاهات العجيب أو السرياليّ أو «الافتراضيّ» لا سيما ونحن في عصر الافتراضي! أعيد القراءة من البداية متسلّحا بهذا

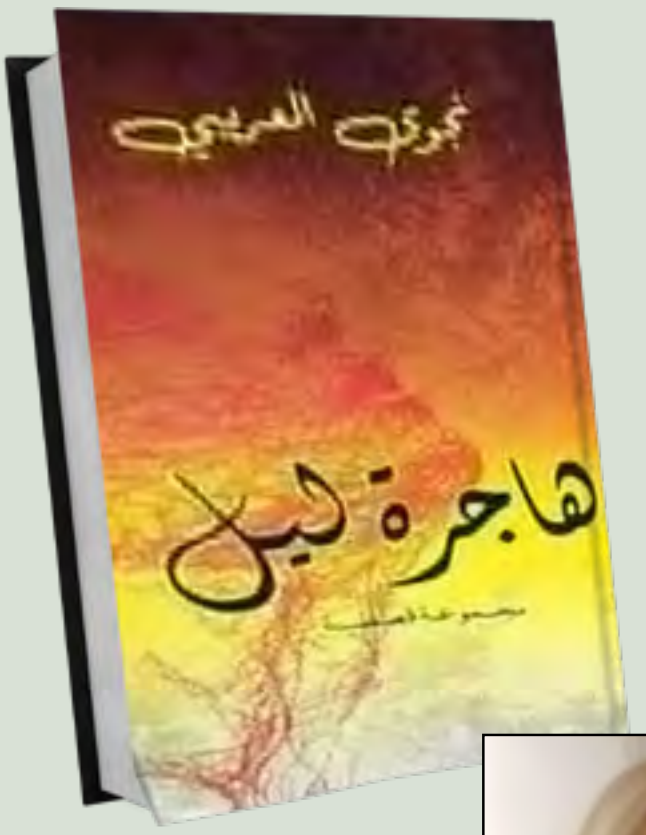

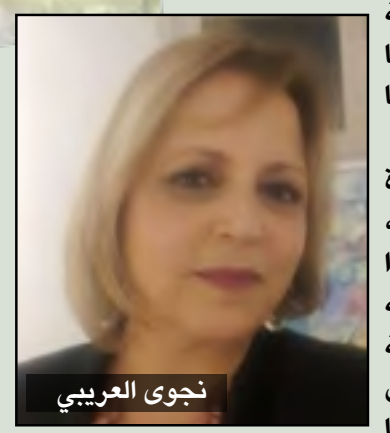
نجوى العريبي

الإدراك الجديد ففهمي لأمور القصة لم يعد على مقاس توقّعي المسبق. هكذا ودون سابق إنذار، يغمرك شلّال من الدهشة هو قطاف ما نرجوه من كلّ قراءة. وقد بلغت منّي الساردة هذا الإدهاش، فقد شعرتُ في نفسي «بلذّة النص ومتعة القراءة» على حدّ عبارة رولون بارت. / الأقصوصة الثانية التي استوقفتني، «الكوة الزرقاء». هو أيضا عنوان لا يخلو من غموض ولا تستطيع أن تقترب من مدلوله إلّا حين تشي بداية القصة « بإرسالية قصيرة على الموج الأزرق». هكذا إذن : العالم الافتراضي، العالم الأزرق. عالم ميتا أو فيسبوك سابقا. الحكاية مغربة فهي المرآة التي تعكسنا جميعا نحن الذين ألهانا عالم فيسبوك عن التلفاز وعن التواصل الحواري المأنوس مع العائلة وأنشأ لدينا قيما جديدة عصفت بما سبق وكادت تعصف حتى بما كنا نراه « ثوابت قيميّة». إننا نمارس لعبة الفضاء الأزرق متوهّمين أننا نجد فيها خلاصنا لنكتشف أننا زدنا إلى قيودنا قيدا أوثق وإلى إدماننا إدمانا أشدّ ! هل هو فعلا عالم افتراضيّ!؟ وكيف يكون افتراضيا ونحن نتفاعل معه تفاعلا شعوريا حقيقيا: نحبّ، نقسو، ننقم، نسخر، نناكف ... كيف يكون افتراضيا وقد وصل المنقطعَ من العلاقات وقطع ما كان موصولا منها .. كيف يكون افتراضيا وقلوبنا تنبض لمن في الضفة الأخرى وإن كنّا لم نلتقه فيما سبق من الدهر ..! هي قصّة أحسب أنّ الجميع واجد نفسه فيها وهذا سرّ قوّتها./ الأقصوصة الثالثة التي ورّطتني عاطفيا مع وضعية كنت منها على مسافة هي أقصوصة قرار. المتحوّلون جنسيا، العلاقات المثلية .. هذه مسائل لم تكن مطروحة على بساط التداول، لا في السرد ولا في الواقع. كنا نستحضر بعض النماذج في أحاديثنا الجانبية بكثير من السخط، وكنا نستقبل هؤلاء إن صادفناهم بصفاقة المتنمّر أو رثاء المشفق. الساردة تدخلك إلى هذا العالم ومشرط الجرّاح بيدها يتقصّى مواضع الألم لدى هؤلاء المنعوتين ب « خنثة ذكر» فلا تملك إلّا أن تتأثّر وقد انكشفت لك عن عالمهم خبايا ما كنتَ لتراها من قبلُ لولا قدرة القصّة على أن تنير من نفسك ما كنت تعتقده ظلاما. ثمّ يمتدّ عمل هذا المشرط ليصل إلى اللحم الحيّ : قضية المثلية الجنسية أو السحاقيات كما جسّدتها القصة. التابوات أو المواضيع المسكوت عنها. لماذا نحب القصص!؟ ربما لأنها تقول ما لا نجرؤ على قوله في الواقع، أو لعل ذلك

بعض من أسرار جاذبيتها./ « كما البطّيخة «، هو نعت لرأس ذاك المولود من رحم القصّة، «كما الهريسة النابلية « التي تعرف الكاتبة أسرار لذّتها وهي النابلية الأصيلة. حارّة لكنّ الطعام لا يكتسب نكهته إلا منها، هكذا كانت منزلة هذه الأقصوصة من المجموعة... « خالتي ماذا تخفين في بطنك ؟ بطّيخة !! بطّيخة عملاقة!». (خوذو فالكم من عند صغاركم، وكلمة عليها ملك وكلمة عليها شيطان). هكذا كان سؤال الطفل إشارة استباقية لما سيحدث : رضيع مشوّه برأس كبيرة «كما البطّيخة». تذكّرت فلمين كنت شاهدتهما في شبابي : ÉLÉPHANT MAN (الرجل الفيل) و LA BELLE ET LA BÊTE(الحسناء والوحش). أذكر أنني بعد المشاهدة لم أعد كما كنت في قناعاتي السابقة ولكنّ بواطننا تحتاج إلى ما يشحذها حتى لا تصدأ. هذه العاطفة النبيلة كادت تصدأ لديّ لولا أن صقلتها هذه القصة من جديد. نسمّيهم مسوخا وننعتهم بالبشاعة !! هم فقط مختلفون. لو نظرنا إلى الأمور بمنظار فنّي أو أخلاقيّ راق لما زدنا على وصفهم بالاختلاف. الجمال والقبح ليسا حقيقتين جوهريتين إنما هما من العوارض، أنا معتزليّ الموقف في هذه المسألة، وهذا ما انتهت إليه والدة ذاك الرضيع «رأس البطّيخة». ما أبشعنا قبل القصّة!.. ما أجملنا بعدها !.. / هذه أهمّ الأقاصيص التي تركت فيّ أثرا عميقا، وهذا لا يزري بالأقاصيص الأخرى التي لم أعلّق عليها قطعا ولكن « حبّكَ الشيءَ يُعمي ويُصمّ». ولا يفوتني في هذا العرض الانطباعيّ أن أنوّه بالكاتبة وإن صرت أخشاها. أنوّه بما لديها من اقتدار وحرفيّة تتجلّى في تلك المفاجآت العاصفة التي تذيّل بها أغلب أقاصيصها، وأخشاها لأنها كشفت لي عن «مجرمة» متمرّسة تناور أغلب أبطالها وترخي لهم حبال الأحلام قبل أن تجهز عليهم. وما هكذا عرفتها لمّا زاملتها بالجامعة. لكن ما يعزّيني عن هذا الخاطر السوداوي أنّي لست أحد أبطالها الورقيين. شكرا للحياة الواقعيةالتي أنقذتني!

فقراء رمضان متى يغتنون

وفاء البوعيسي - كاتبة من ليبيا

منذ 1500 سنة والفقر منتشر في معظم دول العالم الإسلامي، وينسحب ذلك على المسيحيين واليهود. ويستمر الفقر رغم أن كل إله قد أعلن أنه مُرسِل الرزق للمستبسلين في عبادته. أما إله الإسلام فقد ذهب بعيدًا في إظهار سخاءه. (إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ). (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا). فهو إن شاء منح. (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ). (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى).وإن شاء منع: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِر). دون قاعدة واضحة في الحالتين، ودون ذكرٍ لجهد الإنسان في إعالة نفسه: وقد عُد المواليد من ضمن الأرزاق: (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) ومثل ذلك المُلك: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ). حتى الحكمة عُدت من العطايا: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء).أما الطبيعة، المؤول المستدام لكل الكائنات بفيضها وجُودها فمقاليدها في يده وحده: (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ). لقد دمر الله قرابة 100%90من الكوكب في الطوفان. مكتفيًا بزوجين من كل حيوان، ونفَر من أهل نوح. وأفنى البقة. وبعد قليل انشق أتباع نوح وعادوا إلى الشرك. و(فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ...). وكان العقاب على جناية اللواطة التي تتأذى منها النساء ويتراجع بسببها النسل. لكنه شال القرية بما فيها من نساء وأطفال وطبيعة وحضارة، عدا لوطًا ونفرًا من أهله. وها هم المثليون اليوم ينالون حقوقًا ويؤسسون عائلة من أرحام صناعية وأرحام مستأجرة. بل ويغيرون جنسهم بحجة اضطراب الهوية. (Gender dysphoria). (كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) وأخذ القُرى يعني أخذ الشجر والمحاصيل ودواب الحقل والجياد وتلويث البيئة. فقد كان الله مستعدًا لتخريب ما صنعت يداه، وتجويع الناس بلا هوادة. مُضحِياً بدهورٍ لا حصر لها من العمل المتقن في دقائق وجيزة، لأجل كسب جماعات صغيرة رفضت الإيمان به.

فقيرٌ صائم وإلهه مَلِك الملوك

أريد أن أؤكد على كوني محيطة بعوامل الفقر في العالم، وجميعها يرجع إلى نشاطات الإنسان المحضة مثل: التوزيع غير العادل للموارد، عدم الاستقرار السياسي، الفساد، الحروب، التمييز وعدم المساواة الاجتماعية، نقص التعليم، البطالة، الأجور المنخفضة، وممارسات العمل الاستغلالية. وأخطر هذه العوامل هو تغير المناخ. لكنني أريد التركيز على من قال عن نفسه:)وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ(و(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) وأن(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) و(وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ). فكثيرون جدًا راعوا متطلبات الآيات أعلاه لكنهم ظلوا في عوزٍ شديد. أما الشيطان، فيُفتَرَض به أن يحرّض على السرقة والفساد وأكل مال اليتيم، مما يعني أن وسوسته ستمنح الإنسان ثروةً لا عوزًا. أما الفقر عند من يملك خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فهو شيء يشبهه العدم تقريبًا. إذ عرّف النووي الفقير بأنه: «من يحتاج لعشرة دراهم ولا يملك إلا اثنين أو ثلاثة.» أما صاحب التهذيب: «لا يُعطىَ سهم الفقير حتى يصرف ما عنده إلى الدِين». وثمة فرق بين الفقير والمسكين: فالفقير هو من كان في مسيس الحاجة، أما المسكين فهو الذي عنده بعض الشيء. وهذا ما كان في عهد النبي واعتمده مالك وبقية الأربعة.

لقد وَرَثنَا فقر مكة العجفاء، في بنغازي وأمستردام وألاسكا... إلخ. وهو فقر أُناسٍ عاشوا في كرب، يربطون حجرًا على بطونهم، ينامون في خيام ممزقة مع بعير أجرب يخشون موته في كل لحظة. يضطرون للاستدانة والتسول وقطع الطريق والإغارة على الآمنين. وكان يومهم يمضي برشفات لبن وقليل من ثريد أو تمر. وقد يتخلصون من بعض أهلهم بالطرد أو بالوأد. كانوا يدفنون أطفالهم تجنبًا لرؤيتهم يموتون أمامهم ببطء بسبب الجفاف. والغريب أن الله الذي عنّف مرتكبي جناية الوأد وتوعدهم بالجحيم، لم يتلطف بأولئك الصغار ويرسل لهم من السماء ماءًا مدرارا ليُنبت الكلأ ويدر حليب الأمهات. والأغرب هو ذلك السيناريو الذي أعده لهم يوم القيامة، إذ سمح للرضيعة أن تشكو إليه أمر أبيها القاتل: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ). وقد تقصّد الله اختيار الأنثى لتسأل ذلك السؤال المؤلم، رغم أن الأب كان يدفن الذكر أيضًا، وذلك لأن الأنفس عادة ما تتعاطف مع الأنثى أكثر لأنها مهيضة الجناح ومستضعفة.

لقد استدر الله عطف قارئ القرآن بكل زمان ومكان على تلك الصغيرة، في الوقت الذي خلق فيه عن قصد مناخًا معاديًا لكل أشكال الحياة، أو أنه خلق أولئك الموءودين في ذلك المناخ المتطرف. وهو يعرف مدى تأثيره عليهم. من هنا سنفهم لماذا في سيناريو الجنة لم تجرؤ الصغيرة على أن تشكو الله لنفسه، لأنه يسأل ولا يُسأل، ولأنه لا قواعد إلاهية واضحة في بسط الرزق أو قبضه.

فقراء الأمم المتحدة

الفقر في قاموس الإسلام هو خواء المعدة. والزكاة فيه تجب على كل مسلمٍ ملك فضلاً، أي زيادةً عن قُوته وقُوت من يلزمُوه في يوم عيده من النهار لليل، ولو لم يكن لديه نصابًا، أي مبلغ مقدر من المال. ويعني ذلك أن المسلم في آخر يومٍ من أيام الصيام ليلا، وقد توفرت له ثلاث وجباتٍ ليوم عيده كاملا، ووجبة واحدة فقط لثاني أيام عيده. فعليه التصدق بالفضل من تلك الثلاثة. أما الوجبة المُتَصدقُ بها فيصح أن تكون شعيرًا أو تمرًا يُخرجه المسلم بِمُد يدي النبي. واستعمال اليدين في حساب الكمية، لأن الناس على ما يبدو كانوا من البؤس بحيث لا يملكون ميزانًا. وكما تُؤدى الزكاة بالحبوب والتمر، يمكن أن تؤدى بالمال، كأن يدفع المسلم ثلاثة دنانير عن وجبة الشعير أو التمر. والحق أنني عندما أُدقق في حال مانح الزكاة وحال الممنوح له، لا أكاد أجد فرقًا بينهما في العوز. فالمانح مسكين والممنوح له فقير. وثمة ما هو أغرب من ذلك، إنه أن المسكين سيدفع مقدارًا هو ذاته المقدار المفروض على السلطان هيثم آل سعيد، والملك سلمان بن عبد العزيز، والشيخ محمد بن راشد، والسلطان قابوس. وصحيح أن الغني له أن يزيد في الصدقة ما شاء له الزيادة، إلا أن ذلك ليس واجبًا. ولأن الإسلام لا يعرف شيئًا عن علم الإحصاء، الذي يلعب دورًا حيويًا في جميع مجالات النشاط البشري، منها تحديد دخل الفرد، وتحري البطالة وعوامل الفقر، ومعرفة معدلات النمو السكاني، وتقدير الضرائب على كل مقتدر حسب ثروته، فقد قرر تساوى المسكين وفاحش الثراء في قيمة الزكاة. وهنا تواجهنا معضلة أخرى، إنها أن مبدأ الشفافية غير منصوص عليه في القرآن لفحص أصول الأثرياء ومعرفة كيف راكموا ثرواتهم. عدا عن أنه لم يأت بمشروع حياة اقتصادي نستفيد منه في الدنيا لردع الفقر، كما لم يزودنا بأي بتعليمات للقضاء على الاستغلال والفساد، فقط وجه جهوده للآخرة لأنها دار البقاء: (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ). (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ). ولنقف قليلاً الآن عند تعريف الأمم المتحدة للمسكين: «إنه من لا يجد مصدر رزق مستدام يُبقيه على قيد الحياة في حاجاته الضرورية». وهي قطعًا ليست إشباع المعدة، بل هي الدخل الثابت، والسقف الآمن، والتعليم، والدواء وتكوين أسرة. وهذا التعريف في حده الأدنى يكفل الكرامة للإنسان. لأن الأمم المتحدة تنطلق من معرفتها بمدى غِنى كوكب الأرض جوفيًا وسطحيًا ومداخيل كثير من الدول، وتَركُز الثروات في قرابة 400 شخصية فقط في العالم. أما الله فلا أدري حقًا من أي موقف انطلق. لأنه إنما يمنح رزقه أو يمنعه بمحض المشيئة. وهو حتى لم يأخذ جهد الإنسان في السعي بالحسبان. والمسألة كلها عندي تكاد تجنح للاعتباطية. ولا تخدم فكرة تحرير الإنسان من الفقر والاستغلال وتبعات ذلك على كثير جدا من الدول، وتخلف إنسان تلك الدول وارتهانه لـ «الـكافر»، وعيشه على المعونات والتبرعات. بالوقت الذي يملك فيه إلهه خزائن السموات والأرض.

طوفان نوح (ج2)
وطوفان ملحمة غلغامش* والأساطير اليونانية وغيرها من أساطير الشعوب

الناصر التومي - كاتب

ترجمت ملحمة الطوفان ونشرت باعتبارها جزءا من رحلة غلغامش في بحثه عن الخلود يلتقي بـ « أوتنابشتم» الذي يُعتبر خالدًا لكبر سنّه وعدم موته في ذلك السن، ويحكي له حكايةً مشابهةً لقصّة نوح المذكورة في التوراة، نجد فيها دلالاتٍ على الفكر الإنساني البسيط في تلك الأيام، و أن الشرّ يجلب غضب الآلهة.

قال «أوتنابيشتيم» إلى «غلغامش»: سأكشف لك عن سر وأشرح لك أعجوبة من أعاجيب الآلهة، إن «شوروباك» المدينة التي أنت تعرفها الواقعة علي شاطئ الفرات كانت تسكنها الآلهة في قديم الزمان فقررالآلهة الكبار إحداث الطوفان، تذاكروا مع أبيهم « أنو» ومع مستشاره البطل « أنليل» ومساعدهم «نينورتا» وحاجبهم « أنوجين» وكان حاضرا معهم «ايجي ـ كو « فنقل كلامهم إلى سياج القصب، يا سياج القصب، أيها الحاجز اسمع يا سياج واصغ أيها الحاجز، يا رجل « شوروباك» وابن « أوبارتوتو» قوض بيتك وابن لك فلكا، تخلّ عن ثرواتك وانج بنفسك فقط، انبذ الملك وخلّص حياتك، واحمل في السفينة كل بذرة حية، أما السفينة التي ستبنيها فعليك أن تضبط مقاساتها، وليكن طولها وعرضها متساويين، وغطها بسقف كسقف «أبسو»، ولما وعيت قلت ل « أيا « سيدي، سأطيعك من جهتي سأنفذه.

(1) جاء في كتاب قاموس أساطير العالم أن قصة الطوفان في غرب آسيا تعود إلى بلاد ما بين النهرين، إذ توجد قائمة بأسماء الملوك السومريين تعطي أرقاما قياسية لفترة حكمهم ويذكر أن الملوك الثمانية الأوائل حكموا فترة ما بين 200 إلى 241 عام ثم جاء الطوفان، وهؤلاء الملوك هم الآباء قبل الطوفان ومن ضمنهم «غلغامش» و»تموزي»، ومن كسر الرقم الطينية الباقية فإنها تذكر بأن الآلهة قرروا إغراق البشر ولكن إله المياه « أنكي» حذر الرجل المتدين « زو سودرا» ملك « سبار» حيث بنى فلكا للهرب من طوفان السبعة أيام، وحصل « زو سودرا « على الحياة الأبدية مثل الإله، وفي الأدب الأكادي يوجد نصان لقصة الطوفان، ففي ملحمة «غلغامش» يصبح « أوتانا بشتم» البطل، بينما في أسطورة أخرى فإن الذي بقي بعد المجاعة والطوفان هو « أطراحاسيس» وخلال حكم الأشوريين فإن أسطورة « أطراحاسيس» كانت تغنّى خلال الولادة.

جاء في آثار بابل عن الكاهن المصري «بيروسوس» من رجال القرن الثالث ق.م. أنه في عهد الملك» أكسيسوثروس» حدث طوفان، حيث بنى الملك فلكًا أخذ فيه عائلته وأصدقاءه المقربين إليه، وجمع فيه من الطيور والحيوانات والمؤن حتى إذا انقطع المطر أرسل بعض الطيور فجاءته وأرجلها بها طين، وهكذا في المرة الثانية، وفي الثالثة لم ترجع، وقد رسى الفلك في» أريدينا».

أقدم رواية عن الطوفان في بابل هي « ملحمة غلغامش» التي جاء فيها أن «غلغامش» سأل « أثنافيشتيم» عن سبب بلوغه الحياة اللانهائية، فروى له قصة الطوفان، كيف أن أربعة آلهة قرروا إهلاك العالم بالطوفان، لكن إله الحكمة « أيا» أمره أن يضع فلكًا ليدخل فيه مع أسرته، وأنه أرسل بعض الطيور ليتفقد أحوال الأرض فعاد بعضها يحمل غصنا من الزيتون. بعد خروجه قدّم ذبائح شكر فجاء إله الحكمة يباركه هو وزوجته ويهبهما الحياة الخالدة.

الطوفان الفارسي(2)

حذر « أهورا مزدا» « يما» في الأساطير الفارسية من أن البشر الخاطئين سيتعذبون في الأرض وسيأتي شتاء مدمر وطوفانات وأمطار وثلوج، وللهرب من هذه الكارثة أخبر»يما « أن عليه الدخول في مخبئه السري وقال له: اجمع كل بذور النساء والرجال من أجملهم وأطولهم وكل أنواع الحيوانات من أجملها على الأرض، وكذلك كل النباتات من كل أنواعها وكذلك الثمار من أحسنها وأطيبها واجلب من كل زوج اثنين إلى مخبئك ولا تأخذ معك شيئا مشوها أو مريضا، ولا تأخذ معك أي شر من شرور « أهرمان» ويقولون إن « يما» سيأتي في آخر الزمان ويعيد الخير إلى وجه الأرض.

الطوفان في الأسطورة الإغريقية

طوفان زيوس(3):

أفرط البشر في ارتكاب المعاصي، وانتشار الفساد في الأرض، وجعلوا الفضائل وراء ظهورهم، وتمردوا على تعاليم آلهة الأولمب، فلم يعودوا يقدمون لها الولاء والطاعة والنذور، فغضب عليهم «زيوس» رب الأرباب، وقرر أن يمتحنهم بنفسه ويعطيهم فرصة، فنزل على ملك « ليكوسورا»» ليكاوونوس» في « أركاديا»، وأعطى لأهل المدينة علامة لكي يتعرّفوا عليه، فخرجوا جميعا ليقدموا إليه آيات الإجلال والاحترام والتقديس، أما الملك « ليكاوونوس» فقد استكبر عن تقديم فروض التكريم، وسخر من الأهالي الذين رحبوا برب الأرباب، وإمعانا في الاستهتار ذبح أسيرا لديه وقدمه طعاما لزيوس، فغضب رب الأرباب وصعد فوق السحاب، وأرسل صاعقةدمرت قصر الملك، ومسخ صاحبه ذئبا هائجا.

وتمادى شر الخلق فقرر «زيوس» قطع دابرهم فأرسل على الأرض أمطارا غزيرة أغرقت البسيطة، وتعاظمت المياه وتكاثرت في البحار والأودية وعلى اليابسة فغطتها، وبلغت رؤوس الجبال الشاهقة باستثناء قمة جبل « بارناس»، وغرق كل حي، ولم ينج من بينهم إلا اثنان وهما « ديوكاليون « ابن « برومثيوس « وزوجته « بيرا»، لقد أوعز «برمثيوس» إلى ابنه أن يعد صندوقا كبيرا من الخشب، ويحشد فيه طعاما وشرابا كثيرا، ويدخل فيه إلى أن يزول الطوفان، وتهادى الصندوق فوق أمواج كالجبال مدة سبعة أيام، إلى أن ألقت به على قمة جبل « بارناس»، وعندما كفت المياه عن النزول وانحسرت عن اليابسة المقفرة، نزل ابن « برومثيوس» وزوجته وقدما قربانا لزيوس الذي رعاهما طيلة أيام الطوفان.

ولمزيد تكريم زيوس « لديكاليون» بعث إليه برسول الآلهة « هرمز» ليخبره برضى زيوس عنه لتقواه وبره، وله أن يتمنى عليه شيئا يحققه له، فكانت إجابة ابن «برومثيوس» بأنه لا يرجو إلا أن تعمر الأرض من جديد بالبشر، ولبى زيوس أمنيته بأن أشار عليه وزوجته بأن يجمعا أحجارا كثيرة ويسيرا بها ودون أن يلتفتا ويرميا الأحجار وراءهما، فاستحالت حجارة « ديكاليون» رجالا، وحجارة « بيرا « نساء، فعمرت بالجنس البشري من جديد.

طوفان الميثولوجيا التايلندية(4)

جاء في الميثولوجيا التايلندية أن طوفانا قضى على كل بني الإنسان باستثناء فتى وفتاة تمكنا من النجاة بواسطة ثمرة قرع، ومن زواج هذين الشابين أتى كل سكان العالم.

طوفان جزر هاواي(5)

اكتسح الفيضان جزر هواي، فهرب « نو « في قارب بنى عليه بيتا ورسا القارب على جبل في جزر هاواي وقدم قرابين للسماء لخلاصه فقدم ثمرة الكافا وخنزيرا وجوز الهند.

الطوفان في الأساطير الهندية(6)

وُجدت صورة في هيكل للبوذيين لنوح داخل الفلك، والآلهة تتطلع إليه بشفقة، كما رُسمت حمامة تطير إلى الفلك ومعها زيتون.

ومن القصص الهندية أن الإله «براهما» ظهر ل « مانو» في هيئة سمكة، وأمره أن يصنع له فلكًا يدخله مع سبعة من الأبرار، ثم ربط الفلك بقرني السمكة، فسبحت به في الطوفان أجيالًا طويلة، ولما خرج أمرته أن يخلق العالم من جديد.

1 – قاموس أساطير العالم صفحة 52.

2 – المصدر نفسه صفحة 57.

3 – أساطير اليونان، فصل ديوكاليون وبيرا (الطوفان) ص152.

4 – قاموس أساطير العالم.

5 – قاموس اساطير العالم صفحة 250.

6 – قاموس أساطير العالم صفحة 92.

أساطير

تجسد الإله « فشنو » على شكل سمكة «ماتسيا ـ أفاتارا « لإنقاذ أبي البشرية من الطوفان، وتجسد «فشنو» أيضا في شكل سلحفاة « لاكورما ـ أفاتارا « لإنقاذ البشرية من طوفان آخر.

تروي أسطورة هندية أن « مانو « كان يغتسل في النهر فوجد سمكة صغيرة فتوسلت إليه ألا يقتلها وطلبت منه الحماية على أن تقوم بحمايته، وعندما سألها كيف يمكنها إنقاذه، أخبرته بأن طوفانا كبيرا سيحدث وعليه أن يحمل معه أحياء من كل زوج اثنين فقام «مانو» بوضع السمكة في كأس فنمت بسرعة فنقلها إلى برميل، وكبرت فوضعها في بحيرة فازداد نموها فأعادها إلى البحر، فنصحته السمكة ببناء سفينة لأن الطوفان سيحدث، وعندما ارتفعت المياه طاف « مانو» في قاربه وقامت السمكة بسحب القارب، وقد استغرق سفرهما وقتا طويلا وأخذتهما المياه إلى قمم جبال الهملايا وكان وحيدا فدعا من الله أن يمنحه أولادا فمنحه زوجة، ومن الزوجين خرج جيل «مانو» وهم أجداد الإنسان، وتقول الأساطير إن السمكة كان الإله « فشنو».

طوفان أساطير فريجيا بآسيا الصغرى(7)

عرف « أباخوس « وهي كلمة يحتمل أن تكون محرفة عن «نوح»، بأمر الطوفان فبكى من أجل الناس، وقد وجدت في «أباميا» «بفريجيا» قطع من العملة عليها صورة الفلك بداخله أناس، وخارجه طيور يحمل أحدها غصن زيتون، وبجانبه صورة لنفس الأشخاص يقدمون ذبائح شكر لأجل نجاتهم، وقد نقش عليها اسم نوح، وكان اسم المدينة القديم «كبوتوش « أي الفلك، إذ كان أهلها يعتقدون أن الفلك استقر في مدينتهم.

طوفان أساطير قبائل أمريكا الأوائل(8)

اغرق «الإله فيراكوشا « أعلى كائن لدى قبائل الأنكا ـ السكان الأوائل «بالبيرو» وكانوا من العمالقة لعدم اعجابه بهم، وخلق بشرا محسنا وجاب بينهم كمتسول وعلّمهم الحضارة والمعجزات.

نلاحظ أن الأساطير المصرية غفلت عن قصص الطوفان رغم أن جل الأمم والشعوب قد أولتها اهتمامها، وسجلت هذه الحادثة حتى شعوب صغيرة وقبائل بدائية.

من خلال قصة الطوفان في العهد القديم، والقرآن معا نجد تشابها كبيرا في قصة الطوفان مع الأسطورة الإغريقية، فنفس الأسباب هي التي أدت إلى الطوفان ألا وهي الكفر بالخالق والتنكر للفضائل، والانغماس في الرذائل إلى حد فظيع، وكان غضب الله بواسطة المياه وكذلك غضب «زيوس» ونجاة الخلق كانت مع نوح بواسطة الفلك الذي أمر به الله، وكذلك أشار «بروميثيوس» وهو من طبقة الآلهة وهو من خلق البشر في البداية بأمر من رب الأرباب، بأن ينجو ابنه وزوجته بواسطة صندوق كبير، ويرسو فلك نوح على قمة جبل أراراط في العهد القديم والجودي في القرآن، أما صندوق النجاة في الأسطورة الإغريقية فيرسو على جبل «برناس»، وينزل نوح في العهد القديم إلى اليابسة، ويعد مذبحا يقدم فيه القرابين لله، ليتواصل عهد جديد مع الإنسانية، وتستمر الحياة بنسل جديد من البشر يعمر الأرض، وكذلك يفعل ابن «بروميثيوس» يقدم القرابين حالما ينزل على الأرض، وتعمر البسيطة مرة أخرى بخلق جديد بمجرد رمي الأحجار الذكورية والأنثوية.

ونلاحظ أن العهد القديم أشار أكثر من مرة إبان ذكره للطوفان إلى عدد سبعة أيام ينتظر فيها نوح عودة اليمامة لتخبره عن حالة الأرض، وكذلك كان الشأن مع طوفان «زيوس» حيث طاف صندوق ابن «بروميثيوس» سبعة أيام قبل أن يرسو، وفي حديث وهب بن منبه طافت سفينة نوح بالكعبة سبعا.

ولو تمعنا في كل الأساطير التي تناولت الطوفان لتحققت من خلال المعطيات الرئيسية للقصص أو الأساطير أنها كلها اقتبست من معين واحد ألا وهو طوفان نوح الذي ذكر في العهد القديم وفي القرآن، تجمع كل القصص أن الله أو الآلهة هي التي قامت بالطوفان، وأن جل الأسباب تتمحور حول فساد البشر، وللنجاة منه استوجب بناء الفلك، الذي سيحتوي كل أصناف الخلائق من كل زوجين اثنين، باستثناء الأسطورة الفارسية التي أبدلت بمخبإ سري، والأسطورة التايلندية استعمل الناجيان ثمرة القرع كقارب، وأغلب القصص رسا الفلك على جبل، وبعضها حافظ على توظيف الحمامة لمعرفة حال الطوفان، وبعضهم أيضا قدموا القرابين لله أو الالهة لنجاتهم.

---

7 - موقع الإنجيل والأجبية، تفسير سفر التكوين.تمت الزيارة 10/3/ 2018 .

8 - قاموس أساطير العالم ص197 .

---

* المصدر نفسه، ملحمقة قلقامش، اللوحة 11 ص 244و245.

صورة تتحدّث

خالد التلاتلي

من مواليد هذا اليوم 24 مارس سنة : 1937 - خالد التلاتلي، إعلامي، مخرج ومنتج إذاعي وتلفزي تونسي.

- خالد التلاتلي : ولد بنابل في 24 مارس 1937 - توفي في 20 سبتمبر 1998، (61 سنة).

- بعد أن أكمل دراسته بمعهد الصحافة وعلوم الاخبار ثم مركز تكوين الصحفيين بباريس، اشتغل مقدما ومعلقا (commentateur-speaker) للأخبار التونسية التي كانت تُصوّر في استوديوهات باريس وروما ثم تبث بقاعات السينما التونسية قبل عرض الأشرطة السينمائية بين سنة 1958 و1963.

- التحق خالد التلاتلي سنة 1964 بالإذاعة الوطنية حيث أنتج العديد من البرامج الثقافية.

- تولى سنة 1967 إدارة دار الثقافة ابن رشيق حيث أسس وأشرف ونشط العديد من التظاهرات الثقافية والفنية.

- بداية من سنة 1966 قدم خالد التلاتلي العديد من اللقاءات التلفزية مع نجوم الطرب (أم كلثوم - فيروز - محمد عبد الوهاب - عبد الحليم حافظ وغيرهم...) كما أنتج للتلفزة التونسية العديد من البرامج الثقافية والفنية مثل برنامج "لقاء" حيث كان يلتقي فيه بأبرز ما في بلادنا التونسية من الشعراء والمفكرين والفنانين والأدباء.

- ومن الوجوه الاذاعية البارزة التي استضافها في هذا البرنامج الصحفي المشهور القدير عبد العزيز العروي، وقد تم تصوير هذه الحلقة على ما يبدو في بيت العروي إذ ظهر بلباس البيت الشتوي..

- تم تعيينه منذ سنة 1976 وإلى حدود سنة 1994 مسؤولا بمركز الإعلام للأمم المتحدة بتونس. ثم مستشارا في الإعلام والإتصال من 1983 الى 1998. كما أنجز العديد من الأشرطة الوثائقية لفائدة منظمات عالمية وخاصة منظمة الأمم المتحدة.

- كتب خالد التلاتلي (بالعربية والفرنسية) العديد من المقالات والدراسات في الصحف عرّف من خلالها بالعديد من الأعلام التونسيين أمثال : الشاذلي خزندار، محمد العريبي، خليفة الاسطنبولي، محمد المرزوقي، علي الرياحي، عثمان الكعاك.. الخ.

- تم تكريم خالد التلاتلي في عدة مناسبات من بينها : منحه جائزة الهادي العبيدي للصحافة... كما تم إطلاق اسمه على نهج بالمنزه....

على هامش محاضرة «التديّن وقضاياه في تونس» بالمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات :

أضواء على مخبر «الظاهرة الدينية» وكتاب «التديّن وقضاياه في تونس»: تعدّد المذاهب وتعدّد القراءات في القديم والجديد

محمّد الكحلاوي (أستاذ بجامعة قرطاج)

انتظمت يوم السبت المنقضي على منبر «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، بتونس وبالتعاون مع رابطة تونس للثقافة والتعدّد محاضرة قدّمها أ. د. محمّد بن الطيّب أستاذ الحضارة العربية ومسائل الفكر الإسلامي، وأدار جلستها د. عبد السلام حمدي، كان موضوعها «التديّن وقضاياه في تونس»، ومنطلقها وسياقها كما هو معلوم الكتاب الصادر عن مخبر الظاهرة الدينية، بنفس العنوان: « التديّن وقضاياه في تونس»، الذي هو في الأصل أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمها مخبر «الظاهرة الدينية»، يومي 11 و12 أفريل 2018. بكلية الآداب والفنون والإنسانيات – جامعة منوبة، حيث لا زال آنذاك وحدة بحث علمي مجال اهتمامها «الظاهرة الدينية في تونس»، تعمل ضمن هذه الكلّية بجامعة منوبة. أي أنّ الندوة العلمية التي قدّمت فيها البحوث الصادرة بهذا الكتاب، قد انعقدت، قبل أن تصبح وحدة البحث «الظاهرة الدينية» مخبرا علميّا وفضاء أكاديميّا مختصّا، ينشط صلب كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة، جامعة منوبة، بإدارة أ. د، محمّد بن الطيبّ، المشرف على مسار أعماله ومشاريع بحوثه العلمية وأنشطته الفكرية أيضا تنظيم ندواته وملتقياته الأكاديمية وإصدار أشغالها المحكّمة من البحوث والدّراسات المنجزة، في كتب ومراجع مختصّة، ضمن منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة وبالتنسيق مع جهات علمية رسمية أخرى.

1)- مخبر الظاهرة الدّينية: أفق نموذجي للبحث العلمي

يعمل مخبر البحث العلمي «الظاهرة الدّينية» بكلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة – جامعة منوبة على إرساء نهج دراسة وأسلوب بحث وتحليل علمي منهجي دقيق وعميق لتمثّلات الدّين في الواقع، ولتعدّد قراءاته وشروحاته، وتحليلا لتنوّع أشكال دمجه في الحياة الذهنية والروحية والاجتماعية ومجالات القيم السلوكية لاسيّما بالنسبة على المجتمع التونسي، وهو المجتمع الذي عرف كغيره من المجتمعات العربية الإسلامية تنوّع وتعدّدا في مجال المذاهب والفرق الفكرية العقدية (العقدية) ومدارس التفسير والتأويل للقرآن الكريم ولما صحّ من أحاديث نبوية، منذ ظهور الإسلام في ديار إفريقية والمغرب في القرن الأول للهجرة وإلى زمننا هذا، حيث ظهرت مناهج البحث العلمي وتعدّدت تيارات الفكر، واتّخذت نهجا أكثر عقلانية مع الفلسفة الحديثة وفي مجال نظريات العلوم الإنسانية وفي معارف أخرى مجاورة صار تأثيرها في تفسير الدين وفهمه وتأويله كعلوم اللغة واللسان وعلوم النصّ وتحليل الخطاب.. فكان من الجائز بل من المفيد أنْ ظهر انفتاح لافت للنظر واهتمام بالغ الأثر بتوظيف أدوات ومناهج تحليل ومناويل قراءة وتأويل مستقاة من الفلسفة والعلوم الإنسانية؛ التاريخ وعلم الاجتماع والأنتربولوجيا وعلم النفس، أو من حقل عالم تحليل الخطاب واللسانيات والبلاغة الجديدة والسيميائيات.... حيث يأتي ذلك تطلّعا إلى تحقيق أقصى ممكنات الفهم وأعلى درجات المعرفة بمسارات الظاهرات الدينية وما تطرحه من إشكاليات فكرية ومعرفية وأخلاقية ونفسية تتعلّق بالإيمان وعلاقته بالعقل والمعرفة وبالعبادة وعلاقتها

أ. محمد بن الطيب

بفقه المذاهب المختلفة وقضايا الاجتهاد، وكذلك اشان في ما له صلة بالمعاملات التي وردت في شأنها أحكام شرعية. ومن ضمنها ما يتّصل بمجال المشترك في مستوى الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية الثقافية..

فمن الطبيعي اليوم أن تتعدّد اليوم وجهات النظر حول تصوّر علاقة الدين بالحياة والإسلام بأنظمة الحكم، والتراث بالحداثة، وبالإصلاح في كلّ المجالات وبقيم العصر ونماذج التعليم والتنشئة أي أساليب التربية والتكوين في زمننا هذا.. وربّما يشتدّ الخلاف أكثر، فتتضادّ الآراء وتتصارع التأويلات، فتظهر آراء منفتحة ذات أفق واسع تلتقي مع المختلف، وتظهر أيضا نزعات إقصاء أو مواقف ازدراء تعمّق الخلاف، وتحدث شقّة التباعد، فيتمزّق نسيج الوحدة الوطنية وتهتزّ الألفة الاجتماعية...

إنّ صورة الدّين الإسلامي لم تكن واحدة عبر التاريخ في تونس وفي سائر بلدان العالم العربي والإسلامي، وكما أنّ تفسير الدّين وتأويله لم يكن واحدا في المنظور والاستنتاج رغم أنّ الدين واحد من جهة مصدره ومحمله، فالاختلاف قديما وحديثا بين علماء المذاهب وبين علماء المذهب الواحد، وبين الفقهاء والفلاسفة وبين الفقهاء والصوفية، وبين الفقهاء والمتكلمين من الخائضين في مسائل العقيدة وأصول الدّين ظلّ مستمرّا. فضلا عن الاختلاف اليوم لاسيّما بعد ظهور جديد مناويل الفكر والتحليل والقراءة... ومن ثمّ لم يأت قول عبد الواحد بن عاشر في المائة العاشرة للهجرة شعرا:

في عَقْدِ الأَشْعَرِي وفِقْهِ مالِكِ ... وَفِي طَرِيقةِ الجُنَيْدِ السّالِكِ

إلّا محاولة لرأب الصدع وتحقيق الوحدة وضمان استمرار إسلام المعتدل، يكفل للدين حرمته ووحدته واستمراره يحقّق للمجتمع أمنه الفكري والرّوحي واستقراره.

2)- حول كتاب «التديّن وقضاياه في تونس»

انطلاقا من ذاك القول للحكيم ابن عاشر الفقيه الصوفي صاحب كتاب «الدرّ الثمين»، انطلق الأستاذ محمّد بن الطيّب في التأطير والتأصيل لنشر محاور أعمال المؤتمر العلمي المشار إليه الذي استقام كتابا مرجعيا في ثوب أكاديميّ، حيث افتتح تقديمه بالإشارة إلى أنّ أعمال هذه الندوة جاءت للبحث علميّا والنظر منهجيّا، « في مسألة على غاية من الأهميّة هي التديّن وقضاياه في تونس»، ويمضي موضّحا بالقول: «فقد شاع عن الناس أنّ التديّن التونسي ثلاثي الأضلاع: أشعري العقيدة مالكي المذهب (الفقهي) جنيديّ التصوّف (أي في مجال الطريق إلى الله)، فأردنا أن نختبر هذه المسلّمة الغالبة الشديدة الجريان على الألسنة، باعتبارها مجرّد فرضية تحتاج إلى التمحيص وللتدقيق والتحقيق بغاية استكشاف أشكال التديّن القائمة فعلا في المجتمع التونسي، بعيد عن الصورة النمطية المتخيّلة والأحكام المسبقة». معنى هذا أنّ هناك فرضية قائمة تحتاج إلى البحث والدّراسة، وهي التي ترى أنّ هناك أفكارا ورؤى مختلفة في فهم الدين وتفسيره، بل توجد أشكال تديّن وتمثّل للدين الإسلامي، تختلف جزئيا ومن جهة التفسير والبيان والاجتهاد عمّا ساد أو اعتبر رسميّا، حيث إنّه إضافة إلى المدوّنة الرسمية أي السنية المالكية. وجدت عبر التاريخ مذاهب أخرى منها المذهب الحنفي في أوّل عهد إفريقية بالإسلام، ومذ حلول الأتراك العثمانيين بتونس انتشرت الحنفية، كذلك ظهرت المدارس الكلامية في مجال مسائل العقيدة وأصول الدّين؛ كالإباضية وفرق خوارجية أخرى أيضا الشيعة الفاطمية، ومقالات الاعتزال. كذلك ظهرت نزعات الفكر الفلسفي الصوفي سواء لدى أهل السنة المالكية أو لدى علماء الفرق والمذاهب الأخرى... أمّا في العصر الحديث مع تأسيس الدولة الوطنية الحديثة وظهور النخب الأكاديمية المفكّرة وثقافة حقوق الإنسان والاختلاف والحرّيات الأكاديمية وتنوّع مسالك الإبداع الحرّ في الفنون، لم يعد في الحقيقة معنى من اعتبار المجتمعات التونسي أو المغاربي أو العربي عموما يدين بالإسلام على مذهب واحد عقيدة وشريعة، إذ تبّين أنّ المذاهب مجرّد قراءات وتأويلات وتمثّلات لحقيقة الدين، وأحكامه، ولم يعد من معنى أن يكون المتعلّم المطلع الذي حصّل درجة من العلم يدين بالإسلام على مذهب بعينه، تكوّن تاريخيّا عبر روايات ومنقولات ...

معنى ذلك أنّ العبرة فقط في تقديري بالحفاظ على الجوهري والضروري من الدين وهو عقيدة التوحيد وعبادة الله واجتناب ما تبيّن بالنصّ أنّه محرّم، ومن ثمّ فلا ضير أن يتمّ تجاوز فقه المذهب، طالما تمّت المحافظة على المقاصد السمحة التي أعاد تنظيرها وصياغتها الشيخ الطاهر بن عاشور (حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ العرض، حفظ المال)...

هكذا تظهر قيمة المعرفة والبحث الأكاديمي الرصين في إدارة الاختلاف وحتّى لا يتحوّل إلى خلاف، فتصادم عنيف، وتلك دلالة القول الحصيف للأستاذ محمّد بن الطيّب: ومفاده أنّه لمّا كنّا «أمام ضروب من التديّن متعدّدة، وأشكال منه موروثة وأخرى مستحدثة، ما أحوجنا اليوم إلى دراستها دراسة علميّة أقرب ما تكون إلى الموضوعية، بعيدا عن النزعات الإيمانيّة والخلفيّات الاعتقاديّة والتوجّهات الإديولوجية والدوافع السياسية، (وذلك) بهدف فهمها واستجلاء خصائصها ومقوّماتها واستكشاف أبعادها وغاياتها وتحديد أهدافها ووظائفها والوقوفعلى جذورها ومرجعياتها وآليات اشتغالها». وعليه أمكن القول إنّه

مرافئ

« لمّا كانت الظواهر الدينية على غاية من التشعيب والتعقيد كان فهمها فهما أعمق ومعرفتها معرفة أدقّ وأشمل، يحتاج إلى عدّة نظرية مفهوميّة وأدوات منهجيّة وفّرت الكثير منها العلوم الإنسانيّة، بما أتاحته من مقاربات متنوّعة لسانيّة واجتماعيّة وإناسيّة ونفسيّة، تناولت جوانب منها وحاولت سبْرَ أغوارها واكتشاف أبعادها». ذلك ما مثّل أفق بحث وتحليل ومنطلق نظر وتعليل في تقديم نماذج من دراسات وقراءات سعت أن تسبر أغوار الأشكال التديّن ومظاهر تمثّل تعاليمه اعتقادا وفكر وخلقا وسلوكا وارتبطت بنسيج الحياة الاجتماعية وأثّرت فيها وتأثّرت بها... وهكذا ضمّ هذا الكتاب دراسات علمية مهمّة ومختلفة في مقاربة أشكال التديّن بتونس قديما وحديثا. وردت مرتّبة كالآتي:

– عبد اللطيف الهرماسي: «الهيمنة التاريخية للإسلام السنّي المالكي بتونس: العوامل والآليات والتكلفة».

– محمّد الكحلاوي: عقيدة التوحيد في تصوّف المدرسة الشاذلية من خلال نصّ الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي.

– صدق السلّامي: حنفيّة تونس العثمانيّة ومظاهر التّلاقح مع المذهب المالكي»

– عبد الرّزاق الصيادي: «هل بإمكاننا اليوم أن نفصل بين الديني والسياسي: تقرير لجنة الحرّيات الفردية والمساواة أنموذجا».

– عز الدين عناية: «التعدّدية الدينية ومقتضيات تحرير السوق الدينية»

– سمير الزغبي: «الدّين والممارسة الفنيّة في تونس»

–جيهان بن عامر: في بعض خصائص التجربة الدينية الدعويّة في تونس «ثمّ اهتديت»، للشيخ محمّد لتيجاني السماوي

– جمال بوعجاجة: «التديّن الحركي في تونس حزب التحرير نموذجا»

– عبد السلام حمدي: «التصوّف الاحتجاجي: الطريقة الحسنيّة نموذجا»

– إبراهيم العمري: «الدّين والهويّة السياسية لدى الشباب التونسي»

– سمير ساسي: «الدعاء والسياسة: إشكالية الفضاء العامّ في الإسلام»

– سامي الرياحي الأرثودكسية الدّينية:: تجلّياتها وعلاقتها بالإديولوجيا الوطنية الحديثة في تونس»

– محمّد صابر ثابت: «التيّن في تونس بين فلسفة برامج التعليم والخطاب الديني»

– ناجي الحجلاوي: «مفهوم الحرام بين القيل القرآني وعمل الفقهاء»

– علي بن مبارك: «التديّن والغلو أيّ علاقة؟ قراءة في التجربة التونسيّة»

– فتحي العطوي: «الفتوى وأبعادها الدينية من خلال مجلّة الهداية».

– كمال حمدي: الرموز والتمثّلات الدينية في السياق العولمي

3)- في قيمة نتائج مثل هذه البحوث: رسالة الزيتونة ودرء خطر التشدّد والإسلام السياسي الجهادي

لعلّ قضايا معرفية وفكرية دينية ونظرية واعتقادية وفقهية وعملية مهمّة، تثيرها مثل هذه البحوث التي تحتضنها فضاءات البحث الأكاديمي الجادّ، ونموذجها في مقامنا هذا نماذج ممّا أنجز في مخبر الظاهرة الدينية في هذا الكتاب وغيره.

من ناحية أخرى لعلّه في الوقت الذي تحافظ فيه مؤسسات التعليم الديني وكليات العلوم الدينية والشرعية على مستوى من التعليم والفهم موجه إلى عموم أناس مؤمنين بالدّين على نهج مذهب معيّن غاية أغلب ما ينجزون من دروس ودراسات تقرير ما يعتبروه العقيدة الصحيحة والمذهب الأمثل الذي عليه هم وأصحابهم في النحلة... يجيء صوت النظر العلمي لينير الطريق ويضيء عالم الأفكار والرؤى، ليبعث الجسور ويحقّق الائتلاف بين المختلفين ويؤلّف بين وجهات النظر المتباينة أو على الأقلّ يقرّب بينها، ومن ثمّ يجمع بين أبناء الوطن الواحدة والأمّة الواحدة على قاعدة المعرفة والحوار لأجل الفهم والتعارف والاعتراف.. لا من خلال حوار البرتوكولات المتعالية أو يوطوبيا الخطاب السياسي التي غالبا ما تقف عند المجاملات وإبداء النوايا الحسنة.

وحسبي أن أورد في هذا المقام وتفاعلا مع قيمة ما جاء في كتاب «التديّن وقضاياه في تونس» بعدا مهمّا كشف عنه الأستاذ عبد اللطيف الهرماسي، في بحثه: «الهيمنة التاريخية للإسلام السنّي المالكي بتونس: العوامل والآليات والتكلفة»، حيث استطاع أن يكشف عن خصائص أرثودكسا المذهب الفقهي المالكي في صورته التي رسّخها بعض شيوخ الزيتونة على مرّ التاريخ، وأصبحت دالّة على مكانته في المجتمع والدولة ومدى تأثيره بخصوص الكلام في الدين وبيان أحكامه وعقائده للناس... فلئن هيمن واتسع مجال حضور المالكية بإفريقية/ تونس، ولم يقاسم هذا المذهب نفوذه الروحي والشرعي وربّما السياسي إلا المذهب الحنفي الذي نشره الأتراك العثمانيون عند حكمهم لتونس فجر العصر الحديث.. ولئن حاول المذهب المالكي أن يستوعب التصوّف وحركات الفكر الإصلاحي.. فإنّه فشل فشلا يكاد يؤدّي إلى تلاشيه اليوم، وتقلّصت دائرة حضوره وإشعاعه. وقد تبيّن أنّ منبع الفشل وبدء التلاشي يتأتّى من عدم التوافق والتجانس الكلّي مع مشروع الدولة الوطنية الحديثة بخصوص تحديث بنية المجتمع والتعليم والثقافة وتطوير منظومة القوانين والتعليم والإصلاح. أيضا تفشل المالكية ويتقلّص حضورها لكونها لم تنجح في دحض مشروع الإسلام السياسي، وهذا، في تقديري، ظلّ مشكلا قائما، رغم رفضه من في مستوى المواقف والمبادئ من أكثر شيوخ الزيتونة (الطاهر بن عاشور ونجله الفاضل، الحبيب بن الخوجة، الشاذلي النيفر، كمال التارزي، آل جعيط عبد العزيز وكمال الدين، المختار بن محمود، محمّد مختار السّلامي، والدكاترة: علي الشابّي والتهامي نقرة وعبد المجيد بن حمدة، وغيرهم...)، وهنا تجدر الإشارة أيضا وهذا رأيي إلى أنّ المستوى المعرفي لإنتاج العلم والبحث الموسوعي العميق والمنزع النقدي الذي كان للشيوخ الزيتونيين- رغم بيئتهم التقليدية - أيضا التمكّن من العلوم المساعدة كاللغة والبلاغة والمنطق والفلسفة تقلّص، بل لعلّه لم يعد موجودا، إذا لا كتابات ولا آثار تدلّ عليه..

ويبدو أنّ الطامة الكبرى تظهر من خلال اكتساح الإسلام الجهادي للفضاء العامّ واختراقه لوجدان التونسيين ونشره لتعاليمه وأحكامه حتّى في العبادة بديلا عن أحكام الفقه المالكي، وقول الصديق الأستاذ عبد اللطيف الهرماسي الوارد في بحثه المذكور دالّ دلالة بيّنة على ذلك، حيث يرى أنّه «لئن رفضت (جماعة علماء المالكية من شيوخ الزيتونة التي تزّعمها الشيخ الطاهر بن عاشور) النظرة الجامدة للموروث (ومن ضمنه) الفكر الديني والفقه (فإنّها) رفضت أيضا الإصلاحية الحداثية التي جسّدها الطاهر الحدّاد ثمّ الرئيس الحبيب بورقيبة» (ص 39). ويمضي في استنتاج معالم الفشل وتقلّص الحضور والتأثير، فيقول: «هكذا وفي اللحظة التي استعادت فيها المالكية سيادتها باعتبارها مذهبا، دخلت في سيرورة من التحوّلات المتعاقبة، بدأت بإضعاف المؤسّسة الدينية كلّها في علاقة بالدولة الوطنية الحديثة، وانتهت بإضعاف الاثنين (الدولة الوطنية والمؤسسة الدينية الزيتونية المالكية) أمام صعود إسلام (سياسي) سلفي التوجّهات.. وتلك حكاية أخرى».

وهكذا كما نلاحظ فهذا استنتاج مهمّ وعميق ومطابق لحقائق الأمور، ويتطلّب تضافر جهود مؤسسات بحث علمي مختلفة المنطلقات والأدوات المنهجية، لاسيّما منها تلك التي تشتغل في مجال الإنسانيات ودراسات الظاهرة الدينية، وذلك عبر توظيف أدوات المعرفة الحديثة، أيضا يقتضي هذا تطوير جذري وعميق للتعليم الديني ولوظائف جامعة الزيتونة التي عليها أن تنفتح أكثر على جديد العلم والمعرفة وبروح علمية خالصة لا مذهبية، وتجدّد فيها أساليب البحث والتدريس والتكوين والتأطير...

صورة تتحدّث

صفية الشاميّة

صفية الشاميّة فنانة تونسية من عائلة جزائرية وتركية الأصل، لقبت «بلهلوبة المسرح» اسمها الحقيقي شريفة 'أحمد قنون'، ولدت في 9(جانفي) 1932 في بيروت وتوفّيت في 17 ديسمبر 2004 بتونس.

حفظت المواويل اللبنانية 'على الميجانا' و'بغدادي' و'هيهات يا أبو الزلف' منذ الثامنة من عمرها؛ انضمت إلى كورال إذاعة لبنان ثم تلقت دروساً في الموسيقى وأصول الأداء على يد "محي الدّين سلام"، وهكذا حتّى صار لها موعد أسبوعي في إذاعة.

عام 1946 عند استقلال لبنان تحوّلت عائلتها إلى تونس واستقرّت فيها، حيث تمّ اكتشاف موهبتها وولعها الشّديد بالفن. غنّت صفيّة في الإذاعة التّونسيّة وكانت أول من غنّت أغنية أم كلثوم «غنّيلي شويّ شوي» في تونس وحقّقت نجاحاً باهراً. في الأثناء تعرّفت على الموسيقار صالح المهدي الذي قدمها بدوره إلى عازف الكمنجة والملحن أحمد الصباحي الذي صار زوجها.

تركت الراحلة صفية الشامية ما يقارب 600 أغنية منها «يا مثيل عرف الياس» و«جارحة قلبي» و«محلا قدّك» و«عالعصفورية» وأغنية «لا.. لا.. ما نحبكشي» و«اسمعني شوية» و«التوبة» و «قالولي اسمر».. وغيرها من الأغاني الخفيفة والجميلة.

رحمة الله عليها...

عن ذكريات ذكريات...

الأدب والفلسفة: من المعنى إلى السؤال

ماكسيم بلانت

ترجمة : عبد الوهاب البراهمي
متفقد عام للتربية سابقا (فلسفة)

«أليس الأدب(كما الفلسفة) مجابهة لا تملّ لوضعية إلغازية هي وضعيتنا؟»
«الشعراء والمفكرون» هم بالتحديد أولئك الذين هم في مقدورهم تذكيرنا بكثافة العالم ووضع المألوف الظاهر والمسلّم به في علاقتنا بالعالم ، موضع السؤال.»

م. بلانت

«ينمّي الأدب والميتافيزيقا إذن خطابهما انطلاقا من هذا العدم الذي، مع ذلك يدفعنا إلى التفكير؛ أحدهما من خلال العبثي والشعريّ، في الرجّة التي يحدثها فينا، والآخر من خلال الدهشة الفلسفية ، التي تفهم بوصفها الشرارة التي تُلهب الفكر وتقذف به في غرابة وضعيته، باستثارة التساؤل الموجّه صوب العالم وصوب الكائن.»

م. بلانت

***

« كتب دوستويفسكي برهافة حسّ أنّه:» إذا ما سمح العالم لوحش بتعذيب طفل ، فلن أجادل الإله ، بل سأعيد له تذكرتي. « هذه الجملة التي جاءت على لسان إيفان كرامازوف، تصوّر برقّة أبعاد ما نسمّيه بكلّ أريحية منذ ألبار كامي عبثية الوجود البشري. وليس من قبيل الصدفة أن التفكير في العبثية قد كان في البداية تفكيرا في العدالة. لكن هل يمكن لمثل هذا التفكير أن يتجنّب التحوّل إلى استفهام لاهوتيّ وأن يضع موضع السؤال حتى لطف – إن لم يكن وجود- الله، طالما قد صار من المستحيل تجاوز المأزق بشأن أحداث مفزعة و مفجعة تجرح في الإنسان شعوره بالإنصاف الأشدّ أولية؟ وبما أننا قد جعلنا للإله مَهمَّة تحقيق العدالة ، فهل بالإمكان تجنّب انهياره كأصل لمعنى كلّ الأشياء حينما أضحى من البيّن أنّ المبادئ اللاهوتية حتّى لا تستطيع بصورة معقولة أن توفّر تفسيرا للواقع دون أن تتناقض مع ذاتها؟

لا يمكننا مع ذلك أن نتغافل عن وجود أشكال من العبث تبدو قد تخلصت من النسبة إلى تفرّد الوضع البشري. لكن تظهر هذه الأشكال – التناقضات المنطقية والنحوية والتركيبية – في حياتنا اليومية بوصفها أخطاء واستثناءات وأمور غير منتظرة ومزعجة، يتعلّق الأمر بتجنّبها واستبعادها بأقصى سرعة ممكنة من الفضاء الحواري والعقلاني بوصفها مخالفات لا معنى لها. وقد يكون من المفيد بالفعل التذكير بأن أول أهداف فلسفات اللغة ومشاريع أخرى للغة الصورية هو استبعاد إمكانية ورود لامعنىNON-SENS وقضايا باطلة، وتعتبر هذه الأخيرة قضايا إشكالية من حيث أنها تُلقي غموضا على الحقل الخاص للتفاهم والفهم والفكر. إذن حينما ننظر في ذلك عن قرب ، يبدو أن جميع أشكال العبث تجتمع وتلتحق بالمنبوذية L'OSTRACISME التي تصدمها وتنفي عنها كلّ قيمة وضعية أو خلاّقة. يصبح العبث ، – في كلّ المجالات ماعدا ربّما في الفكاهة – ، اللاقيمة NON-VALEUR بامتياز، والخطاب الهذياني و الملتبس أو غير المعقول؛ وفي أفضل الحالات المضحك ، وإلاّ كان خطابا مُدانا وموضع ارتياب دائما. يبدو إذن أنّ العبث « الوجودي» والعبث « المنطقي» يجتمعان في نمط باريدغماتي لغياب المعنى. من هنا نبحث عن تمعين شيئين في آن واحد:1) غياب الوجهة التيلولوجية (الغائية)، لغائية مرسومة وثابتة . نلاحظ إذن ، على نحو ساخر، بأنّ العبث ، سواء كان وجوديا أو منطقيا، يظلّ تابعا داخل نسق ذهني، في حين أنه يجب عليه أن يكون ذاك الذي يخترق ويعيد النظر في القدرة المطلقة للمعنى. تزعم الفلسفة على هذا النحو بأنها استنفدت مقولة العبث. لكن، في الحقيقة، هل فعلت شيئا آخر غير تحييدها؟ هل توصلت الفلسفة حقّا إلى التفكير فيما يحمل على التفكير في العبث ؟ ألا تعلمنا تجربة الأدب أنه يوجد شيء من العبث ينفلت عن قراءته الفلسفية الخالصة؟ ما هو هذا الإفراط وإلى ماذا يشير؟

نسند هنا القول بأنّ العبث قد يُفكَّر فيه بفضل مقولة الشعري POÉTIQUE. نستعير هذه المقولة من جورج باتاي، الذي يمثّل لديه العبث ، ما « يمكن أن ينفتح (في الأثر) على فقدان مطلق لمعناه» ، وما « يستدعي التعليق(المستحيل)

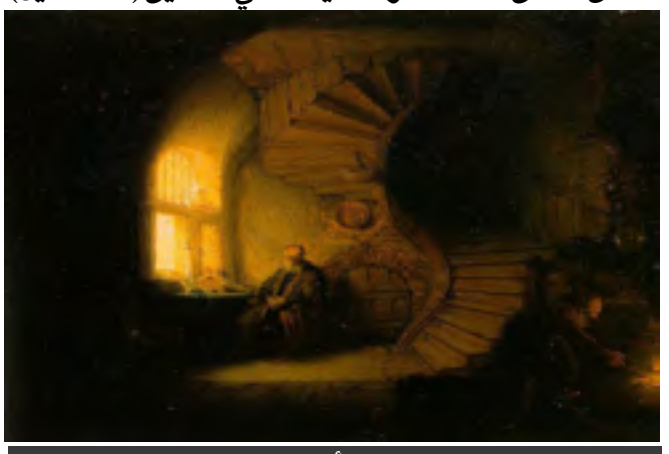

لوحة «الفيلسوف في تأمله « رامبرانت» 1632

على غياب معناه» . ليس الشعري حاملا لمعنى، وليس العبث بالأحرى مؤشّرا على غيابه؛ هما بالأحرى شجن وانفتاح. وسنبيّن أن الشعري هو هذه اللحظة للأثر الأدبي حيث المعنى متروك لفقدان وجهة (تيه) جذريّ. يمكّن هذا الفقدان للوجهة من اتصال لا على صعيد تبليغ رسالة، بل بواسطته سنجد أنفسنا في النهاية وقد تحرّرنا، لأجل تجربة تعالٍ هي محض إمكانية لقاء. وما يكشف عنه العبث ليس إذن غياب المعنى من الوجود بقدر ما هي الغرابة الجذرية للعالم، أنه قد وجد شيء ما مثل العالم وليس لاشيء ، وأنّ هذا « اليوجد» يرنّ صداه مع ذلك بوصفه لغزا يتعذّر تجاوزه. أليس الأدب مجابهة لا تملّ لوضعية إلغازية هي وضعيتنا؟

الأدب والتيه أو فقدان الوجهة

يقول بول سيلان عن القصيدة – غير أننا نقرّ بذلك أيضا في شأن النص بوجه عام- إنها بمثل قارورة قُذف بها في البحر، متروكة لأهواء الأمواج والمدّ والجزر. هكذا النص في التيّار، مستقبله غير مؤكّد. لكن ، وبمثل القارورة التي قذفنا بها في البحر، رُميت فيه على أمل أن تصل يوما ما إلى الشاطئ المقصود- لكل مرسل إليه- فإنّ النص قد رَسَم في ذاته إمكانيته الجوهرية ، مصيره بأن يُقرأ. بيد أنه (القصيدة/ النص) من هذه القراءات التي تنطبع فينا بالتأكيد أكثر من أيّ خطاب عقل . ومن هذه القراءات التي تفعل في القلب أكثر من فعلها في الفكر. هذه القراءات التي تلامسنا ، وتؤثّر فينا، وقد نقول تقريبا: تصيبنا بالعدوى. نرى أنفسنا وقد حلّ بنا جسد غريب جاء ليقلب موازين عقولنا الهشة ولا يتسامح مع عدم استقرار عالم تكون فيه حساسيتنا جريحة وموضع اختبار باستمرار.

تفسح القراءة دائما بهذا المعنى، مكانا للخشية من التيه. والقارئ ، بعجزه عن إزالة هذه الخشية ، هو دوما مكره على تطوير استراتيجياته لجعل القراءة مهادنة. لهذا السبب كانت القراءة بالنسبة إلينا نحن جميعا وقبل كل شيء تجربة معنى :إنّ المعنى هو البوصلة التي توجّهنا عبر التعرجات المراوغة للأثر. وبفضل المعنى، نعثر على الخيط الناظم لقراءتنا، ونثبّت إشارةً يمكننا الاحتفاظ بها بعزم لأجل عبور الكتاب من غلاف إلى آخر. وهو ما ينتج عنه، في النهاية ، أننا نبلغ دائما وجهتنا. وها نحن ، وقد أُغْلِق الكتاب ، قد وصلنا بأمان. بينما يمكن للقراءة أيضا أن تكون إبحارا في أعلي البحار . فعندما لا تلوح لنا في الأفق أيّ أرض ، وعندما يجعل غضب العواصف من المستحيل المواصلة في المسار، وعندما يكون الوسط مليئا بالكراهية بحيث يردّ إلينا أدواتنا غير المجدية، فلن يكون السفر إبحارا، بل زيغا. حينئذ تكون القراءة فقدانا للوجهة جذريا أكثر من كونها اقتفاء لأثر معنى.

لماذا فقدان الوجهة هذا؟ يقترح بلانشو بعدُ جوابا باقراره أن الشعريّ مرتبط» بما هو « خارج» العالم، و(أنه) يعبّر إذن عن عمق هذا الخارجي دون حميميةّ ودون سكون «. تصبح القراءة مجابهة مع الخارجي، وهو ما يعني طبعا مجابهة مع ما هو خارجي عنّا. بيد أنّ مقولة الخارجي تظلّ للوقت الحاضر جدّ ضبابية كي توضّح نهائيا فهمنا للشعريّ والعبثي. إنّ هذه الحالة المتفرّدة تتوافق تمام التوافق تقريبا مع ما سمّاه فرويد « الغرابة المثيرة للقلق» DAS « L'INQUIÉTANTE ÉTRANGETÉ UNHEIMLICHE) بوصفها ما يصاحب الشعور بانّ فقدان الوجهة (التيه) الذي هو مألوف لدينا شيئا ما ، هو فجأة غريب عنّا، أو أن شيئا ما غريب يحمل شيئا ما مألوفا لا أعرف ما هو. ينأى « الغريب المثير للقلق» L'UNHEIMLICH عن الإمساك به: يعذّبنا القلق، لكنّنا لا نصل إلى وضع إصبعنا عليه والعثور على أثر هذا الانطباع : يمكننا حينئذ أن نقول بأنّ الأمر يتعلّق بانطباع هروب الشعور إلى الأمام. إنّ لاقابلية الاختزال هي التي توحّد، في نفس الجسد، الخاص والغريب الذي تترجمه عبارة L'UNHEIMLICH (الغرابة المثيرة للقلق»). هذه الغرابة لا يمكن برمجتها. يعود هذا إلى واقع أن الشعريّ، حتى نستخدم عبارات بول كلين،» يتضمن شيئا مُرْبكا». لنذهب إلى أبعد من هذا : يُهاجم الشعريّ فجائيا، يفاجئ ، يقتحم بصورة غير منتظرة ، وينبثق ويستدعي نفسه في القراءة. إنّ القراءة

الشعرية هي إذن هذا الاتصال العنيف مع الخارج، مع ما هو غريب عنّا لكنه يدعونا بسيادة ، ويفرض نفسه علينا. يترجم هذا الاتصال جيدا ما يقوله جورج باتاي عن الشعر بوصفه « الأساسيُّ الذي يَلْمِس». هذا الفعل ، الجد بسيط في ظاهره، هو مع ذلك ما يحمل كلّ ثقل الشعري. سنلاحظ، ودون أي شيء من السخرية ، بأنّ باتاي ، بعد أن بحث عن تعريف ماهية الشعر في مجموع مؤلفاته، توصّل إليه ربما بصياغة جدّ بسيطة. وإذا ما بدا أن اللمس ، مقولة فقيرة ، فإنّها تملك بالفعل ثراء في المعنى لا ريب فيه، قد يخوّل لنا ربما فهما أفضل للأثر الشعري وللأدب عامّة والعبث بوجه خاص.

اللمس ، القبضة ومقبض اليد

اللمس ، في تعريفه، اتصال ملامسة تؤدّي إلى لقاء واقعين ، جسدين ، مساحتين. هذا الأمر مثير من حيث أنه يُظهر بوضوح بأن تجربة اللمس تقيم الصلة بين المماثل لنفسه والغيرية. صلة بين مساحتين. يقتضي اللمس إذن أكثر من كائن منعزل كي يتحقّق. هذه المساحات أو الأجساد المتناهية هي، للتوّ محدودة ، مُحدَّدَة. يبني اتصالها مشاركةً هي في الآن نفسه تشريكٌ وتعيينُ حدودٍ لما يملكه كل شخص. ومن المفيد بالمناسبةُ ملاحظة أن عبارة « مشاركة » PARTAGE تتضمن في ذاتها هذه المشاركة للمعنى . يُولّد اللمس إذن الحدَّ ؛ فليس هو انصهارا أو امتزاجا بل هو تجربة الحدِّ. ولا يختبر كائنُ الحدّ L'ÊTRE DE LA LIMITE والكائن على أقصى حدّ L'ÊTRE À LA LIMITE ، نفسه إلا في لقاء بحدّ آخر . يخوّل لنا اللمس تجربة ما يوجد في أقصى نقطة وضئيل بين المعلوم والمجهول؛ يحدّد الحدّ داخل الخارج. للّمس معاني عدّة . فهو يُفهم غالبا بوصفه احتكاكا، مسّا أو تلمّسا، أي بوصفه حركة تؤثّر سطحيّا على الجسد الملموس. وفي الهندسة ، يقال عن المستقيم الذي يلامس في نقطة واحدة منحنى بأنه مُماسّ TANGENTE. يعبّر المُماس جيدا عن السطحية وخاصية التفادي التي للّمس. ومع ذلك فهو يكشف عن معنى آخر، عن التضارب في اللمس. فأن نُلمس ÊTRE TOUCHÉ ، ليس أن نتأثّر بشكل سطحيّ ، بل أن يقع عُبورنا واختراقنا تماما بخطّ خاطف. يؤثّر الجرح، وهو أبعد عن أن يكون على السطح، بعمق في الجسد الملموس. من هنا، يأخذ هذا ربما بعين الاعتبار الاشتقاق اللاتيني للفعل-- TOCCARE – الذي يعني اصطدم ، ضرب . ويترجم كوننا نلمس عن احتكاك. وفي معنى شاذّ ، يملك الشعريّ إذن أثرا توصيليّا « PHATIQUE » مُنْشِأ للتوّ علاقة تواصل« COMMUNICATION » بين الكتاب والقارئ. لن نستغرب من أنّ بول سولان بقول ، في رسالة كتبها إلى هانس باندر، بأنّه « لا يرى أيّ فرق بين قبضة يد وقصيدة شعر». إنّ الشعريّ، قبل أن يكون محتوى مجازيّا، هو مجرّد إقحام ، مجرد ملامسة تتنزّل في مستوى « ماقبل – كاشف» « PRÉ–DÉVOILANT للتجربة؛ لحظة اختلاجةٍ، وقبضٍ (لليد). إنه لحظة لقاء خالص لا ننتظره: أليس من غير المنتظر لنا العثور علي ذاتنا حيث ستوجد فعلا مع ذلك؟- مصادفة، إذ ، من وراء الفعل الفضوليّ و المُنقّب للّمس، يتنزّل غير المُتعدّي ، وتأثّر كائن ملموس حيث قبضة يد الشعريّ هي «علامة تشير إلى الآخر،(...) ، قول بلا مَقُول، أشياء مهمّة بانحنائها، باستجوابها بالأحرى بدل رسالتها.» يكون الشعريّ في هذا توصيليا؛ فهو ليس تعبيريّا أو إعلاميا، وأثره ليس ناتجا عن مضمونه بل عن « فورته IRRUPTIVITÉ « ، إذ أن «مواجهة كلمة- كلمة تأتي نحونا- يعني أنها تبدو مستقلّة عن أيّ إدعاء تأويليّ ، كشيء ، وليس كعلامة». إنّ الشيء ، يُنبئ ، يتعارض مع العلامة مكوّنا سيميائيّا ليمثّل محتوى. إنّ اللقاء مع هذا «الشيء» هو الذي ينبئ ويؤثّر في القارئ من حيث هو متعذّر التعرف عليه، إذ « تحلّ غرابة متفرّدة، أثناء لقاء فريد ، وبالتالي لا يعوّض ، لتتمازج دون فكاك بألفة هي الآن نفسه حميميّة ومُربكة ، ومقلقة أحيانا. إنّ الأنا ، وقد أصابته الدهشة وقع لُمسه حيث لا ينتظر- في كيانه بالذات- هو مخترقٌ ببريق لقاء. يدرك الشعريّ إذن بشكل مميت الذات. يجرحها جرحا فاغرا لا يشفى لوقت طويل. فيم يتمثّل هذا الجرح؟ هو أولا أسًى ، في معنًى نقدر فيه أن نقول لأنفسنا بأننا نأسى لألم أو مرض. يكون القارئ في هذا المعنى موضوعا لباتوس (مرض) لا يقدر، على مراقبته ولا حتى التفكير فيه. يجب أن نرفض ببساطة القراءة البسيكولوجية أو التي تُكرّس من منظور بسيكولوجي لمثل هذا الاستعداد. فلا يتعلّق الأمر هنا بجعلنا نعتقد بأنّ الشعريّ يضعنا في حالة لاوعي أو أن عملياته لا تتحقّق إلاّ على نمط لاواع. يمكننا أن نعتقد على العكس - مع بلانشو بالمناسبة - أن إدراك الشعريّ لا يفترض المرور إلى اللاوعي، بل الشفافية القصوى . عبّر عن ذلك روني شار بشكل رائع حينما كتب بأنّ « الشفافية هي الجرح الأقرب من الشمس»، مريدا بهذا ربّما ملاحظة أن الوعي بالذات المحمول إلى أقصاه يُعاش بوصفه استحالة الاختفاء أو بوصفه إكراها مزدوجا: استحالة تحمّل الاحتراق غير المحتمل للشمس و، في نفس الوقت ، شدّة هذا الاحتراق واستحالة التهرّب منه. إنها الشفافية وليس اللاوعي الذي يعيد الوعي ويمتلك الذات.

لوحة «فسيفساء « للشاعر فرجيل « متحف باردو ، تونس

التعرّض والتواصل

تتعرّض الذات في قراءتها للشعريّ لـ» صدمة» يمكن أن تلمسها وتجعلها ترتجف. تعبّر هشاشة الذات المنزوعة من السلاح عن نفسها في هذا التعرّض، مكشوفة ، وعن عجزها عن الدفاع عن نفسها ضدّ تهديدات يمكن أن تأتي في لقاءها بالكتاب. أن نكون عُرضة، هو أيضا أن نعجز عن الاختفاء، وعدم امتلاك أيّ ملاذ نختبئ فيه. يمنح هذا التعرّض إذن الفرصة للكتاب ليكون له أثره على القارئ. ولا يمكن لهذا الأخير ، بتعرّضه، مواجهة الشعريّ والانغلاق فيه، إذ هو لا يتحكّم بالأساس في القراءة . لقد ضلّل الشعريّ بَوْصَلته، فأصبحت غير صالحة لتيهِهِ ولخلاصه. ولما كانت القراءة الشعريّة هي اللمس أو أن يلمسنا المستحيل- هذا اللقاء الذي لاشيء ينبأ به- فإنّ الذات تتدفّق لاتصالها به . إنّ الفرد ، وقد تحرّر من المنطق الوجودي الذي ينظّم وجوده في العالم ويشغله، يبقى في العراء. هل يمكن لهذا الانفتاح أن يكون رهنا لتواصل جديد ومغاير تماما. في أيّ معنى ؟

إذا كان التواصل يثير منذ البدء فكرة الوجود في علاقة مع، والمشاركة و التشريك، فمن غير اليقينيّ أنّه يجب علينا الاكتفاء بمثل هذا التعريف. إذ هو تعريف له أثر ه في جعل التواصل لا أداة فحسب بواسطتها يمكننا النقل، بل أيضا نتيجة للمشاركة. إذن، وهذا بديهي بالخصوص منذ نظرية الفعل التواصلي لهابرماس ، فإنّ التواصل لا قيمة له إلاّ إذا سمح بالوصول إلى انتصار العقل التواصليّ في شكل أفضل رابح. إنّ التواصل إذن هو أيضا حالة نصل إليها عندما تكون الأفكار قد وزنت وتمّ تقييمها، الأمر الذي يسمح بترجيحها. وفي نهاية الحوار، يفترض التواصل إذن التفاهم البينذاتي، أي القبول بمعيار. فالمشترك هو مخرج لا من عنفِ الإكراه بل من قيمةِ « لا إلزامية لأفضل حجّة».

إنّ المشكل الذي يطرحه ذلك هو التالي: سيكون التواصل إذن أشبه بتشارك. COMMUNIONبيد أن التشارك ، بما هي وحدة بين أولئك الذين يتقاسمون نفس العقيدة، تفترض اتفاقا وإزالة الاختلافات. في هذا المعنى يكون التشارك تجاوزا للاختلافات وإدراكا للانسجام في التحام كائنات بفعل التقاسم لنفس المبدأ. لهذا السبب، قد يبدو دقيقا إتباع ج. ل نانسي NANCY واستخدام عبارة مثول COMPARUTION بدل تشارك للتأكيد على خصوصية التواصل الذي يشيّده الشعريّ وحالة الانفتاح. وبالفعل، إذا كان التشارك هو حذف للاختلافات في اتفاق أسمى، فإنّ المثول هو بالأحرى عرض لخصوصيات كل شخص.لا يفترض مثل هذا العرض التفاهم أو الاتفاق. بل على العكس ، يشير إلى اللقاء بين اختلافات تسمح لاقياسيتها أو لا تناظريتها بالظهور في كل امتلاءها. لن يكون التواصل إذن منظورا إليه بوصفه تشييدا وحفاظا لمسترسل CONTINUUM ؛ ولن يرتبط بالشرط الوحيد وهو تجنّب القطيعة(للحوار في النهاية) وسنقدر على أن نرى في قطيعة المسترسل للتواصل تواصلا أكثر اعتيادية وأكثر قوّة.

علينا إذن أن نرفض هنا كلّ تصوّر للتواصل يجعل منه حيّزا لضرب من التشريك. يسمح التواصل الذي سيتمّ خلال اللقاء الشعري الذي يحتوي الذات، باكتشاف « حيّز ينبثق فيه الشخص ، في إدراكه لذاته- بوصفه غريبا عنها.» يشهد الانبثاق الذي يتحدّث عنه

هنا سيلان بقذف الشعريّ بنا في الهواء الطلق ويُعَرِضّنا. يسمح مثل هذا الانفتاح إذن بخوض تجربة التواصل بوصفها تجربة تعال للآخر. فقبالته لا يمكننا سوى» أن نعيش، في الفراغ والعوز، وحضور الخارجي ، متصلا بهذا الحضور، وكوننا خارج الخارجي بشكل لا رادّ له. (...)[أن نختبر] أن الخارجي هنا ، مفتوح، دون حميميّة ، ودون حماية ولا تحفّظ (...) لكن دون إمكان النفاذ إلى هذا الانفتاح.. وهو أن نخوض تجربة ، على نحو ما ، استحالة المشاركة مع هذا الآخر الذي يناشدنا قربه بشكل كبير، لكن تمنعنا مسافة جدّ هشّة بقدر ما يتعذّر تجاوزها ، عن الالتحاق به.

الأدب ، الغيريّة والميتافيزيقا

إنّ تجربة هذه اللاعلاقة الخاصة تبدو مع ذلك ضمنية وتطلب التصريح. يدمجنا شعر سيلان جيدا في هذا التعالي حتى لو ظللنا مجرّدين من الأسلحة، للتفكير فيه. « من هو»إذن هذا الآخر؛ وما هو هذا التعالي ؟ سؤال شاسع، للأدب كل المزيّة في أن يظلّ سؤالا مفتوحا. لا يجب التسرّع في إعطاءه جوابا، سواء كان أخلاقيا ، إيتيقيا أو منطقيا. ليس الآخر تماما وبشكل مباشر قريبنا NOTRE PROCHAIN ، « الغير» الذي يتحدّث عنه الكتاب المقدّس والذي ، يحيلنا ، في النهاية إلى تعالي الإله- « الآخر» LE « TOUT-AUTRE » - للعهد القديم. وليس الآخر ببساطة « ما يَختلف« CE QUI DIFFÈRE » أو « المختلف» LE DIFFÉRENT . لا تقدّم لنا هذه المعاني المختلفة سوى تقديرا أوليا؛ وفي الحقيقة ، هي تعريفات جدّ غامضة كي نقدر على الترفيع في مستوى فهمنا لما هو موضوع رهانٍ في الغيريّة التي يوحي بها الشعريّ والعبثيّ. أُحِطْنا علما فيما يتبقّى ، ومنذ البدء ، بعجز الفلسفة عن نجدتنا. و بالمناسبة، ميّز ألبار كامي، بفضل هذا العجز، الفلسفة في أسطورة سيزيف بكونها متحوّلة VARIANTE « الانتحار الفلسفي».

هذا التصوّر للفلسفة بوصفها شيئا « عقليا « أو» دماغيا»« CÉRÉBRAL » جدّا وباردا جدا، حتى نتوصّل بواسطته إلى الإمساك بالعبثيّ الذي يتأكّد في فيض الحياة ، هو تصوّر يجد نفسه مع ذلك موضوع مناهضة جذرية ، من الداخل ، في فكر مارتان هيدجر الذي هو ربما أكثر من ألهم الحركة الوجودية . يصبح التعارض بين الأدب والفلسفة من خلال هذا الفكر، أكثر من أي وقت، موضع شكّ. فالأدب والفلسفة بالنسبة إليه (هيدجر) هما أبعدا ما يكون عن اللاتجانس، هما «على نفس الصعيد» لأنّهما الوحيدين اللذين ، بحسب أنماط مختلفة بالتأكيد، في مستوى قول العدم و، بفعل ذلك ، يمنحان التفكير. لا يمكننا هنا تعميق العلاقة المميزة التي تصل الفلسفة بالأدب في فكر هيدجر. نكتفي فحسب ببيان كيف يمنع هذا الفكر عن نفسه الاختزال في فكرانيةINTELLECTUALISME ويسمح بمصالحة التجربة الشعرية ، مع التساؤل الميتافيزيقي والحياة اليومية. وأيّ كان اعتقادنا فيه، فإن هيدجر لا يحمل أي حكم مسبق سلبي عن الحياة اليومية . بل على العكس تمثل هذه الأخيرة شأنا مركزيا على وجه الإطلاق في تحليلاته للدزاين ، إذ هي المَنْفَذُ الوحيد الممكن إلى التجربة وبالتالي فهي الأرض الوحيدة التي عليها يتأسس كل بحث. ولا يتعلق خطاب الفيلسوف بتجربة فلسفية لا يقدر عليها غيره . فلا يوجد فصل ممكن بين موضوع البحث الفلسفي والحياة « الملموسة» . لأجل هذا سيكون، في «الكائن والزمن»، أحد الخصائص الأساسية للإنسان، أحد» الموجودات» ، الكائن - في- العالم (IN-DER-WELT-SEIN). يحاول هيدجر بهذا ملاحظة شيئين. أولا ، استحالة إثارتنا لقطيعة بين الإنسان وعالمه، واقعا لا مفرّ منه وهو أن يعثر على نفسه فيه وأنه لا يمكنه» الخروج منه». ثمّ ، كون هذا الحضور في العالم وعلاقته به تُعاش على نمط «انشغال» لأجل أحد أو شيء ما . فإذا كان الإنسان انشغالا، فذاك لأن علاقته بالعالم تُعاش على نمط استحالة ، حيث يجب عليه في كلّ مرّة اتخاذ قرار « اللماذا LE POUR-QUOI والـ «من أجل ماذا «-L'EN VUE-DE-QUOI هذه العلاقة. يكون الإنسان، في هذا المعنى ، في تعامل مستمر مع العالم ومنشغل به أي يفكّر فيه من ثمّ، لأجل.. هذا POUR... CELA ، مثل... هذا ...COMME CECI ومن أجل ..EN-VUE-DE...ذاك الاستخدام المحدّد.

تطرح بنية الانشغال التكويني للإنسان مع ذلك مشكلا من حيث أنها تجعل علاقته بالعالم آلية، بأن يُعْهد به لبعض نماذج الفكر والعمل التي جرى اختبارها وثبّتتها العادة. إنّ هذه الطريقة للإنسان في الانشغال بالعالم هي مُطَمْئِنة بالتأكيد ، إذ تخوّل له الاقتصاد في التساؤل المتجدّد دوما عن لِمِيّة علاقته بالعالم. لكنها أيضا مستلِبة من حيث أنّ الإنسان يصل فيها إلى عدم « النظر» إلى غيريّة العالم بمماثلته بشيء مألوف لديه. يكون كلّ التاريخ الإنساني وتحديدا بعده التاريخاني موجّها بطريقة متزايدة صوب هذا الضرب من ترويض العالم DOMESTICATION .

بيد أنه، يمكننا الاعتقاد مع هيدجر بأنّ « الشعراء والمفكرين» هم تحديدا أولئك الذين هم في مقدورهم تذكيرنا بعتمة العالم ووضع المألوف الظاهر وغير القابل للمناقشة لعلاقتنا بالعالم ، موضع السؤال . هذا ما يبدو لنا منبثقا من قراءة محاضرة « ما الميتافيزيقا؟» ، المتميّزة جدّا لأجل تقارب موضوعاتها مع موضوعاتنا بواسطة الانقلاب المذهل في المنظور الذي توصلت إليه. تنتظم المحاضرة حول وضعية أساسية ، هي وضعية القلق. يمثل القلق، منذ كيركجارد مبرّرا متكرّرا إن لم نقل مركزيا في الأدب العبثي ؛ فهو علاوة على ذلك، يبدو متضامنا مع عدّة موضوعات تكوينية لهذا الأدب: العزلة ، والنفي والإهمال والموت والإلحاد، الخ. لماذا هذا التضامن؟ بإمكاننا أن نعتقد بأنّ القلق هو هذه الحالة المتفرّدة للإنسان حيث تردّ كل ظواهره إلى بساطتها الأولية. يعبّر بلانشو جيدا عن هذه البساطة حينما يكتب بأن:» ... ليس للقلق شيئا خَلْفيتَه مُلْغزة ؛ هو بأكمله في البداهة التي تجعلنا نحسّ بأنه موجود(...) يمكننا وصفه في أشكاله النفسية الملفتة أكثر، وقد نضعه في علاقة مع مقولات ميتافيزيقية أساسية؛ لن يوجد شيء أكثر في هذا الحشو إلاّ في الكلمات: أنا قلق، وهذه الكلمات ذاتها تعني أنه لا يوجد شيء آخر غير القلق.»

يضعنا التفكير في الموت والإحساس بالوحدة وبالإهمال أو بالنفي، في حضرة القلق لأنه العنصر البسيط الذي تتأسّس عليه هذه الأشياء.

ويبدو أن الأدب يملك امتياز قول مثل هذه الحالة للعوز، تحديدا لأنه مجال تعبير الكاتب.فكوني «كاتبا «، لا يحيل ذلك ببساطة إلى وظيفةٍ يمكن للإنسان الاضطلاع بها من وقت لآخر، من باب المتعة أو الموهبة. ينشأ الأدب على العكس، من مطلب الكتابة في مواجهة غرور هذا المشروع، تماما مثل العبث ينشأ من « مجابهة بين النداء البشري والصمت غير المعقول للعالم». إن الكاتب هو ذاك الذي عاش هذه الضرورة واختبرها كاستحالة. إنّ هذا الشعور بالعوز وبالافتقار إلى اللغة في اللغة ، هو ذا حالة الكاتب وهو الذي يرأس الأدب بوصفه تعبيرا عن القلق:

« تختصّ حالة الكاتب بكونها تمثّل بطريقة مميّزة مفارقة القلق. يضع القلق موضع السؤال كلّ واقع العقل، مناهجه وإمكاناته ، وإمكانيته، وغاياته، لكنه يفرض عليه أن يكون هنا؛ ويسرّ له بأن يكون عقلا كاملا قدر المستطاع؛ وهو ذاته غير ممكن إلاّ من حيث أنه يظلّ في كامل قوّته المَلَكَةَ التي تصنع الاستحالة وتُعد». يجد الأدب إذن تفوّقه: إنه الأقرب إلى التجربة. وما يتحدّث عنه هو ما اختبره في جسده.

هل تحمل محاضرة» ما الميتافيزيقا؟» في تقاطعها مع هذا المبحث الجوهريّ للقلق، إضاءة مكمّلة للتجربة الإنسانية؟ ما هي خصوصية هذه الإضاءة؟ يمثّل القلق عند هيدجر هذه العاطفة المتفرّدة التي بواسطتها يبدأ العدم في الانكشاف لنا. وقبل توضيح معنى هذا اللفظ، لنعد إلى الوراء. تشير محاضرة هيدجر بأنّ القلق هو تعرية طابع الترنّح للموجود (للعالم)، من حيث أنه ينفلت منّا، ويضحى بعيد المنال. يكون القلق في هذا المعنى إفناء UN NÉANTIR ، يدشّن حركة إبعاد و طرد بواسطته تنكشف لنا مسافة الموجود في كامل غرابته التي هي حتّئذ محجّبة . إن علاقة الإلف التي أقيمت تقريبا بشكل طبيعي مع العالم تبدو من هنا فصاعدا غير بديهيّة.

أيّ علاقة بالحياة الملموسة يعبّر عنها الأدب؟ ألا يوجد هنا أيضا نفي لهذه الحياة وانفصال بين التجربة اليومية وتجربة الفلسفة؟ ليس تماما. ليس النفي موضوع السؤال إجراء الفلسفة. فلا تفعل هذه الأخيرة على نحو ما، سوى ملاحظة شيء ما يحدث بطريقة مثالية صلب التجربة الملموسة ومقبول كونيا، هو القلق. وفي تفكيرها (أي الفلسفة) في هذه التجربة يحدث انقلاب للمنظور يلزم إلى حدّ ما علاقتنا بالعالم. وبالفعل، فمع القلق ، تجد البنية الأولية لهذه العلاقة مع العالم والطريقة التي بها « نكون نحن» فيه ، نفسها واضحة بطريقة جديدة جذريّا، وتحديدا من حيث أن هذه العلاقة تثير السؤال. إنّ إثارة السؤال تنبثق من تصريف معطى أساسي: ملكة بناء العلاقة مع العالم- « يوجد» العالم وهذا الأخير يُعطى لنا في قربٍ لا يمكن تفاديه-، ومن كثافة هذه الهبة: اللاتحفيزيةً الجذرية لهذه العلاقة نفسها- استحالة معرفة لماذا « يكون الأمر هكذا» واستمراريته كلغز مستغلق.

الخاتمة

ينمّي الأدب والميتافيزيقا إذن خطابهما انطلاقا من هذا العدم الذي ، مع ذلك يدفعنا إلى التفكير؛ أحدهما من خلال العبثي والشعريّ ، في الرجّة التي يحدثها فينا، والآخر من خلال الدهشة الفلسفية ، التي تفهم بوصفها الشرارة التي تلهب الفكر وتقذف به في غرابة وضعيتها ، باستثارة تساؤل موجّه صوب العالم وصوب الكائن.ألا يعلمنا العبثي والشعريّ والقلق، في النهاية شيئا من معنى التعالي البشري، ولكونه من الضروريّ الانبثاق خارج العالم (فيه) لمساندة علاقة أصيلة معه؟ أليس هذا أن نحيا- – EK-SISTER ؟» .

المصدر:

HTTPS://WWW.IMPLICATIONS-PHILOSOPHIQUES.ORG/LITTERATURE-ET-PHILOSOPHIE-DU-SENS-A-LA-QUESTION

.

مـــراجع:

-1جورج بتاي ، الأعمال الكاملة - غاليمار 1988.
-2 موريس بلانشو ، الخطوة الخاطئة ، باريس غاليمار 1943، الفضاء الأدبي - غاليمار 1955.
-3 ألبار كامي «اسطورة سيزيف» غاليمار 1955.
-4 بول كلين، الميريديان، فاتا مورغانا 1995.
-5 جاك داريدا « الحوار المستمرّ: بينلانهائيين ، القصيدة.باريس غاليلي 2003.
-6 فيدور دوستويفسكي / الإخوة كارامازوف، قاليمار 1952.
-7 ميشيل فوكو» فكر الخارجي» ، أقوال وكتابات غاليمار 2001.
-8 فرويد» الغرابة المقلقة» . ومحاولات اخرى غاليمار 1985.
-9 غادامير « فنّ الفهم» أوبي مونتاني 1982.
-10 هابرماس» التواطىء بين الأسطورة والأنوار هوركهايمر وادرنو» الخطاب الفلسفي للحداثة» غاليمار -1985ص-128 156.
-11 هيدجر» رسالة في النزعة افنسانية» مسائل 3،4، غاليمار -1966ص127-56. - ما الميتافيزيقا؟» غالمار 1968.ص-23 84. - مدخل إلى الميتافيزيقا « غلمار -1980 الكينونة والزمن» نسخة الكترونية 1985.
-12 لوفيناس»، بول كلين « من الكائن إلى الآخر» فاتا موغانا 2008.
-13 جون لوك نانسي « لجماعة العاطلة» باريس بورجوا 1986.

لماذا المسرح؟

حاتم التليلي المحمودي

ربّ سؤال سيبدو ساذجاً في نظر العامّي، ولكنّه في غاية الخطورة، يذكرني الآن بسؤال الشاعر الألماني هولدرلين: "لماذا الشعر في أزمنة البؤس؟". ولذلك فإنّه سؤال يمتلك وقع الرجّة، إنّه علامة جذرية على الوعي بأزمة مّا، وعلامة اعتراف بشقاء وجودنا المسرحي على أن يكون الهدف منه السير نحو ممكن أفضل.

في الحقيقة، نحن لا نستطيع الإجابة عنه إلا على نحوٍ غضبي وعدائي حين يطرح علينا من قبل جهة أخرى غير جهة المسرحيين. فهو يعكس احتقاراً لهذا الفنّ، وخاصة حين يأتي من قبل رجل السياسة أو رجل الدين أو الجهاز الأمني للدولة، ولذلك فهو سؤال يأتي بشكل ساخر. إنّ مهمّة المسرح هي الإضرار بهذه السخرية وتدمير التفاهة بجعلها أمراً مخجلا، إنّه يوجد لكي يمنع الفكر من السقوط في السفالة ومن النمطية والسذاجة التي تكرسها الدولة بأجهزتها السياسية والإعلامية أو المسجد بوصفه مصنعاً لتعليب الأفكار في بعد واحد، إنّه يوجد ليصنع أحرارا بوصفه تمارينا صعبة على ممارسة النقد وتوليد المعنى ولا يحتكم لحقيقة واحدة، ولذلك فإن الممارسة الحقيقية لهذا الفنّ من شأنها جعل التفاهة التي تسري في الفضاء العام أمرا مقززا ومخجلا.

في المقابل، سنرتبك ونحن نبحث عن إجابة لسؤال لماذا المسرح حين نطرحه نحن كمسرحيين، لأننا في هذه الحالة نقيم في حضرة الشك، الشك في تجاربنا المسرحية سواء كانت ممارسة إبداعية أو تنظيرية أو نقدية، وهو شك يقودنا إلى الاعتراف بأنه ثمة أزمة مّا، أزمة جعلت من وجودنا المسرحي متقوقعا على أناه، ولا نعرف في هذه الحالة إن كان سبب هذه الأزمة هو نحن بوصفنا نعجز عن تقديم نماذج مسرحية تمثل سردية كبرى تمسرح آلامنا وهواجسنا وواقعنا الذي نعيش، أو هي راجعة إلى حجم الحصار المفروض على المسرح والمسرحيين من خلال المؤسسات المسرحية للدولة أو راهن السوق والسياسات الإنتاجية وعقم الحياة الثقافية ككل.

يبدو أنّ هذا السؤال لن يجد ترحيبا من أحد، ستشهد الجهة التي تطرحه اعتراضا عنيفا من قبل المسرحيين لأنهم في ذلك بقدر ما يدافعون عن وجود هذا الفنّ يدافعون أيضا عن وجودهم الخاصّ إذ كيف يمكن أن نتحدث عن مسرحيين دون مسرح؟ ولكنّ المسرحيين أنفسهم لن يرحبوا بهذا السؤال حتى وإن خرج من أفواه المسرحيين أنفسهم، لأنه بهذا الشكل سؤال يعيد المسرحيّ إلى مراجعة خياراته وما إذا كان ممكنا أن يتورّط في مجال آخر غير مجال المسرح؟ لا يطرح هذا السؤال بالجرأة الكافية من المسرحيين إلا مسرحيّ حقيقيّ، لأنّه مسرحي لا يخاف من تجربته الحيّة، ولأنه مسرحي غامر بالانتماء إلى المسرح وجعل من هذه المغامرة قرارا مصيريا، ولأنه مسرحي لا تزعجه محاكمة نفسه حين يتحدّد وجوده المسرحي في شكل أزمة، ولذلك فهو ينظر إلى سؤال "لماذا" بوصفه سؤالا دالّا على الوعي ومثيرا للاستغراب أمام الإحساس بغربة الذات في الوجود.

لماذا المسرح؟ طبعا، يجب أن نسخر في هذه الحالة من تلك الأصوات المنادية بضرورة المسرح كي تقتات من عروضه وتجعل من هذا الفنّ وسيلة معاشها. يا للسخرية: هل نريد مسرحا كي نطعم بعض الجياع الذين أقنعونا بأنهم هم وحدهم المتكلمون باسم المسرح؟ لقد ارتبط لدينا هذا السؤال من زاوية رفض الحالة الاجتماعية الظالمة لبعض المسرحيين كما نشهد وقائعها اليوم، ولأن المسرح كما ذكرت سلفا طاقة رافضة لكافة أشكال التفاهة فقد تمّ ترذيله أكثر عبر أشكال الرفض التي قدمها المسرحيون أنفسهم بوصفها أشكال نضالية منحطّة، ولذلك نحن هنا لا لنقيم مأتما حول وضع المسرحيين الذين يطرحون هذا السؤال ببطونهم، بل لنفكّر في المسرح على نحو أسمى.

تاريخيا، أعتقد أن هذا السؤال لم يكن ليطرح، لأنّ المسألة محسومة من حيث اشتغال المسرح، فمنذ قرون مضت صاحبت فلسفة القرن الرابع قبل الميلاد – ممثّلة في أرسطو ومن قبله سقراط بوصفه قناعا أفلاطونيا-، التراجيديا الإغريقية، ومارست عليها ضربا من الشرح أو التقنين أو الإقصاء، لكن لا أحد يمكنه أن يتخيل اليونان القديمة دون يوربيدس وأسخيلوس وسوفكليس: تخيلوا لو لم يكن هناك شاعر اسمه هوميروس أوصل إلى العالم برمته نبأ انتصار الإغريق على طروادة؟ لماذا المسرح أنذاك؟ لأنه حبر المدينة وتاريخها وضميرها، لأن المسرحيون والشعراء أنذاك لا يقلّون شأنا عن المقاتل أو السياسي بل هم أعلى شأنا، ولأنه لو لا وجود المسرح أنذاك لما كان هناك وجود لتلك الفلسفة التي تدرّس حتى اليوم في الجامعات الغربية والعربية، ولو لا وجود المسرح أنذاك لما قدّم لنا فرويد عالم النفس تلك الترسانة من المفاهيم على نحو عقدة أوديب وعقدة إلكترا مستأنسا في ذلك بإعادة تشغيل التراجيديات والأساطير الإغريقية القديمة.

يمكننا الآن تنشيط سؤالنا من خلال نموذج حديث، إذ منذ سنة فقط وقّع بيتر بروك عرضا مسرحيا تحت عنوان "لماذا" كان مايرهولد نموذجه الممسرح، والمقصود في حالة كهذه هو لماذا الممارسة المسرحية أو لماذا المسرح في عصر تغيب عنه السرديات العظيمة والأعمال المسرحية الكبرى كالتي كانت تحدث قديما ووصلتنا أخبارها؟ وبالرغم من أننا لم نر العرض حتى يتسنى لنا تقديمه على نحو كاف، إلا أنه يمكننا الإجابة عن سؤالنا (لماذا المسرح) من خلال ذلك التصريح الذي ورد في العرض على نحو طريف للغاية، إذ أنّ الله هو الذي خلق المسرح كي يُريح البشر من قلقهم ومللهم وهم يعيشون هنا على الأرض.

المسرح وقلق البشر.

ليس القلق مفهوما نفسيا في هذا السياق، ولكنه نتيجة لشكل سكن الإنسان في المدينة، بوصفه حمّال أبعاد اجتماعية وسياسية وثقافية بالأساس. ولذلك، فإنّ المسرح هو الفنّ الذي يحاكي شكل هذا السكن على نحوٍ لا استنساخ ولا تقليد فيه، بل على نحو جماليٍ وفني ورؤيوي لا يخلو من التخييل واستبصار المستقبل، والمسرح أيضا هو القوّة الفاعلة والنشيطة داخل الفضاء العمومي، وهي قوّة من شأنها تدمير ما يشدّ الإنسان للعيش في فضاء المدينة بوصفه رقما أو عبدا في سوق الرقيق السياسي كما نشاهده اليوم، لا بوصفه مواطنا.

لا معنى إذن لطرح سؤال لماذا المسرح خارج سياق الفضاء العمومي الذي ننتمي من اللحظة التي ينتهي فيها كلام تلك الأجهزة، لأنه ليس واحدا منها، ولأنه لديه دائما ما يقوله، ولذلك فهو مخوّل لإعادة تربية الإنسان الذي أنتجه هذا الفضاء على نحو جعل منه مشتتا وممزقا وغريبا ومغتربا عن واقعه: إنّ المسرح على هذا النّحو هو الواقعة الجمالية والفكرية التي تحلّ في الفضاء العمومي وتعمل على تشغيل العقل عموميّا لا عامّيا.

إنّ سؤال لماذا المسرح هو سؤال قلق يعترض على أزمنة البؤس، وهو سؤال يجب أن لا نسمح لأيّ كان بطرحه حتّى لا يتلوّث، وأن نطرحه فمعناه أننا نسأل عن الدستور الجمالي للمسرح وطبيعة إقامته في الزمان والمكان.

طبعا، لم يكن الله هو الذي خلق المسرح كما وصلنا مزاح بيتر بروك، ولكن يبدو أن علّة هذا الفنّ تأتي من قلق البشر فعلا، قلقهم القديم حين أنتجوا الأساطير والظواهر الاحتفالية والأشكال الفرجوية تمعينا لوجودهم، وقلقهم القديم أيضا حين احتاجت المدينة وجود الشعراء التراجيديين والكوميديين يقولون محنة الإنسان وأقداره وهو يصارع الآلهة، وقلقهم الحديث أمام توحّش السوق وصحوة الأصوليات المعاصرة، ولذلك كان هذا الإنسان يحاكي واقعه على نحو جمالي دائما، أو ينتصر على الألم لا بالهروب منه بل باللعب معه، ولذلك فإنّ المسرح على الرغم من أنه طاقة هائجة من مهماتها تخريب البؤس الاجتماعي والسياسي والثقافي، فإنه أيضا شكل آخر من أشكال سكننا الوجود.

لماذا المسرح إذن؟

لكي نمسرح فواجعنا وآلامنا وشتاتنا التي نعيشها الآن، لكي نمسرح هذه المسوخ السياسية والثقافية والإعلامية وغيرها من الأشباح المفزعة على نحو دحضها، لكي نمنح لسكننا في هذا الفضاء العمومي بعدا جماليا، لكي نستلّ الأمل من مخلب الكارثة، لكي ندرّب أنفسنا جيّدا على الإنسانية، لكي نتعلّم الهجرة إلى المستقبل، لكي نعرف الطريق السالكة بنا من التوحّش إلى التمدّن.

لماذا المسرح إذن؟

لكي نختبر ذواتنا: ما إذا كنّا بشرا على قلق دائم أم محض خردة آدمية أغلقت باب التفكير في تاريخها.

الدراما التلفزية في القنوات التونسية :

بين الرغبة في الإشهار والسعي إلى تصدر نسب المشاهدة، تتأرجح المضامين

خالد نجاح

يشهد الإنتاج الدرامي الوطني ذروته في شهر رمضان الكريم بمعدلات تتفاوت من موسم إلى آخر. وتداوم تلفزة المرفق العمومي على انتظام إنتاجها الرمضاني بمعدل مسلسل وسلسلة هزلية، خلافا للقنوات الخاصة التي يرتبط إنتاجها برفاهة وضعها المالي. غير أن قناة الحوار التونسي أصبحت في السنوات الأخيرة تسير على نسق المرفق العمومي وخاصة في مجال المسلسلات وتجني من وراء ذلك عائدات مهمة من الإشهار. ونتج عن ذلك تنافس بين التلفزتين على صدارة نسب المشاهدة، والتي تلعب دورا أساسيا في تحفيز المستشهرين وتكثيف إقبالهم على إدراج منتوجهم ضمن المساحات التي تخصصها القنوات التلفزية للإشهار.

ولكن هذا التنافس الثنائي يلقى بدوره مزاحمة من قنوات محلية أخرى دخلت منذ سنوات غمار الانتاج الدرامي، وقدمت أعمالا شدت بطريقة وباخرى اهتمام المشاهدين والنقاد، ونذكر قنوات حنبعل ونسمة والتاسعة التي انخرطت في الإنتاجات الكبرى، وكان أغلبها من توقيع جيل جديد من صناع الدراما التلفزية التونسية.

إرث التلفزة التونسية وخبرتها في صناعة الدراما

احتكرت تلفزة المرفق العام الإنتاج الدرامي منذ تاسيسها سنة 1966 وطيلة عقود من الزمن، قبل حدوث التعددية في المشهد التلفزي الوطني منتصف الألفينيات. وقد إستفادت التلفزة التونسية في بداية عهدها بالإنتاج الدرامي من فرقة التمثيل التابعة إلى الإذاعة التونسية والتي كانت تضم مجموعة من الممثلين وكتاب السيناريو، اعتمد عليهم المخرجون التلفزيون في إنتاج أعمال درامية متنوعة. وعمل عدد من المخرجين في ذلك الوقت على تحويل نصوص مسرحية إذاعية إلى إنتاجات تلفزية من نوع التمثيليات أو الروايات، شدت إليها جمهور المشاهدين بشكل لافت في ذلك الزمن الذي كانت فيه التلفزة تبث بالأبيض والأسود.

واستغلت الدولة هذا النجاح الجماهيري لتمرير رسائل إجتماعية من خلال بعض الأعمال المنجزة خصيصا لتطوير الأسرة التونسية، ومن وراءها المجتمع. وكان الرئيس الحبيب بورقيبة رحمه الله متابعا شغوفا لعدد من تلك الأعمال، ولا يفوت الفرصة كلما كانت مواتية للقاء الممثلين وكتاب السيناريو، وقد حضر تسجيل بعض الأعمال أثناء زياراته إلى مقر الإذاعة والتلفزة في شارع الحرية.

وشهد الانتاج الدرامي في التلفزة التونسية نقلة نوعية مطلع السبعينات بإنجاز مسلسل «سارة» للمخرج عبد الرزاق الحمامي رحمه الله، وهو متكون من خمس عشرة حلقة متكاملة ومتصلة في الموضوع. وعرف الإنتاج الدرامي التلفزي إثر ذلك محطات مختلفة مهدت إلى انطلاقته الكبرى بداية التسعينات. إلا انه ورغم احداث الوكالة الوطنية للنهوض بالقطاع السمعي البصري نهاية التسعينات، ظل هذا الإنتاج في اغلبه موسميا، مقتصرا على شهر رمضان المبارك حتى يوم الناس هذا.

وبتلاحق الإنتاجات على مدى أربعة عقود من احتكار المشهد التلفزي

والسنوات التي تلتها حتى اليوم، كسبت التلفزة التونسية خبرة كبيرة في الإنتاج الدرامي، وأنجزت عشرات الأعمال التي تركت لدى الجمهور والنقاد انطباعات مختلفة، وبقي عدد مهم منها راسخا بالذاكرة الجماعية ، ولو أن الحصيلة لم تكن خالية من أعمال هزيلة في الدراما او الكوميديا ولكنها قليلة. وقدعرفت التلفزة هنات في مسيرتها، أقربها إلى الذكر مسلسل 27 الذي مرت على بثه اربع سنوات،والذي صدم المشاهدين والنقاد لضعف مستواه شكلا ومضمونا، وطرح تساؤلات محيّرة عن كيفية سقوط قناة المرفق العمومي في تلك الرداءة.

انفلات مقود الإنتاج الدرامي من التلفزة التونسية ونهاية عصر الإحتكار

ويعتبر أبناء التلفزة ان مقود الإنتاج الدرامي بدأ ينفلت منهم بعد أن تعددت الضغوط الخارجية وأصبح بعض أفراد عائلة الرئيس بن علي رحمه الله يهتم بالإنتاج التلفزي لغاية ربحية ما في ذلك شك. وقد استثمر بلحسن الطرابلسي مثلا في شركة كاكتوس للإنتاج CACTUS PRODUCTION والتي أنتجت للتفزة مسلسل «مكتوب» في جزأين من إخراج سامي الفهري، و كان اولهما في سنة 2008. وشكل هذا المسلسل نقلة لافتة في المضامين التي تعود عليها المشاهدون، حيث تطرق إلى مظاهر اجتماعية لم تكن تطرح في الأعمال الدرامية السابقة، وخلفت ردود فعل عديدة، منها من اعتبر المسلسل مفسدة للمجتمع، ومنها من دافع عن كشف المسكوت عنه دون قيود.

وتطورت مضامين مسلسل «مكتوب» باجزاءه المتعددة الى عمل آخربثته قناة الحوار التونسي وشغل الراي العام، وهو «أولاد مفيدة» وقد رافقته خطة ترويجية جعلته في دائرة الإهتمام اعلاميا وجماهيريا، مما مكنه من حيازة مرتبة الصدارة ضمن متابعات المشاهدين. وأثار ذلك موجة من الشكوك حول نزاهة عملية قياس نسب المشاهدة، حيث اتهم كثير من المتدخلين والمعنيين بالإنتاج الدرامي التلفزي مؤسسات استطلاعات الراي بعدم المصداقية والإنحياز، وانتقدوا أرقامها التي لا تخضع في رأيهم إلى أي منهجية، باعتبار ان قياس المشاهدة في تونس لا يعتمد وإلى اليوم، على التقنيات القادرة على فرز احصائيات واقعية وحقيقية.

ولكن أعمال قناة الحوارالتونسي الدرامية استمرت في شد الرأي العام من خلال مسلسل «فلوجة» الذي بلغ هذا العام جزءه الثاني، وأفرز كثيرا من الحديث في أوساط المجتمع بمختلف مكوناته، وحظي بمتابعة كبيرة وخاصة من شريحة الشباب وفي مقدمتهم المراهقون.

وتفاعلت التلفزة التونسية مع الواقع الدرامي الجديد الذي انشاته مسلسلات قناة الحوار التونسي، واجتهدت في البحث عن مضامين بديلة تنصهر في صلب مشاغل المجتمع عامة والشباب خاصة. فكان مسلسل «المايسترو» الذي عالج مشكلات الاطفال والمراهقين المهمشين، ثم مسلسل «الحرقة» الذي طرح ظاهرة الهجرة غير الشرعية ومخاطرها على الشباب والمجتمع.

ولئن لا تخفى المستويات العالية للعملين المذكورين من جميع الجوانب، فإن المشاهد التونسي ظل مضطربا وتائها وسط حزمة من المضامين تتدفق عليه كل رمضان من جميع القنوات التلفزية المحلية، وتقيده بنفس التوقيت، ولا تترك له مجالا للإختيار والفرجة المريحة. وكان المشاهد في السنوات الأخيرة امام موجة متنوعة من المسلسلات الرمضانية اتسمت بمظاهر التجديد وطرحت رؤى متعددة للمجتمع من زوايا مختلفة، مثل « نجوم الليل» للمخرج مديح بلعيد والذي عرضته قناة حنبعل وتناول التفاوت الطبقي في المجتمع ونزوع الطبقة البرجوازية إلى الثراء بطرق مخالفة للقانون ومنها التجارة في السوق السوداء وترويج المخدرات، و»النوبة» للمخرج عبد الحميد بوشناق والذي بثته قناة التاسعة، وقد انطلق من فن المزود واجواء الربوخ ليبني دراما اجتماعية تمتزج فيها العديد من الظواهر، و» شورّب» الذي عرضته نفس القناة وتناول حقبة من تاريخ الأحياء الشعبية في العاصمة، من خلال استعراض حياة شخصية مثيرة كانت حديث عامة الناس، واستقطبت اهتمام الراي العام في فترة من الزمن.

التلفزة التونسية أمام حتمية الدفاع عن ريادتها، والحرية حق

ولكن التلفزة التونسية في خضم هذه الإنتاجات التي أنهت احتكارها للمشهد، وفرضت عليها المنافسة، لم تدرك طريقها، ولم تعرف على أي قدم ترقص، فارتأت أن تواكب السائد، خشية فقدان موقعها في طليعة المشهد التلفزي، متجاهلة ان وظيفتها كمرفق عام تختلف جوهريا عن تلفزات القطاع الخاص، فكان مسلسل « الجبل لحمر» العام الماضي و الذي سيطرت عليه المواضيع التي يفرز طرحها في الاعمال الدرامية جدلا كبيرا، مثل المخدرات والفساد الأخلاقي والجريمة والخيانة. لأنها مواضيع منسوخة من اعمال جهة اخرى اصبحت مختصة في هذه النوعية من الدراما التلفزية التي يمكنها بشكل أو بآخر التأثير على الرأي العام.

ولكن التلفزة الوطنية ثابت إلى رشدها في رمضان هذه السنة، و تخلت عن المضامين المثيرة للجدل، وبثت مسلسل «باب الرزق» من إخراج هيفل بن يوسف، وهو دراما اجتماعية طرحت جملة من القضايا المعيشة، مرتبطة بما تشهده تونس بعد 14 جانفي 2011. فبطل المسلسل، شاب تونسي غادر قريته الى الولايات المتحدة، وغاب عنها ثلاثة وعشرين عاما، وهي المدة التي حكم فيها بن علي البلاد. ولم يكن الشاب ليعود، لولا وفاة والده الذي كان في قطيعة معه بسبب ممارساته الظالمة والتعسفية في حق العملة الكادحين في الضيعة التي يملكها في البلدة. وانفتح المسلسل على موضوعات الفساد واستغلال النفوذ والسعي إلى التفرد بالميراث والإستيلاء عليه، ومسائل اخرى موجودة في المجتمع بدرجات متفاوتة مثل التهريب والمخدرات، ولكن دون التركيز عليها . وحاول المسلسل تصوير بعض مناحي الواقع من خلال مجتمع زراعي تدور في اوساطه احداث عديدة تتعلق بالصراع على الارض وخيراتها. وقد يكون صراعا حول غنيمة السلطة، حيث لم تغب عن المسلسل الإشارات السياسية التي تلمح إلى بعض المحطات التي شهدتها تونس إثر الثورة وحتى اليوم، سياسيا واجتماعيا. وقد يكون المشاهد غير مستعد في الاجواء التي تحيط بطقوس شهر رمضان المبارك لاستيعاب رسائل مشفرة وإعمال العقل لتفكيكها وهو على مائدة الإفطار او يترشف قهوة إثر مادبة شهية. ولكن مسلسل باب الرزق لم يرهق المشاهد، ووضعه في إطار قصة اجتماعية تابع اطوارها حتى بروز مآلاتها، دون حاجة إلى قراءة ما بين الاسطر وما خلفها.

وفي الجانب الآخر كانت قناة الحوار التونسي تعرض الجزء الثاني من مسلسل «الفلوجة»، وهو تتمة لأحداث تابعها شق كبير من المشاهدين الموسم الماضي، ولم ينته شغفهم بها، حتى ولو أنها مكررة ومتشابهة وتدور في فلك واحد. وحاولت المخرجة سوسن الجمني تطوير الأحداث وتوسيع مواقعها فانفتحت على التعليم في الريف وركزت على معاناة التلامذة والمربين والسكان، والعقليات التي مازالت سائدة وخاصة في ما يتعلق بوضعية المراة وتعليم البنات. وتفادت المخرجة الوقوع في فخ المبالغة والتهويل، فجنبت الريف ممارسات مرتبطة مثلا بالمخدرات والعلاقات بين الاساتذة والتلامذة داخل المعهد وخارجه والبعيدة عن الوظيفة التربوية. وكأني بها أرادت إحداث توازن قيمي بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري. ويبقى مشروعا لهذا المسلسل أن يطرح موضوعات لا ينفي

أحد أنها تشكل خطرا على سلامة المجتمع . فكل عمل فني حر في طريقة التعاطي مع الظواهر المجتمعية من زوايا ورؤى يختارها المخرج والسيناريست ولا رقابة عليه قبلية أو بعدية. فالحرية الفنية والإبداعية لا تتجزأ.

مسلسل «رقوج» يتحدى انحصار المنافسة بين الوطنية و الحوار التونسي

ولم يتمكن التنافس الثنائي بين التلفزة التونسية وقناة الحوار التونسي من حجب عمل درامي ممتاز بثته قناة نسمة الجديدة، وأخرجه عبد الحميد بوشناق وحمل عنوان «رقوج». وقد تضمن قصة جميلة دارت احداثها حول بناء مدرسة القرية، وتفرعت إلى مسائل جمة اختلط فيها السياسي بالإجتماعي. وهي قصة تروي واقعنا بعد الثورة بمختلف تشعباته وتعقيداته وصراعاته. فالمدرسة ترمز الى الوطن الذي يريد ابناؤه اعلاء صرحه. ولكن المدرسة تهدمت بعد بناءها بسواعد اهل القرية. وقد يكون للمسلسل جزء ثان.

هذا العمل، يبدو لي ويشاطرني الراي كثيرون، افضل الأعمال الدرامية التونسية التي تم بثها في رمضان 2024 من جميع الجوانب ،وهويشكل محطة مهمة في صناعة الدراما التونسية، ولو انه لم ينخرط في مسار المنافسة التي احتدت منذ فترة بين التلفزة التونسية وقناة الحوار التونسي. واعتقادي، أنه من واجب أصحاب أي انتاج درامي التمهيد لاعمالهم بخطة اتصالية حتى ينتبه إليها جمهور المشاهدين ولا تضيع بين ثنايا الاستقطاب الثنائي أوفي زحمة وفرة الإنتاج.

وتميزت قناة نسمة أيضا من خلال سلسلة هزلية انطلقت في النصف الثاني من شهر الصيام وحملت عنوان «نهار على عمار». وقد شكلت السلسلات الهزلية والسيتكومات والكاميرا الخفية، النصيب الأوفر من الانتاجات الرمضانية لهذه السنة، إلى جانب برامج الطبخ التي لا تغيب في أي قناة.

ويتضح ان ما اغلب ما تم تقديمه من الأعمال الهزلية لا يرتقي إلى المستوى المطلوب، خاصة وان الجمهور تعود في السابق على أعمال رفيعة، ويطلع إلى مثيل لها وأحسن منها، فالارشيف التلفزي الوطني يتضمن انتاجات راقية ومحترمة تندرج في خانة الدراما الكوميدية والإضحاك والسخرية، وفي طليعتها شوفلي حل للتلفزة الوطنية وما سبق هذه السلسلة من أعمال انتجتها التلفزة طيلة مسيرتها ومنها «الحاج كلوف» و«أمي تراكي» على سبيل الذكر، كما تحتوي الخزينة الوطنية على أعمال هزلية أخرى شدت جمهور المشاهدين، و منها، «دار الوزير»، و«نسيبتي العزيزة» لقناة نسمة، و«الرئيس»، و«بوليس حالة عادية» لقناة التاسعة . ولكن لا يمكن أن ننفي في المقابل أن جانبا من الجمهور، محترم العدد ومن جميع الأجيال، يحبذ سلسلات هزلية تقتصرعلى الإضحاك دون هدف محدد، حتى ولو تحولت إلى تهريج. ولم يخلو المشهد التلفزي الحالي من مثل هذه الأعمال.`

التطوير ضرورة حتى تصبح الدراما التلفزية صناعة حقيقية

وتبدو التلفزة التونسية قد اقتنعت بوجوب توخي منهجية جديدة في انتاج البرامج الرمضانية حتى تتفادى مستقبلا ضعف بعض الأعمال التي عرضتها في رمضان الحالي، وجوبهت بسيل عارم من الإنتقادات، فأطلقت طلب عروض لتلقي مشاريع نصوص مسلسلات وسيتكومات وسلسلات هزلية ولم يكتمل الشهر بعد. ولكن اعتقادي ان التلفزة استعجلت الموعد حيث إن تحديد تاريخ 7 ماي المقبل كأجل نهائي لتقديم المشاريع لا يستقيم وهو مبكر جدا. و يتعين على التلفزة قبل ان تسارع الى اعلان طلب العروض ان تقوم بتقييم جدي وعلمي للأعمال التي بثتها في رمضان الحالي. وحري بها ان تستعين بكفاءات من الاختصاص، وتحدد بوضوح رغباتها بالنسبة الى شهر رمضان المقبل حتى لا تترك الامور في عمومياتها ودون تحديد اهداف وغايات. ويلفت الإنتباه في بلاغ التلفزة عبارة «رؤية التلفزة البرامجية للبرمجة الرمضانية». فهل للتلفزة رؤية برامجية فعلا ؟ فلو وجدت فلتنشرها للعموم حتى تكون المشاريع منصهرة في اطار هذه الرؤية وليس خارجها. والأوكد على التلفزة حاليا ان تراجع مجال انتاج الاعمال الكبرى ومنها الدرامية، لأن قطاع الانتاج في مؤسسة المرفق العام حاليا لا يتصف بالحرفية والمنهجية والتخطيط المسبق، وهو قطاع يكاد يكون عشوائيا، ربما بسبب غياب الآليات الضرورية والتشريعات اللازمة.

وقد أخطأت التلفزة التونسية لما قررت عدم إعادة بث مسلسل «باب الرزق» فحرمت منه جمهورا واسعا. كما هي أخطأت لما بثت هذا المسلسل في نفس توقيت مسلسلات القنوات الأخرى، وكان عليها إرجاؤه إلى السهرة ، فالتلفزة ليست معنية مطلقا بالمنافسة، ووظيفتها تختلف جذريا عن الوظائف التي تقوم بها تلفزات القطاع الخاص. و لا يجوز الختام دون التأكيد على دور الدولة في تحويل الدراما التلفزية إلى صناعة حقيقية حتى تفرز إنتاجات راقية مستمدة من تاريخنا وتراثنا وواقعنا وتستند إلى أعمال روائية مرموقة و إلى كتابات جديدة يخطها عدد من كتاب وكاتبات السيناريو الذين أثبتوا مهارتهم في المجال.

والتفاؤل جائز ومشروع في خضم الإهتمام المتنامي بالأعمال الدرامية الذي تبديه جل القنوات التلفزية التونسية. ويتعين حاليا البحث عن سبل المثابرة والتطوير. فالمشهد يتسع لجميع صناع الدراما الذين يتطلعون إلى الإنتقال من عمل موسمي إلى عمل متواصل على مدار العام. وليس تحقيق غايتهم بالمستحيل في ظل تعدد المشهد التلفزي ووجود سوق للإشهار توفرحاليا للقنوات التلفزية حوالي المائة والخمسين مليون دينارسنويا، ويتعين تنظيمها وتأطيرها، حتى يستفيد منها كل من يقدم عملا جيدا. فلم يعد مقبولا أن تصنع الدراما التلفزية لإرضاء المستشهرين على حساب المضمون.

مسلسل «رقوج» لعبد الحميد بوشناق
في تجلّيات «الكشف» وجداوله

منذر العيني

من ذا الّذي يُنكر هذه الصّفعةَ الضّوئيّةَ؟ ونحنُ نباشرُ هذه السلسلةَ الجديدةَ في تجربةِ عبد الحميد بوشناق الثريّةِ ننتظرُ حاجتِنا من مفاجأةٍ غير متوقّعةٍ بتاتًا، نستأنسُ بتاريخيّةٍ بسيطةٍ من ثقافتنا المهزوزة في عالم السّينما أو في مسار فرجةٍ كلاسيكيّة تداولت على مشهديّاتٍ ممثّلةٍ تخضعُ للسّلطة وللأخلاقويّات الباردة. يخضرُّ أو يحمرُّ يُشعُّ علينا الجينيريكْ المدخلَ الأوّل لسلسلةٍ حيّةٍ تبدأ بالدّمى الكرتونيّة في تداوليّةٍ محبّبةٍ لسينما صامتةٍ توقفُ الزّمن لكنّهُ سيمرُّ، دمى تُغيرُ علينا بشخصيّاتِها تقفُ على المنزلقاتِ الواحدة تلو الأخرى، والفضاءُ من غربالٍ وصناديقَ وجنائزَ ونطفٍ وحياةٍ ودِماء...، لا تحيلنا فقط على النّهوض مجدّدا بأعمال الطّفولةِ الأولى المدهشة والرّائقة المفزعة والمضحكة في آن، بل تسرُّ لنا مستقبلاً لفرجةٍ مخصوصةٍ مرسلةٍ تعبرُ بنا ونعبرُ بها، من الخطإ أن نراهنُ على بدايتها بالسّلب أو بالإيجاب، والمساراتُ شعريّةٌ صوفيّةٌ روائيّةٌ واقعيّةٌ أو ما فوقها من حركةٍ دائبةٍ في الممرّاتِ وبين الحياةِ والموت.

كيفَ للكادرْ أن ينبُتَ في حظيرةِ المسرح؟ يقترحُ علينا شعريّةَ مضافةً لا تقتصرُ على استعارةٍ جوفاء تعسرُ على المتلقّي، هذه مسيرةٌ بأكملها تمثلُّ عوائقَ قرائنها لتجدّفَ في الممكن والمجاورِ، في ما تحملهُ الصّورةُ من زمنيّاتٍ متعدّدة متكاثفةٍ وولودةٍ ومن أمكنةٍ غائرةٍ في السّطرِ داخل تونس التّاريخ على مرمى نظرٍ منّا. القريةُ التّي يخلقها اللّه من غبارِ سفرٍ ما، من بدايةِ نهايتهِ أو من نهايةِ بدايتهِ. رقوج جوقارْ بنت سعيدان، جغرافيّةٌ ناتئة في حوض دائرة زَغدود. والمساراتُ لا تنتهي هي نمذجةٌ للعمق التّونسي يتصاعدُ في الواقع في الحلم أو في ما الوراء، مساراتٌ من الغرب الّذي لا يُفرح القلبَ، ويُفرحهُ، فليسَ ثمّة من شيءٍ ألذَّ من المحرّمات في صياغاتها الفنيّة تمتدُّ بفعل الحرارة وتنكفئُ تماما مادّةً حيّةً وجوهًا نعيشها سنعيشها عشناها وهيَ تحرّكُ دمها عبر التّاريخ منذ استقبالنا عليّسة وهزيمة حنّبعل إلى صعود العبادلة ومجيء بني هلال إلى هذه الفورة من الانزياحات... والخياناتُ لا تنتهي.

دربةٌ متجدّدةٌ للعالم الصّوفيِّ ينهلُ من مخاضاتٍ عديدةٍ، من وقائعَ تعلو بنفسها في دوار الأبخرة الكلاميّة ونحنُ نَبْهُمَ أو ننبهرُ بهذه البهاراتِ، من لَعيبيّاتٍ كهذه مثلّت عملاً مشتركًا في تركيبِ سيناريوهاتٍ داخليّة طُرقت من جمرِ لحظتها، فما يفوتُ يموتُ، لذلكَ المسرحُ في ارتجاله المحترفِ خوفٌ أو مرحٌ إلى حين، مفارقةٌ وتجاوز حتّى يحينَ الوقتُ أو يكونَ الوقفُ.

مدخلٌ كهذا لا يكفي لنبدأ بالملاحظةِ بتقفّي ما به جَمُلت سلسلة «رقوج المرمّة» بكلّ ذلكَ التّأويل الاختباري ينجحُ على جميع الألسن بجميع المتلفّظات بكلّ المتخيّرات مهما كانت ثقافةُ المتفرّج أمام شاشته أن يحيل ذلكَ إلى المكان أو إلى الحركة أو إلى الجناس من مَرمى حظيرةٍ مسرحيّةٍ مليئةٍ بالشّغل الصّوفوكلي حتّى يوصلنا إلى عالم السّحر، إلى ما فوق الواقع من شعريّات اللاّتين القدامى وتجديفاتهم مع متصوّفتنا: البسطامي أو مع النّفري أو مع الخيام...أو مع محرز، مع الشّاذلي، أو مع بن عروس.... ونحنُ نتطهّرُ من محرقٍ إلى آخر نكتمُ الدّمع أو نسايرهُ بحديثٍ يلُفّ، أو بصوتٍ يتوحّدُ مع الصفّ.

«المرمّة» حضرتْ يرحمكم اللّه، صلاةٌ، معركةٌ مرسلةٌ ننتبهُ إلى دخانها منذُ السّياقاتِ الموسيقيّة الأولى، إلى وضوءِ ضوئها يتناثرُ في كلّ مرّةٍ بياضِ شموسه السّاطعةِ الطّبيعيّة من وراء الجبلِ أو بين ظلال الأشجار أو بحمرتهِ المشّعةِ على الأطراف بين الأكتاف يقصُرُ أو يطولُ أو بسمرته في الظّلماء حين يُفتقدُ البدرُ. الإضاءةُ في مسيرتنا هذه نبدأ بها لأهيّتها في تأثيثِ هذه الحلقات، ينخفضُ منسوبها كلّما أعلت اللّقطةُ حدثها في زواج خلاسيٍّ يُأتي أكلهُ مع طاقةِ الأصواتِ المبهمةِ من ترددٍ داخليٍّ مكبوتٍ أو مع بزوغ إشاراتٍ إنسانيّةٍ أو إلاهيّةٍ تتعقّبُ خطرًا ما، النّارُ في مناسباتٍ عديدةٍ مثّلت بؤرةَ العين المضيئةِ لرمزيّتها مع مقولة العار تحفّزُ على اختراق الظّلمة، المسالكُ تحت زخّات المطر لا تنبّهُ فقط للوجوهِ ترمي بشفرتها الضّوئيّة على الخدود والتّجاعيد على وجه الممثّلةِ في وحي تلو وحي فالإضاءةُ بأكسيسوراتها من وراء الموشّور تعالقُ حالات الولادةِ من جديدٍ، أو حالات الموتِ

دراما رمضان

والأمثلةُ عديدةٌ مع لقاءات البطل الإشكاليّ في ديمومته الصّاعدة النّازلة مع مختلف الشّخصيّات، الضوءُ نارٌ غامضةٌ عارضةٌ معروضةٌ تزيدُ من خمرةِ هذا الوجد عند الفقراء يزورون ويشطحون بلهاثهم أو بتعبيراتهم الغامضة المفضوحة المسبوكة من لغةِ الأوائل لندخلَ تجويفاتٍ أخرى زيادةً عن شعرٍ دافقٍ في لغتهِ المضروبة المعطوبة والسّالكةً، يخرجُ جريحًا يحملُ انفجاراته الدّاخليّةَ ولا يفهمهُ إلاّ الرّاسخون في النّبش. لا حاجةَ لنا باللّمز، الغمز يحفرُ مجراهُ داخلنا والصّمتُ علامتهُ الإثارةُ بحركاتنا الخفيّة نتنهّدُ من شدّةِ العُجبِ إذ كيف ننقادُ ثانيةً نحو مجرى الإضاءةِ ثمّ ومن فجأةٍ في لظى الصّمت تظهر روح المغامرةِ، والحكايةُ في العيشِ تغليبُ طارئة، دحضُ ثابتة، لعبٌ في الصّفر، في حكايا ظاهرة وباطنة تتولّدُ من الشّيءِ واللاّشيء من الحركةِ ونقيضها من لغتهما أو من تدفّقهما عبر الأنسجة تخيطُ دافعيّةً للتبتّع وهو يضيف غرزةً أو يحذفها : المراسمُ الصّغيرة على الطّرقات، المواسمُ تتلوّنُ بين سوق وأخرى، والأعمالُ شتاتُ أفكارٍ تتكاثفُ في المخيّلة، في نسقٍ خلّفتهُ عقليّةٌ دوغمائيّةٌ ومنفتحةٌ في آنٍ، لا تؤمنُ إلاّ بأنانيّتها ولا تنحازُ إلاّ لعنفوانها عبر المسارات ولا تنحني إلاّ لمسوّغاتِ النّفس أو الأنفس على تباين مفارقاتها هنا وهناك ترسمنا، ترسم شخصيّاتنا ونحن ننحدر من ريفنا أو من مدينتنا، نتضاحك من أنفسنا تشدّنا العباراتُ على وجوه الممثّلة تقودنا إلى ردهاتٍ من معاصرةٍ فاكهةٍ أو حزينةٍ عندها تتعدّدُ رموز الأمكنة والدّيكوراتِ، والموسيقاتُ لا تفارقُ روافد خالقها من سيرةٍ للفرجة من تاريخيّةٍ للقراءاتِ ومن تأثّراتٍ للطّفولةِ مجبولة على الظّهور متداخلةً ونقيضةً لبعضها البعض والعملُ حظيرةٌ دائمًا تعتني بكلّ جزئيّتها على المحكّ، على جمر الدّقائق تولّدُ تفاصيلنا من جديدٍ، تحيّن دقّات تأويلنا عن الحداثة تأكل من بعضها

البعض أو من مترادفاتٍ على الطّريق من داخل السّينما أو من خارجها ولا فرقَ الواقعُ ينسخُ نفسهُ من عين الحلم.

رقوج: تونس، الإرسال الدّال على المفرد في صيغته الجمعيّة، ولم ندخل الحرمات بعدُ من وجوهِ الأبطال والبطلات تصوغهم الأوامر في ظلّ الحريّات الكفيلة للمهارة من كلّ وجه.

الحكاياتُ لا تنتهي منذ ذلكَ الفرار، فرار يوسف برمزيّته الأبديّة في جماله، في رهانه الخاسر في لعبه مع إخوته، وهم يرمونهُ في الجبّ، من أهلين يبيعونهُ للعزيز، أو ينزلُ آدمُ للأرضِ بعد خطيئته تلك، أو فلتؤوّلوا كما شئتم، تداخل أسطوريّ واقعيّ يشعلُ حدائقهُ عبر ليل المتابعةِ للتعرّف على الأجنّة تتخلّقُ من رحم المفاجآت بترنيماتِ الشّطح يطفحُ من مسكنٍ إلى آخر، إذ لا قيمة للصّورة دون تمثّلٍ للأفكار المتولّدة عنها حسب فلسفة «جول دولوز» حول المفهوم يتراوح بين الفينة والأخرى يخلق ماهيّة متجدّدة تعرّف الفنّ. منذُ البدء نسعى لاكتشافه يتكررُّ عبر أزمنة لا واعية، والوعي يقلق من هذه الدّوائر والأعاصير تأخذنا إلى جغرافيّة تتجادلُ مع التّاريخ عبر أسئلة الولادة والموت، منذ فساد قابيل مع هابيل والغربانُ تعاضد المشهديّاتِ عبر أدعيتها المبهمه في سوقِ مزايدتها إلى حدود القبر.

يوسف الوَرَلْ، عبّاس العيفة، الدّيناري الشّريف، عيدَه مبروك، بيدرو سيريو شامَه، روزا الزّكري ...اممهْ هيَ هيَ من متواترات النّماذج، غيرَ أنّ شيئًا ما يرفُّ يخفقُ أو ينبض فينا في تونسيّتنا تتعالى بكلّ أصواتنا في الممرّ هذه هوّيتنا تتراقصُ في ألوانها:..» نقمار جرّة الابل قصّاص روس الثّنايا.... الأسماءُ سميّناها وظيفيّاتنا المحكومةُ بالجزر أو بالمدّ تتناسل منها تسميّاتها الثّاوية القليلة أو الغزيرةُ عبر الحركة في محنتها أو في مجونها، التّسميّة فعل الشّعر الأوّل في قصصه أو في روايته، ولا معنى إلاّ بالإسم ينفطر من نظراتهِ أو يسيحُ على القماشة بأداءٍ يعلو وينخفضُ، انتبهوا إلى الأسماء، إلى علاقة الكتابةِ بالحركةِ، إلى موسيقاتٍ تتعاضدُ في الحلقة، في كلّ فرحٍ إلى كلّ مأتمٍ تذرفُ فيه الأغاني المساوقةِ عبر غجريّاتٍ ناتئةٍ تلدُ كلّ لحظةٍ كينونتها كشفها فينا، لتنغرسَ أشواكٌ وتنهارُ مشاعرُ وتولدُ أخرى ونحنُ نلتحمُ ضدّ الشّرّ في بوصلتهِ التّي لا تنتهي، والخيرُ لا يتقادمُ، يتجدّدُ عبر المفاجأةِ أو عبر الإرادةِ.

اِنْسِيمَه مَهْبوبه أو محبوبة على طرف الكينونة المجنونة تختزلُ الحدس الخرافيّ في رُقْيَته الشّرعيّة الأخرى البسيطة والطّبيعيّة، لتجعله من علامة الأنْتGرال الرّياضي في ذلكَ الإبسِيلون أو العامل الاضطرابيّ في أحجية رقوج، أو في كلّ مكانٍ من بنزرت إلى بن قردان، نرى فرادتهم على السّطح تعمرنا أو تعمر بنايتها الهشّة، في صفيرهم أو مزامرهم المُنبئة، من حركة إبعادهم أو تقريبهم للأحداث تشويقًا بتشويق وهم في القماشة لا يعمرها إلاّ الأحمر التّشيقيفاري ضدَّ بالوعات رأس المال المتوحّش أو قد رقصوا رقصاتهم بتربيعة الفلسطينيّ وهو يعلو في الفضاء يبحث عن حريّته المباركه ضدّ استعمارٍ يتكرّر في بلداتنا يقلبُ سحنتهُ وقد أنبت في تارخيّته عبوديّاته من تحقيرٍ للمرأة أو للطّفولة ترتع في جهله وقد عاينتها الكامرا بتحرّكاتها على الوجوه أو برصدها للثّنايا تسندُ كينونةَ أو ولادةً تنهضُ من رماد العيد أو من عنفوان الإعاقة وقد شدّت على الهمّة وفضحت قماشتنا المشوّهة في مجتمعات التّناقض تبيع وتشتري ونحن كعادتنا ننصرُ من يصبحُ. المرأة رمز الولادة رمزيّة تانيت التّي أخصبت الحركة وهي تعلي وتبني وليس كظلّ ميمونة في أدبيّات السّادة، هي من أعادت للسّوق اعتباره أو للحقل فصله أو للعلم منارته، هكذا بتعريجات على الوجوه والكلمات تحرّرُ القافية وتعلي بالغناء صوتنا المكبوت.

اصطفّوا يرحمكم اللّه، «المرمّه رقوجْ» والرّعاةُ بعيدون، استعارة كبرى تنتظرنا لنعيد بناء أنفسنا في رسالة موجّهةٍ إلى الشّرفاء من هذه البلاد حتّى يصدّو الضّيم عنها، عن مياهها التّي قد تنضب، ولكنّه الفنّ مرّة أخرى يحيلنا على الكتارسيسْ ونحن عزّلاً نهمي، إلاّ من «على قدر أهل العزم...» بعد أن أكملنا فصولنا من حكايا دفينةٍ فينا قد تعبرها اللّغة إلى الفعل، يعبرها الفنّ إلى الحركة ومن أنذر فقد أعذر. رقوج: الرّسائلُ في تدوريها على السّوشل ميديا أو على أجنحة الطّير، مشيئتنا نهاية الحلقة ونحن نترك دخانا لنعاشر آخر والقبابُ بيضاءَ مازالتْ والمزاراتُ مفتوحةٌ دائما لمريديها من المناضلين يلبسون البياض ويحتمون بالرّقص وبالغناء حتّى نتوّحدَ مع البّارئ ومع البراءة ومع الكشف. لن ننتهي من الهدم لن ننتهي من البناء، هكذا الفنّ يمحو ويعيد على بعد شبر من ملك الموت، وقد أضحينا في مثل البداية يرافقنا بيدْرُو وفرقته غرقا ونجاةً، نحاولُ ملكًا أو نموت فنعذرا...

بورتري

محمد بوريقة أحد رواد الموسيقى التصويرية في تونس

علي الخضيري

محمد بوريقة فني، من اختصاصات الإذاعة والتلفزة التونسية، او مايسمى في العرف السمعي البصري، وجوه الخفاء، اي التي يسمع المشاهد او السامع اثرها ولا يرى صورتها، وهم كثيرون مروا بالإذاعة والتلفزة، شارع الحرية بتونس العاصمة، أين قضينا أجمل أيام حياتنا.

عرفت الصديق الموسيقي والفني السيد محمد بريقة. فني المؤثرات الصوتية والموسيقى التصويرية، لما اشتغلت بالتلفزة وجاورته في العمل كان مكتبه إلى جوار مكتبي، دوما، يفتح مكتبه في المساء، الذي هو عبارة عن متحف موسيقي.

دوما يستمع عبر سمّاعات في أذنيه للموسيقى العالمية يختار منها ما يطلبه منه المنشّطون لتاثيث حصصهم التنشيطية في الإذاعة او في التلفزة.

منذ شبابه المبكر اتجه إلى هوايته المفضلّة الموسيقى، تلقى تكوينا ثم انضم مع رفاقه إلى معهد الموسيقى الذى اداره باقتدار الموسيقار الكبير صالح المهدي.

تعلّم العزف على الفيولونسال «آلة الكمنجة الكبيرة» وبرع في العزف، فادخله صالح المهدي «زرياب «إلى الرشيدية (معهد موسيقى المالوف) والاركستر السمفوني... وواصل تعليمه الموسيقي إلى أن تحصل على دبلوم الموسيقى، وبذلك أصبح استاذ موسيقى بالتعليم الثانوي، أين عين في معهد عين دراهم.

لم يكن التعليم أقصى طموحه، لذلك تدخّل له صالح المهدى لدى مدير التلفزة محمد المغربي فانتدبه في خطة جديدة تم بعثها تجمع بين الهندسة الصوتية والموسيقى اطلق عليها: «فني المؤثرات الصوتية» وتتمثل مهمته في وضع موسيقى «صامتة» تصاحب

المشاهد المصوّرة، او معزوفات او أصوات عصافير، حتى يصبح المشاهد متفاعلا مع المشهد المصور، صورة وصوتا.

وجد قبله في هذه المهمة الفني: مراد سعيد، وأجرى تربصا باشراف مهندس الصوت المتميّز : عبد العزيز السائح.

وأول عمل شارك فيه كان شريطا تلفزيا لعميد المخرجين التلفزيين : عبدالرزاق الحمامي، الذي أعجب بالشاب محمد بوريقة وشجّعه.

كان الفتى يقضي يومه في مكتب السيدة مايي وكانت مسؤولة عن خزينة الاسطوانات والاشرطة يسمع الموسيقى العالمية ويختار ويسجل وينتقي الجمل الموسيقية المؤثرة التي تتماشى مع الاحداث الدرامية.

وواصل في هذا العمل بحب وشغف ومهنية، وكان من اوائل من ركّزوا هذه المصلحة الفنيّة الابداعية التي اصبحت تضم العديد من الفنيين الموسيقيين مثل : احمد عيسى، خالد مدّاح، رضا الزيدي وغيرهم.

مسيرة طويلة في العمل واعمال كثيرة حملت في جنيريكاتها اسم محمد بوريقة، الرجل اللطيف، والرصين.

كان يتحفنا بسماع بعض الاغاني او المعزوفات ويشرّكنا معه في معرفة اسماء اصحابها وقد سُعدت ايما سعادة حين تعرّفت عن طريقه على الدكتور جراح التجميل في باريس د.سلايمية الذي يملك مكتبة موسيقية رهيبة.

أغلب تسجيلات (اسطوانات) حفلات ام كلثوم، وجلسات خاصة معها ومع كبار الفنانين.

هذا الرجل الاستثنائي صديق الرؤساء والامراء وكبار الفنانين والذي جمع تسجيلات نادرة اهدى بعضها للإذاعة التونسية.

وكان سي محمد بوريقة، هو القائم على تسجيل هذا الكنز من الأغاني والموسيقى العالمية.

تحية لعشيرنا،وصديقنا الاستاذ محمد بوريقة الذي ترك بصماته وأياديه البيضاء على قطاع هام، إبداعي وفني تحتاجه الدراما والمنوعات والبرامج التنشيطية.

صورة تتحدّث

الشهيد الهادي جاب الله رحمه الله

في 1954 و عندما اشتد القمع الفرنسي إبان الثورة المسلحة كان العمل المسلح في المدن و خاصة العاصمة في غاية السرية حيث كان الشهيد عضوا في إحدى الخلايا المسلحة وكانت المقاومة تقوم بتفجيرات و اغتيالات للفرنسيين و كذلك لتونسيين من المقربين للمستعمر، إثر اغتيال الشهيد فرحات حشاد عم الحزن كامل الوطن و لكن بعد أقل من شهر نزل في الصحف خبر استقبال المقيم العام المجرم دي هتكلوك لباي الامحال ولي العهد عز الدين باي المعروف بصداقته للفرنسيين و معاداته للحركة الوطنية ذهب ليهنىء دي هتكلوك بالعام الجديد مما أثار سخط الوطنيين تمكن الشهيد الهادي جاب الله من تنفيذ عملية الاغتيال لعميل الاستعمار.لكن السلطات سارعت بالقبض عليه و اعدامه رحمه الله في ساحة السيجومي يوم 14 أفريل 1954

سهرة الشعر والموسيقى بالمكتبة المغاربية ببن عروس

هدى محمد

في إطار الذكرى 68 لعيد الاستقلال نظّمت المكتبة المغاربيّة وجمعيّة أحبّاء المكتبة والكتاب ببن عروس تزامنا مع اليوم العالمي للشّعر سهرة رمضانيّـــة شعريّـــة مع استضافة ثلّة من الشعراء :

فتحي النّصري، محمّد الهادي الجزيري، سلوى الرابحـــي، سمير العبدلّي، شمس الدين العوني. مع مرافقة موسيقيّة للموسيقي جمعة الجريدي وضابط الإيقاع سامي بركات.

وفي افتتاح هذه السهرة الشعرية الرائقة عبرت السيدة فتحية شعبان مديرة المكتبة الجهوية ببن عروس عن وفاء المكتبة للمحطات الوطنية والثقافية الكبرى، وعن إيلاء الاهتمام للشعر والموسيقى في ليالي رمضان الروحية، كما عبرت عن مساندة الشعب الفلسطيني بكل أساليب المقاومة الابداعية الممكنة لمزيد التحسيس بمعاناة هذا الشعب العربي الحر ..

وافتتحت القراءات الشعرية مع الشاعر فتحي النصري الذي مزج بين الشعري والروحي واختار بعض النصوص ذات النزعة الصوفية من أعماله الكاملة ومن ديوانه " المعلقة وأشياء أخرى". وقد ارتفعت هذه القصائد إلى تخوم المعنى والتشبعات الرمزية الروحية. فكانت متناغمة مع أجواء رمضان الروحية. وتقاطعت فيها الروحانية ونشوة الفن.

قرأ محمد الهادي الجزيري بعض نصوصه وكانت بمثابة التلوينات النفسية والروحية في اجتراح لحظات إنسانية في عمقها ومعاناتها و مكاشفاتها. فتمظهرت ذات الشاعر وهي تعدد أوجه وجعها وما بقي من ارتسامات وصور..

الشاعر شمس الدين العوني نسج حلمه ورؤاه وقلقه ودهشته وغمسها في العالم المرتبك المدهش من حوله على عتبات المدن العتيقة و العناصر الطبيعية التي أضحت أقنعة لعوالم شعرية متخيلة ... هي عوالم الذات في رحلتها الوجودية الخلاقة.

الشاعر سمير العبدللي وإن طغت نبرات الشجن على صوته وهو يهدي قصائده لوالده المتوفي فقد انفتحت قصائده على إمكانات عديدة من الصور الشعرية والتفاصيل العبقة بلحظات روحية وتأملات الذات. فكانت قصائده مرممة للوجع.

سلوى الرابحي، مزجت بين الإلقاء ولغة الجسد. فكان حضورها مؤثرا .. حضور الشاعرة الأنثى بشخصيتها الشعرية المختلفة والمتفردة. وبنصها الأنثوي الحمال لهموم أنثوية وإنسانية في ذات الوقت وبصور شعرية رمزية جميلة . ومزجت سلوى الرابحي بين تمثلات اللحظة الشعرية في اللاوعي وتماهيها مع الوعي.

أدارت هذه الأمسية الناقدة هيام الفرشيشي و تخللت هذه القراءات الشعرية مراوحات موسيقية على الة العود وأغان طربية شرقية وتونسية، كما حضرت الأغاني الملتزمة مساندة للشعب الفلسطيني وتعبيرا عن توقه للحرية وتحدي غطرسة العدو.

حضر الأمسية ثلة من المثقفين والمبدعين من ولاية بن عروس على غرار الشاعر والجامعي رشيد القرقوري والمفكر عابد الشيحاوي والشاعرة سلوى الكلاعي والشاعر محمد علولو والمبدع عبدالعزيز بن عبد الله كما واكب الأمسية الشاعر والفنان التشكيلي العراقي سمير البياتي واخرون..

89 يومًا من الحياة في مترو الأنفاق

عدنان حسين أحمد - ناقد سينمائي عراقي مقيم في لندن

قبل الخوض في التجربة الفنية للمخرج الأوكراني باڤلو دوروهوي لابد من الإشارة إلى أنه مصور فوتوغرافي مبدع لا تُخطئه العين الحصيفة، عمل في مجال التصوير الفوتوغراقي لمدة عشر سنوات تقريبًا، وقد وصل مشروعة الفوتوغرافي الشخصي المعنون «هندسة ما بعد الحداثة في أوكرانيا 1991-1985» الذي أنجزه سنة 2023 إلى القائمة القصيرة لجوائز سوني العالمية للتصوير الفوتوغرافي، وهذا يعني أننا نقف في حضرة مصور محترف يتحكم بآلة التصوير ويطوّعها بالإتجاه الذي يريده ويصبو إليه. وحينما اكتشف أنّ طاقاته الإبداعية الخلاّقة تتجاوز حدود التصوير الفوتوغرافي انتقل إلى فضاء الإخراج السينمائي للأفلام الوثائقية وأنجز ثلاثة أفلام مهمة وهي على التوالي: «89 يومًا» و«يوميات 1937» و«المراكبي» التي أنجزها بين عاميّ 2023 و2024 علمًا بأنّ الموضوعات التي تشدّه وتلفت عنايته هي «حياة الناس والمساحات التي يعيشون فيها». ومن يتأمل فيلم «89 يومًا» الذي تبلغ مدته 18 دقيقة نراه يتجاوز حدود الموضوعين المُشار إليهما سلفًا ويلامس التاريخ، والحرب، والسياسة، والحياة اليومية للناس العاديين على وجه التحديد ولكن من دون شعارات، ولغة صاخبة، وثرثرة بصرية.

وحينما يعرف المُشاهد أنّ هذا الفيلم يدور في خاركيف، وهي ثاني أكبر مدينة في أوكرانيا وتعد من أبرز المراكز الصناعية والتجارية والعلمية والثقافية في البلاد، خاصة وأنها كانت عاصمة «للجمهورية الاشتراكية السوفييتية الأوكرانية» منذ ديسمبر 1919 وحتى يناير 1934 وفيها مئات النصب التذكارية وعشرات المتاحف والمسارح وصالات الفن التشكيلي.

كما تحتوي على مترو الأنفاق الشهير الذي أُسس سنة 1975 ويحتوي على 30 محطة تقريبًا ويمتد لمسافة تقدر بـ 37,6 كم تتحرك في مسارات ثلاثة فإنه يُدرك بأنه أمام فيلم مكاني بامتياز وأنّ الناس العاديين من مختلف المشارب والخلفيات الثقافية هم الذين لاذوا بهذه المحطة المحصنة تحت الأرض خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الغزو الروسي الشامل لأوكرانيا ومن هذه المدة الطويلة نسبيًا اجترح المخرج عنوانًا لفيلمه الوثائقي «89 يومًا» حيث تم تجهيز المكان بالمتطلبات الأساسية التي تحتاجها العوائل الأوكرانية لكن الحكومة المحلية وإدارة مترو الأنفاق يريدون إخلاء محطة أرميسكا من السكّان الذين التجأوا إليها بغية تشغيل شبكة النقل من جديد. لابد من لفت عناية القارئ الكريم إلى أنّ محطة أرميسكا كانت تسمّى سابقًا «راديانسكوي أرمي» التي تقع على خط مترو "خاركيف خولودنهيرسكو-زافودسكا» الذي تم افتتاحه في 11 أغسطس 1978. ونظرًا لحظر الأسماء الشيوعية في أوكرانيا سنة 2016 فقد تم تسمية المحطة بأرميسكا، وفي سبتمبر 2023 تم استبدال النجوم السوفيتية الحمراء بصور شعار أوكرانيا الذي يحتوي على رمح ثلاثي الشُعَب وشعار النبالة لخاركيف.

تُقدّم للناس اللائذين بمترو الأنفاق العديد من المأكولات وخاصة الحساء والمعكرونة واللبن والزبد والبسكويت وبعض الفواكه المتيسرة في هذا الظرف الاستثنائي حيث ينهمك الجميع بقراءة الكتب الورقية أو الإليكترونية المتوفرة على أجهزة الحواسيب والهواتف النقالة. والبعض يرسم أو يلعب في جوف المحطة أو يستغرق في النوم رغم دوي المدافع وقصف

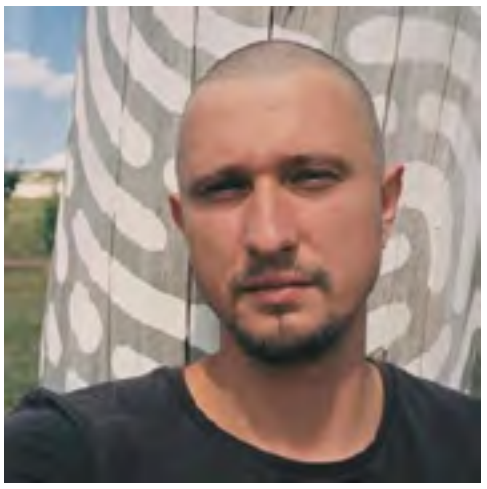

الطائرات التي تستهدف هذه المدينة التاريخية العريقة. ثمة تركيز واضح على الحيوانات الأليفة وخاصة القطط التي جلبها بعض الأطفال من منازلهم ولم يتركوها لكي تواجه مصائرها المحتومة في المنازل التي يمكن أن تُصبح هدفًا للقصف المتواصل للقوات الروسية الغازية. وإذا كانت الطفلة أوليانا تبكي بحرقة لأنّ قطّها قد هرب منها لبعض الوقت واندسّ في خانق ضيق بين جدارين واتسخ كثيرًا فإن بعض النسوة ينخرطن في البكاء حينما ينظرن إلى صور البنايات الجميلة التي قوّضها القصف الروسي لكن البعض الآخر منهنّ يتحدثن بثقة كبيرة ويقلنَ بأن الشعب الأوكراني سوف يعيد بناء كل مادمره الغزاة في خاركيف وبقية المدن الأوكرانية. يتبادل السكّان أخبار قرية «بوتشا» التي أصبحت رمزًا للتضحية الأوكرانية وفظاظة القوات الروسية التي تُطلق النار على أناس مدنيين مكبّلين من دون أن يهتز لهم جفن أو ترتعد لهم فريصة. ويتمنون على أصدقائهم الغربيين أن يفرضوا عقوبات صارمة ضد أعداء السلام والإنسانية في محاولة جادة لعزل الشر ودحره في جبهات القتال. البعض الآخر ينقل أخبارًا مؤلمة تعرّي القوات المعتدية التي لا تجد حرجًا في إطلاق النار على النساء والأطفال والرجال الطاعنين في السن والأدهى من ذلك أنهم يدوسون الضحايا بسرفات الدبابات. هذه اللمحات والإشارات الخاطفة توحي بالكثير للمتلقين الذين يتعاطفون مع هؤلاء الضحايا ويتمنون لهم أن يخرجوا من هذه المحنة الكبيرة بسلام، كما أنّ إدارة مترو الأنفاق تطلب من المقيمين في المحطة أن يغادروها وينتقلوا إلى بيوتهم بعد أن ينظفوا الأمكنة التي استعملوها طوال الأشهر الثلاثة التي مرّت عليهم بصعوبة بالغة فبعضهم كان يسكن في القطارات نفسها بعد أن اكتظت المنصات بآلاف الناس الهاربين من دويّ القنابل والصواريخ البالستية المروّعة. أُخليت المحطة في العشرين من شهر مايو 2022، وفي الرابع والعشرين منه بدأت محطة خاركيف بالعمل ثانية بعد أن نفضت قطاراتها كميات كبيرة من الغبار الذي تراكم فوق سقوف العربات التي ظلت واقفة على مدى 89 يومًا بالتمام والكمال.

جدير ذكره أنّ باڤلو دوروهوي من مواليد 22 يونيو / حزيران 1985 في خاركيف. درس عام 2016 في مدرسة «DokDokDok» للتصوير الفوتوغرافي المعاصر. وفي عام 2019 أخرج فيلمه الوثائقي القصير الأول «يوميات 1937». ركّز باڤلو منذ بداية الغزو واسع النطاق على توثيق الوضع في خاركيف والمناطق المجاورة لها. نَشرت صوره الفوتوغرافية العديد من الصحف والمطبوعات الأوروبية والأمريكية الرصينة مثل دير شبيغل وصحيفة نيويورك تايمز ونيويوركر.

سينمائيات تونسية

إعداد : منير الفلاح

فيلم « الشكارة والبحر» لعزيز الشناوي يتوج في بلجيكا

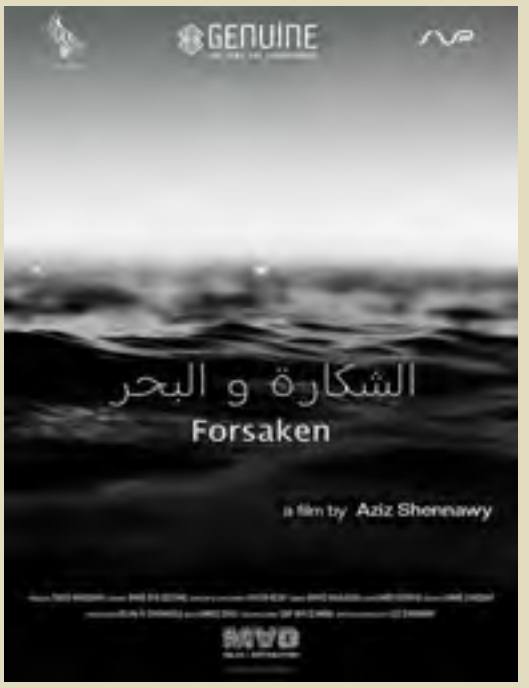

شارك الفيلم التونسي القصير الشكارة والبحر للمخرج عزيز الشناوي في مهرجان غينت السينمائي الدولي للأفلام القصيرة ببلجيكا المنعقد ما بين 18 و 24 مارس، وعرض الفيلم يوم الافتتاح الاثنين 18 مارس في الساعة 8 مساءً. وفاز الفيلم بالجائزة الكبرى للافلام الروائية القصيرة.

تدور أحداث الفيلم حول مريم، امرأة ثلاثينية تقرر الذهاب في إجازة، لكنها تعثر على جثة رجل إفريقي غارق أمام شرفتها، وعلى ما يبدو أنه لم يحاول أحد مساعدته. وعندما تتعرف مريم على هويته، تجد نفسها مضطرة لاتخاذ قرار مصيري.

الفيلم من إخراج وتأليف عزيز الشناوي، للمنتج طارق مرواني، ومن شركات الإنتاج Genuine For Films And Entertainment وHypnos Pictures و S.V.P ، وبطولة الممثلة قمر بن سلطان التي اشتهرت بمشاركتها في الفيلم القصير رقصة الفجر للمخرجة آمنة نجار، وتصوير حاتم ناشي مدير التصوير التونسي الشهير بأعمال عدة منها فيلم الرعب التونسي دشرة للمخرج عبد الحميد بوشناق، ومونتاج عمر قرقني، وتتولى MAD Solutions مهام توزيع ومبيعات الفيلم في جميع أنحاء العالم.

عزيز الشناوي مخرج وكاتب سيناريو تونسي، درس التمثيل في استوديو الأداء المسرحي تياترو ستديو، ومضى في تعليمه في مجال إنتاج الأفلام وكتابة السيناريو في كلية الهندسة والتصميم السمعي البصري في تونس، بالإضافة إلى دراسته في معهد تريباس في كندا. قام بتوسيع معرفته بدراسة الفنون المسرحية في جامعة ليج في بلجيكا.

اختير فيلمه القصير كرينتي من إنتاج هيبنوس بيكتشرز في أكثر من 60 مهرجان وحاز على 19 جائزة مرموقة. هذا التقدير الدولي سمح له بمشاركة أعماله مع جمهور واسع. حاليًا، يقوم عزيز بالتحضيرات لفيلمه الروائي الأول، المقرر إنتاجه في عام 2024 بالتعاون مرة أخرى مع شركة Genuine For Films And Entertainment.

كتاب جديد للناقد السينمائي "الهادي خليل" حول الصورة الفوتوغرافية"

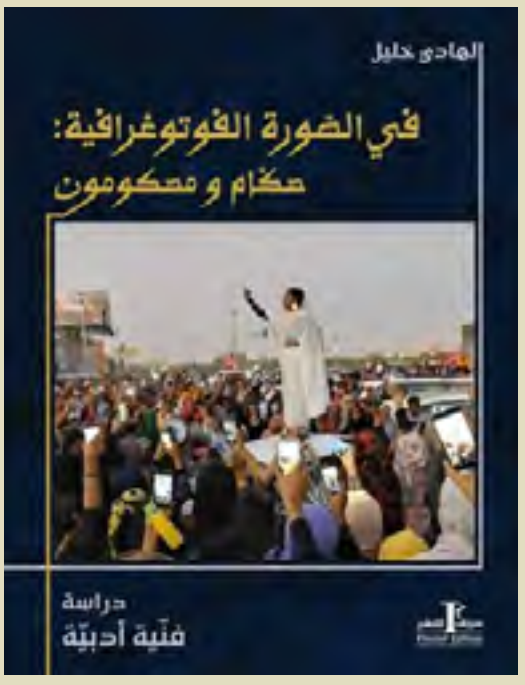

يلتئم يوم غد الاربعاء 3 أفريل 2024 في التاسعة ليلا بمقر المركز العربي للدراسات والبحوث السياسية CAREP نهج التانيت نوتردام بتونس Notre-Dame

لقاء حول الكتاب " في الصورة الفوتوغرافية: حكام ومحكومون" وسيقدم الكتاب الدكتور عبد الجليل بوقرة.

هذا الكتاب ليس بحثا في تاريخ الفوتوغرافيا ولا تحقيقا في أهم المراحل والتطورات والتقلبات التي مرت بها. هو كتاب يتناول،عبر صور فوتوغرافية، متهورة أو مغمورة،عامة أو خاصة،قديمة أو حديثة،إشكالية العلاقة الشائكة بين الحكام والمحكومين في كل أبعادها التاريخية، والسياسية،والثقافية.والذاتية.

ان هاجس صاحب هذا المصنف لا التسلسل الكرونولوجي لظاهرة الاستبداد والاستعباد، سواء في ضوء الصور المتاحة أو في ضوء الصور غير المسبوقة،بقدر ما هو تشكيل التقاطعات والتباينات بين ظواهر عدة،مثل الاستعمار والاستيطان والاحتلال والقمع والثورة وانهيار الحكام المطلقين والهجرة ومآسيها المتلاحقة.

هذا الكتاب هو قصة حياة بأكملها،حياة باحث عن علاقته بالصورة وبكل الروافد التي تحيط بها،سواء كانت فكرية أو أدبية أو سينمائية. ما سعى إليه صاحبه هي قراءة عدد من وقائع العالم ونشر شذرات من البوح الذاتي أو بالاحرى العالم كما تتمثله الذات الكاتبة،عبر هذا المحمل الادنوي والملغز ألا وهو الفوتوغرافيا. فرجاء المؤلف هو ان تسهم هذه الدراسة في لفت نظر الباحثين والجمهور العريض الى أهمية الرهانات الفكرية والحضارية والوجدانية التي تطرحها الصورة الفوتوغرافية خصوصاً والصورة بشتى انماطها عموما.

ويذكر ان الهادي خليل هو أستاذ فخري في الجامعة التونسية. حصل على دبلوم البحوث المعمقة (دي أر أيه) في عام (1980) عن أطروحة تناولت الكاتب الفرنسي "أندريه جيد" وتمثيلات الإنسان العربي والإفريقي في أعماله الأدبية. كما حصل على درجة الدكتوراه في عام (1998) عن أطروحة تناولت كتابة الغريب في أعمال الكاتب الفرنسي جان جينيه. عمل 'الهادي خليل" كأستاذ في السينما في الجامعة التونسية ونشر العديد من الكتب والمقالات حول السينما العربية، الإفريقية، التونسية والسعودية. بعض هذه الكتب تشمل "العرب والحداثة السينمائية" (1996) و "من مدونة السينما التونسية: رؤى وتحاليل" (2008) و "السينما السعودية: الأثر والمسار والتوقعات" (2019)، يقيم «الهادي خليل» في تونس ويعمل حاليًا على إعداد كتاب عن ذكرياته في المملكة العربية السعودية.

فيلم "فوفعة" لابراهيم اللطيف في القاعات أول أيام عيد الفطر

ينطلق عرض الفيلم الجديد "فوفعة" لإبراهيم لطيف في القاعات التونسية بداية من ثاني أيام العيد.

و"فوفعة" كوميديا فانتازية عن سيناريو وحوار لإبراهيم لطيف، وساهم في الكتابة سنية زرق عيونه وتوفيق الثامري، وهو من إنتاج مشترك لشركة "طويل قصير" و"أف بي للإنتاج" للممثلة التونسية المقيمة في مصر فاطمة ناصر.

يشارك في بطولة "فوفعة" (Alerte à l'ouragan) كل من فاطمة بن سعيدان، محمد حسين قريع، ريم بن مسعود، أميرة درويش، الشاذلي العرفاوي، ربيعة التليلي، خلود الجليدي، حسام الساحلي، توفيق العايب، عاطف بوزيد، سندة الجبالي وذلك إلى جانب ضيوف شرفه فاطمة ناصر، بية الزردي ونرمين صفر.

تتمحور قصّة الفيلم حول مجموعة من الشبان يقيمون داخل دار ضيافة، وأثناء إقامتهم هناك يحدث إعصار. ويصوّر الفيلم كيفية تعاملهم مع هذا الإعصار الذي لديه دلالات رمزية لأحداث واقعية.

عنوان الفيلم هوّ استعارة من عنوان فيلم يوسف شاهين الأخير "هي فوضى"، كنوع من التكريم غير المباشر للمخرج المصري الراحل ، وفقا لتصريحات ابراهيم لطيف .

ويذكر أن فيلم "فوفعة" (Alerte à l'ouragan) هو خامس أفلام إبراهيم لطيف المخرج والمنتج وكاتب السيناريو والتي تراوحت أعماله بين تجارب روائية طويلة وقصيرة، أبرزها فيلم "فيزا" المتوج بالتانيت الذهبي للأفلام الروائية القصيرة في أيام قرطاج السينمائية 2004 والأفلام الروائية الطويلة "7 شارع الحبيب بورقيبة" (Cinecitta)، "هز يا وز" و"بورتو فارينا".

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

بيرس بروسنان يشجع آرون تايلور جونسون على تقمص شخصية جيمس بوند

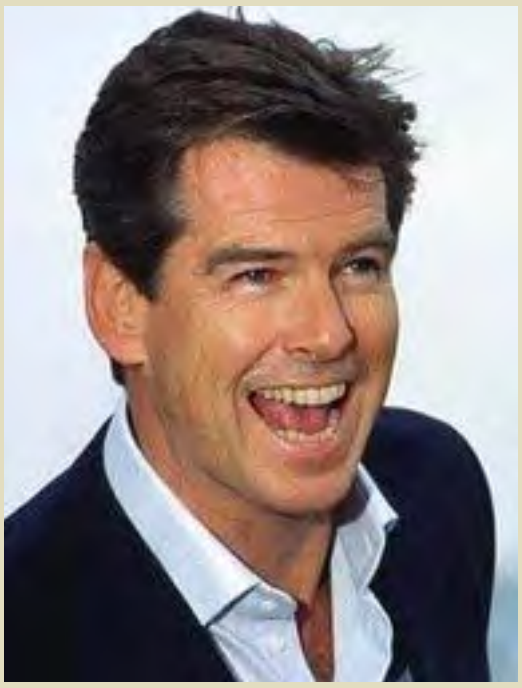

أعرب النجم العالمى بيرس بروسنان عن رأيه في اختيار الممثل الشاب آرون تايلور جونسون لشخصية جيمس بوند، وقال أن نجم Tenet سيتولى الدور الأيقوني، بعد عامين من تنحي النجم العالمى دانييل كريج عن سلسلة جيمس بوند.

-ADVERTISEMENT-
Ads by

وقال موقع The Sun، أن الشركة المنتجة عرضت الدور على الشاب البالغ من العمر 33 عامًا: وهم ينتظرون الرد، ومن المتوقع أن يوقع آرون عقده خلال الأيام المقبلة ويمكنهم البدء في الاستعداد للإعلان الكبير".

كان تايلور جونسون مجرد واحد من الممثلين الذين ترددت شائعات عن ترشيحهم لدور العميل السري البريطاني، مع ممثلين آخرين مثل إدريس إلبا وهنري كافيل وريجيه جان بيج أيضًا.

وصرح بروسنان قائلا:" قرأت الأخبار عن احتمالات أن يكون آرون بوند هو جيمس بوند الجديد، لذا سأرفع قبعتي بالتأكيد لهذا الزميل، ويجب أن أخبره أن يكون جريئًا، وأقول له : استمتع بوقت ممتع، وحب الشخصية، وأذهب بها إلى مكان جديد".

يأتي ذلك بعد تقارير تفيد بأن بروسنان كان يدعم زميله الممثل الأيرلندي، كيليان ميرفي، الذي ترددت شائعات عن أداءه هذا الدور، قائلاً إن نجم Oppenheimer "سيقوم بعمل رائع".

فيلم جديد عن السيرة الذاتية لمايكل جاكسون

كشف القائمون على فيلم السيرة الذاتية المقبل عن المغنى الراحل مايكل جاكسون Michael، عن مجموعة جديدة من الأبطال، ومن بين الأدوار التى تم اختيارها حديثاً، شخصية ديانا روس وكوينسي جونز والأخت الكبرى لملك البوب لا تويا جاكسون.

وفقًا لتقرير من مجلة Variety فإن نجمة The Vampire Diaries كات جراهام، ستلعب دور الممثلة الشهيرة ديانا روس.

وكتبت جراهام عن اختيارها على وسائل التواصل الاجتماعي: "ممتنة للعب دور الأسطورية ديانا روس، ومن إخراج العظيم أنطوان فوكوا، لا أستطيع الانتظار حتى يرى الجميع هذا الفيلم والعروض الرائعة فيه، شكرًا لك جراهام كينج وفيكي توماس والسيد فوكوا على السماح لي بشرف دعم إعادة رواية مثل هذه الحقبة المحورية في تاريخ موسيقانا".

بالإضافة إلى ذلك ذكرت مجلة Variety أن دور كوينسي جونز، الشخصية المؤثرة في حياة مايكل جاكسون، بعد أن التقى بملك البوب عندما كان في الثانية عشرة من عمره فقط، سيلعبه كيندريك سامبسون.

وسيلعب بيري جوردي، مؤسس شركة Motown Records، دور لارينز تيت، الذي لعب سابقًا دور كوينسي جونز في فيلم Ray عام 2004، ستلعب جيسيكا سولا (سبليت) شقيقة مايكل الكبرى، لا تويا جاكسون، بينما تلعب ليف سيمون دور جلاديس نايت، وكيفن شينيك في دور ديك كلارك وكيلين دوريل جونز في دور بيل راي.

وسينضمون جميعًا إلى أعضاء فريق التمثيل الذين تم الإعلان عنهم مسبقًا جعفر جاكسون وكولمان دومينجو ومايلز، تيلر ونيا لونج وجوليانو كرو فالدي.

وأُعلن في جانفي 2023 أن ابن شقيق مايكل جاكسون، جعفر جاكسون، سيلعب دور ملك البوب في الفيلم، جعفر هو ابن جيرمين شقيق مايكل، وسيكون هذا أول فيلم للشاب البالغ من العمر 27 عامًا، على الرغم من ظهوره في برنامج الواقع مدى الحياة The Jacksons: Next Generation.

وسيقوم كولمان دومينجو بدور والد مايكل، جو جاكسون، تم ترشيح دومينجو لجائزة الأوسكار هذا العام عن تجسيده لشخصية زعيم الحقوق المدنية بايارد روستين في فيلم Rustin، كما ظهر أيضًا في Euphoria وSelma وIf Beale Street Can Talk.

وسيلعب مايلز تيلر دور جون برانكا، مدير مايكل بعد والده، والرجل الذي كان له دور فعال في إطلاق مسيرته الفردية، ويعرف تيلر بظهوره في أفلام Whiplash وFantastic Four وTop Gun: Maverick.

بيع باب "تيتانيك" الذي أنقذ كيت وينسلت بمبلغ 718.750 دولاراً

"الباب" الذي أنقذ "روز" كيت وينسيت – بعدما تنحى "جاك" ليوناردو دي كابريو عن الصعود إليه ومات في نهاية فيلم "تيتانيك" – تم بيعه في مزاد علني.

وحققت القطعة المشؤومة من خشب البلسا من سفينة تيتانيك عام 1997 مبلغًا ضخمًا قدره 718.750 دولارًا أمريكيًا في حدث 'كنوز من كوكب هوليوود" للمزادات، وكانت قطعة التذكارات التي جلبت أكبر مبلغ – متفوقة على القطع الأخرى الشهيرة، مثل "سوط إنديانا جونز" من فيلم "معبد الموت".

وعلى الرغم من أنه يشار إليه عادة بالباب، إلا أن المزاد يشير إلى أن الهيكل المزخرف كان في الواقع جزءًا من إطار الباب الموجود أعلى مدخل صالة الدرجة الأولى (السفينة) مباشرةً".

بالإضافة إلى ذلك، تم بيع فستان وينسلت الشيفون الذي ارتدته خلال الفصل الأخير من الفيلم بمبلغ 125 ألف دولار.

سكارليت جوهانسون تجري محادثات لبطولة الفيلم الجديد لـ Jurassic World

أكدت صحيفة هوليوود ريبورتر أن الممثلة سكارليت جوهانسون تجري محادثات للانضمام إلى فيلم Jurassic World الجديد لشركة يونيفرسال.

الفيلم من المقرر إصداره في 2 جويلية 2025. ويقوم غاريث إدواردز بإخراجه، مع نص من تأليف كاتب Jurassic Park ديفيد كويب. ويتولى إدواردز الإخراج عقب خروج ديفيد ليتش بعد ارتباط قصير بالمشروع.

يعيد الفيلم جوهانسون إلى عالم الامتيازات مع الشركات الكبرى. حيث لعبت دور Black Widow في عدد من أفلام Marvel Studios، بما في ذلك دورها في سلسلة Avengers، ولكن على عكس بعض النجوم المشاركين في عالم الأبطال الخارقين، لم تواجه أي مشكلة في الانطلاق ضمن مشاريع أخرى.

حصلت جوهانسون على ترشيحين لجوائز الأوسكار عن فيلم Marriage Story وJojo Rabbit. ولديها دور صوتي في فيلم الرسوم المتحركة القادم Transformers One.

معرض الفنانة التشكيلية فوزية ضيف الله
«الصوت المنفلت «La voix de l'indicible» :

عندما يُصبح صوت الفكر مرئيا، بجمالية بيّنة بين أسئلة الفلسفة ودلال الشعر

شمس الدين العوني

مجال جمالي للمتلقي لفهم ما هو دال فنيا وجماليا وفق اجتماع الفني والوجداني والفلسفي والشعري في عالم مربك تنفلت فيه وبه ومنه الأشياء...ومنها الأصوات..

تعود الفنانة فوزية ضيف الله إلى كينونتها متسلحة بشجن السؤال ورغبات الشعر وشغف الفن هذا الذي أخذها ومن خلال اللوحات المعروضة الى عالم متعدد الثيمات والعناوين..

ثمة أسئلة مقيمة في الدواخل حيث الحلم المربك والحيرة التي تقود والقلق الباعث على الافصاح والكتمان وفي كل ذلك تمضي الذات في سفرها بين حل وترحال حيث العوالم الضاجة والمتشظية واللافتة في عنفوان هيجانها على العناصر والتفاصيل والأشياء قولا بالنظر العميق تجاه الحال الآخرين في ضروب من محاولات الفهم والتأويل..

انها لعبة الاعتمال الجميلة وفق محاولات الامساك بما هو جوهري في العلاقة بين الكائن وأصواته الأخرى المبثوثة في الأرجاء ..تلك الأصوات التي لا قرار لها في حدتها وسكونها ونعومتها وصخبها ..تلك الأصوات في انفلاتها وهذا « الصوت المنفلت..لا صوت له. رقيق الى حد الانفلات.. شفاف الى حد الاختفاء.. واضح حد الغموض..» هذا الصوت المشكل لأكوان من تجريدية الأحوال وما قد يفضي بها الى الصمت حالات الذروة والنقصان ...

الفن هنا هو العالم الممسك بكل هذا الانفلات حيث القول الآخر بممكنات الأشياء وما تحيل اليه من جمال ونظر وحلم .. وهاهي الفنانة في هذا الجانب الفني الدال لديها ووفق منزعها التأويلي تمسك بأشد وأعتى اللحظات سطوة من حيث الواقع ومشهدياته المهيمنة والطاغية بشتى شؤونها وشجونها وحيوية عناصرها وأصواتها لتأخذها الى فضاءات اللوحة حيث القماشة مجال قراءات أخرى وبجمالية بينة طالعة بين أسئلة الفلسفة ودلال الشعر ...

الدكتورة فوزية ضيف الله الفنانة التشكيلية والشاعرة والمتيمة بالفلسفة واجتراحاتها تأخذنا الى هذه المناطق من اجتماع التلوين والشعر والفلسفة وشجن الحياة وما هو ذاتي مأخوذ باليومي وما هو مفرح ومرهق به ..لتقترح علينا عالم معرضها الشخصي الذي شهدته فضاءات المركز الثقافي « أيكار « بباب العسل لصاحبه وباعثه الفنان الدكتور عادل بوعلاق وذلك طيلة شهر مارس 2024 وفد ضم عشرين لوحة بين تنوع في التقنيات والأسماء والأحجام يجمع بينها عنوان لافت هو « الصوت المنفلت «La voix de l'indicible ».

أعمال بعين القلب ونظرات الشواسع لفوزية تجتمع بها حالات متعددة وكلمات تنبت بين الألوان تبوح بالكثير في رغبات في الصمت المفقود والمبحوث عنه ضمن سطوة اليومي الصاخب حيث انفلات المعنى وانفجار المشهديات ...و من عناوين الأعمال نجد «فنطازيا» و»رهوط» و»اللامكتمل» و»جرعة حياة» ...

هذا المعرض بمثابة معرضها الشخصي الثاني ضمن تجربتها فهي أستاذة في الفلسفة بالمعهد العالي للعلوم الأنسانية والأجتماعية بتونس كما أن لها عدة مشاركات في معارض جماعية وملتقيات فنية تشكيلية فضلا عن مساهماتها العلمية الأكاديمية كناقدة وكانت لها مشاركات نقدية في مجالات الأدب والفلسفة والمسرح والفن التشكيلي ومن اصداراتها نذكر « شذرات شعرية ».

في هذا المعرض تعود الفنانة فوزية ضيف الله الى كينونتها متسلحة بشجن السؤال ورغبات الشعر وشغف الفن

هذا الذي أخذها ومن خلال اللوحات المعروضة الى عالم متعدد الثيمات والعناوين وكأنها في بحار متلاطمة الأمواج تبحث بل تشير الى الكامن فيها من ميل الى الصمت / الحلم المولد لهدأة أحوالها وتقول اللوحات كل ذلك من خلال الألوان المتخيرة والأسلوب والحركة البينة في العمل الفني ..انها ذات الفنانة فوزية ضيف الله الباحثة عن سكون مولد لعناصر جديدة تحتاجها زمن الانفلات والهذيان والصراخ والضجيج..زمن المعولم والمنحدر والفاقد الخصوصية حيث تشظي الهويات والنفجار الرهيب لتحويل الكائن الى رقم وسوق ومتحف مهجور..

و هنا نعود لما تقوله في شعرها مثلا :

في واجهة الريح.
امشي ضد الرياح اياما
ثم أدير لها ظهري..
ولا أتوقف...
حتى تكف عن العويل

معرض دال في فكرته وما يطرحه من وعي جمالي بخصوص المنفلت واللامعبر عنه في عوالم اليوم حيث تقول الفنانة فوزية ضيف الله «... لم أجد لفظا في العربية يمكن أن يعبر عن هذا «اللامعبر عنه المنفلت .. ما لا يمكن امساكه..هو صوت فينا، في ذواتنا، صوت ينبعث منا ومن العالم..لا يمكن للكتابة أن تقوله. أحيانا يقوله الشعر..وغالبا يقوله الصمت.. حاولت رسمه منذ سنوات.. لاحقته في حلي وترحالي. ينبجس فجأة وسط العتمة..وسط الشجن..وسط ذاتي..وينخلق كمغامرة سحرية في لوحاتي..

هذا الصوت المنفلت..لا صوت له. رقيق الى حد الانفلات.. شفاف الى حد الاختفاء.. واضح حد الغموض..

لكل منا...صوت منفلت في حياته وفكره وشعره..ينفلت حتى من المجاز... ليس هو المسكوت عنه...لانه يتكلم دون كلام...يعبر صامتا..خافتا..

رأيت هذا الصوت في قاعات المسارح الفارغة..في الصحراء..لكنه يختفي كلما أردت الامساك به لرسمه..ليس هذا الصوت المنفلت..شبحا أو خيالا. انه معنى لا يسعه القلم ولا الموسيقى...

ترددت كثيرا في الإفصاح عن رحلة البحث هذه...وهو مازال مبحوثا عنه. ربما نجده معا..يوم تدشين المعرض ..

ثمة لوحات منذ بداياتي ظلت في العتمة لم تر النور.. ربما كانت تحرس ذلك الصوت...وكنت اقول كيف يمكن أن اخلق لهذا المنفلت صوتا... تساءلت كثيرا..وتشاورت مع أصدقاء عارفين وعلماء لغة...فوصلت مع صديقتي الشاعرة Francisca Ricinski الى تعبيرة La voix de l'indicible أدركت أن إطلاق الاسم أصعب من عملية الولادة. يولد المعنى قبليا في اللوحات..ويولد المفهوم بعديا..بعد مسافة ما من التجربة..

بكل تواضع.. ما اعرضه هو محاولة في الامساك بهذا المنفلت...ذاك الصوت الذي يحدثني كلما أمسكت المعنى.. لا أدعي فلسفة ولا علما..لكني اتتبع مسارا تشكيليا ذاتيا..عشته كمغامرة.. مراوحة مع تجارب شعرية وأدبية وفلسفية في الكتابة..

لا اقحم أحدا في هذا الصوت المنفلت.. لكني ابسط لكم ما أشعر به وما افكر فيه إزاء ما اعلنت عنه..رحب فضاء ايكار بالفكرة لأنه فضاء جامع بين الفنون جميعا والفكر والأدب وصاحبه يدرك العلاقة بين الصوت والريشه وبين الصوت والفضاء والجسد..

ثمة أصوات كثيرة منفلتة في زحمة اليومي والمعتاد الذي قتل في حواسنا رهافة التمييز...

هذا النص الذي أنشره انفلت مني... صوتا مكتوبا..بعد أن انتشيت بكل القراءات التي حصلت للتو.. لم يكن من الممكن ان اكتب عما فعلت يداي...تلك عادتي.. لا احتفي بما أفعل. انما أحاول أن اشرح حالتي الاستيتيقية ازاء ما سيعرض من لوحات..».

معرض حري بالقراءة والسفر العميق في لوحاته المعروضة وينضاف الى تجربة صاحبته التي هي أستاذة مساعدة بقسم الفلسفة بالمعهد العالي للعلوم الانسانية بتونس -المؤسسة الجامعية : جامعة تونس المنار وهي حاصلة على ماجستير ، نظريات الإبداع المعهد العالي للفنون الجميلة بتونس. ماجستير، حول «الفن الإفريقي» اشراف الأستاذة سلوى المستيري. وقد تعددت مشاركاتها وحضورها في العديد من الفعاليات التشكيلية والثقافية بتونس وخارجها ومنها المهرجان الدولي للفنون التشكيلية بالمحرس، أوت 2020.و في زرفاس للفنون، نادي زرفاس تونس، سبتمبر 2020.والمعرض الافتراضي بمناسبة اليوم العالمي للمرأة، كاليفورنا، الولايات المتحدة الأمريكية، مارس 2021...والملتقى الدولي للفنون التشكيلية بالعوينة، دار الثقافة أحمد حمزة بالعوينة وضمن مهرجان الزهراء الدولي في دورته 41 والمعرض الجماعي بكراكة حلق الوادي وملتقى الشباب العربي للفن التشكيلي، المركب الشبابي بالمرسى. والمركز المتوسطي، جربة حومة السوق والمعرض الجماعي أسبوع الفسيفساء والمعرض السنوي لاتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين، رواق سانت كروا، المدينة العتيقة وصالون المبدعين الشبان، اتحاد الفنانين التشكيليين، قاعة يحيى البالمريوم والمعرض السنوي للنقابة الأساسية لأساتذة المعهد العالي للفنون الجميلة بنابل ومناظرة الفن والأدب المعاصر، اكاديمية الفنون الثقافة ميشال انجلو أنغريساني، ايطاليا. جويلية 2023 ،الملتقى الدولي الثامن، نادي زرفاس (Art Zervas ،(باريس من 10 إلى 31 أكتوبر 2023 والمعرض الجماعي «لقاء الصدفة» برواق القرماسي للفنون مع الفنانين علي الزنايدي، نبيل الدريدي وخالدة الشابي وصالون الشتاء برواق صلاح الدين بسيدي بوسعيد...

معرض « الصوت المنفلت «La voix de l'indicible » للفنانة فوزية ضيف الله مجال جمالي للمتلقي لفهم ما هو دال ضمن اشتغالاتها الفنية الجمالية وفق اجتماع ما هو فني وجداني فلسفي وشعري في عالم مربك تنفلت فيه وبه ومنه الأشياء التي منها ...الأصوات..

صرخة بطعم الطين... قراءة في أعمال الفنانة سناء الجمالي العماري

د. خالد الطرابلسي - فنان تشكيلي، دكتورا في جماليات الفنون وممارستها

"نحن مازلنا بدورنا نصرخ، وإن كان بطريقة أخرى، نصرخ بواسطة اللغة، نستغيث وننادي الأعماق بالكلمات" [1]

أقامت الفنانة «سناء الجمالي» مؤخرا معرضا خزفيّا موسوما بـ«الصرخة» Le cri في Café Théâtre Trois points بمدينة سوسة، اصطفت خلاله الفم على كل الأعضاء للإفصاح عن فرط انفعالي إستشعره «مانش" في حقبة الحداثة، لتستكمله "سناء" في فترة المعاصرة، حيث الصراخ يتمثّل كصدى جمالي يُبثّ للمتلقين لتتلقاه أسماعهم دون بقيّة الأصداء. إنّ اضطرار "مانش" إلى صمّ أذنيْه بكلتا يديْه بالموازاة مع إطلاقه صرخة عمّت أرجاء خليج أوسلفورد مردّه تلك الطاقة الشعورية التي كشفت له شدّة التغايرات اللونية التي شهدتها الطبيعية بلون السواد والدم، فلم يتحمل ارتداداتها عليه. إنّ صورة الامتصاص لهذا المستجد المناخي لا تكتمل تفاصيلها إلا عبر تمثّل الأفواه المفتوحة والصرخات، والفم كذلك لا يكفّ بدوره أن يكون فاغرا ونهما في خزفيات الفنانة في ظلّ مستجدات الحروب بهرجها ومرجها، وحيث يصير صدى للشراهة المميتة التي تهب مخلوقاتها شكلها الغروتيسكي المروّع حدّ الروعة. فهل أنّ «سناء» يسكنها طيْف «مانش»، أم تُدقّ على مسامعها صرخات "البابا انيسون العاشر" كما تصوّره "بيكون" وهو على كرسي التعذيب، أو لربما هي عازمة على ابتلاع "مخلوقاتها الطينية» كما ابتلع "ساتيرن" Saturne أبناءه بفم فاغر ومفتوح بشدّة، على اعتبار أنّ «صور الامتصاص والابتلاع صورة مزدوجة الأضداد قديمة جدا للموت والهدم، متّصلة بالفم المفتوح واسعا[2]»، لتقتات الفنانة بالتالي مما أخرجته أصلابها طينا.

تراهن «سناء» على الفم دون بقيّة الأجزاء، لتخاطب به المتلقين حتى تمنحهم تلك الوفرة الانفعالية التي تطلقها تلك الأفواه المفتوحة باختلاف طرائقها ومن واجهات عدّة في فضاء العرض، فمن خلال كل ثغرة وثغر تزّف لنا الفنانة صرخات مخلوقاتها التي تصمّ مسامعنا وتدفعنا لصدّها والتمنّع عنها بأسلوب «مانش». إنّ غزارة الصراخ دليل وفرة يتحوّل بفعلها

المرّوع لمناسبة احتفالية رائعة تتغنى خلالها الأفواه بمفارقة وجوهها لكتلتهم الطينية المتحلّلة تحت سياط الفزع والخوف كما فارقت جيفة «بودلار» شكلها الأول في قصيدته Une charongne ، ليتغنى بانتفاخها وامتداد فاهها وبقيّة كتلها بشكل سخيّ وجميل بقوله:

ستصبحين يا مليكة المفاتن
يا شبيهة بهذه الجيفة بعد تلقيك الأسرار الأخيرة
عندما ترحلين وترقدين تحت العشب والزهر
لتتحللي بين الرفات
عندها قولي يا حسناء للديدان التي ستلتهمك بقبلاتها
إني قد احتفظت بالشكل والجوهر الإلهي
لغرامياتي التي تحلّلت[3]

إنّ التحلّلات الطينية التي تسقط بفعلها الوجوه تحت وقع الصراخ تدفعنا مباشرة لاستحضار النصوص السردية التي صاغها حبر الكاتب المغربي «محمد أسليم»[4] بتبويباتها المختلفة كساعة الاحتضار وهذيان ميّت، وعتبة الموت، ولغة الأعضاء، والتي وسمها بعنوان يجمعها «حديث الجثة»، حيث يصير على إثرها الكاتب عارفا بمتاهات الموت، يترك خلالها المجال لأعضائه لتسُوق لنا سكراته وتفاصيله لحظة بلحظة، وتُسرّ لنا تغايرات الجسد وهو بصدد المحو والتلاشي، حتى»أنّني ما عدت إنسانا. أنا الآن ممحو داخل حياد مطلق[5]»، وسناء الجمالي كذلك تجعل من مخلوقاتها نصوصا بصرية تنقل لنا مرحلة الدخول في الخواء والفراغ الجسدي الذي تتقلص بفعله الكتلة الطينية عند حدود الفم، فلا يبقى منها غير صدى صراخه ونحيبه. وهو عيْن التقلّص العضوي الذي يُجلّه «صامويل بيكت» Samuel Barclay Beckett في مسرحيته «لست أنا» Not I سنة 1972، حين تجلس الممثلة «بيلي وايتلو» Billie Whitelaw على كرسي الموت بوصفه وحدة الديكور الوحيدة الموجودة على خشبة المسرح بعد قطع شبه كامل للإضاءة، مقابل الابقاء على إسقاط ضوئي بسيط يُلغي بقية الأعضاء ويجمعها عند نقطة الفم.

تعظّم الفنانة من حدث «الصراخ»، والصراخ عهدناه اللغة الأولى التي نلفظها زمن الوضع والولادة، وهو كذلك الترنيمة الجنائزية التي تتقاطع مع صور الفقد والألم والموت. كما أنّ الطين إن كان مادة الخلق والتكوين فهو كذلك المادة التي يستعيض بها الجسد عن اللحم في مضاجعته للأرض والتحلّل فيها، إذ ليس للصراخ ثيمة واحدة مقرونة إمّا بالحياة أو الموت. إنّ جغرافية الفم الطينية، والتي يفترشها الصوت حتى يتضخّم ويتعاظم، في تحوّل وتغاير دائم، وسناء الجمالي لا تنفك بذلك عن تفضيل تلك الجغرافية عن بقيّة الأعضاء حتى تُوسّع تخومها الصوتية وتُعظّم صداها، فالفم يتمثّل بوصفه عضوا للشراهة والاتصال مع الآخرين بواسطة الكلام أو الصراخ، وهي لا تنفكّ بذلك عن إظهار أهميّة ذلك الجزء المعبّر من الوجه الذي ينوبُ عن بقية الأعضاء في كتابة سرديتها المروّعة بحبر طينها الرائع.

إنّ مخلوقات سناء الجمالي تختزل لنا الشكل الفيزيقي الأمثل للموت المتمرّغ في أثيرية الصراخ، فهي التي تتكلّم عن الموت، وتصفه للمتلقين، وتشعرهم به، وتُريهم إيّاه بوضوح عبر تفسّخها وفقدها المادي حتى تصير كجيفة بودلار، أي كمزق وفتات خزفي يجمع شتاته الفم ويمتصّه ليضعه على غير الهيئة التي كان عليها. إنّ الفم الفاغر يصير الواجهة الاستيطيقية التي تُوسّع بها الفنانة مجال إدراكنا صلب التجربة الشعورية المؤلمة، وهو الذي يصف لنا بوضوح شكلنا بعد انحلاله نيابة عن كل الأعضاء ولسان حاله يقول كما قال الكاتب المغربي محمد أسليم «مآلكم المجيء إلى هنا»[6]، و»الهنا» هو شكل وجودنا في العالم، بوجه قُدّ من طين، في حالة تفتت مستمر كخرائط خورخي لويس بورخيس، فلم يتبقى منه غير المصطنعات التي تغطي خرائط عالمنا اليوم، أو بالأحرى لم يتبقى منه سوى فم يصرخ، فم يستغيث،....

مجموعة من الأعمال الخزفية للفنانة سناء الجمالي العماري، 2014

Not I، صموئيل بيكت، مسرحية 1972

Diversity04، 2014

---

1 - محمد الفاهم، مثل ذئب يعوي تحت القمر- نصوص وشعرية فلسفية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021، ص36.

2 - اختين (ميخائييل)، ترجمة شاكير نصر الدين، أعمال فرنسوا رابلييه والثقافة الشعبية في العصر الوسيط وابان عصر النهضة، مصدر سابق، ص 417.

3 - بودلار (شارل)، ترجمة حنا الطيار وجورجيت الطيار، أزهار الشر، قصيدة الجيفة، ص 36.

4 - محمد أسليم (-1960): كاتب مغربي. متحص على شهادة الدكتوراه بباريس. له عديد المؤلفات والنصوص السردية كـ»حديث الجثة» و»كتاب الفقدان» و»سفر المأثورات» والروايات منها « بالعنف تتجدد دماء الحب» و»قربانيات» و»رقصة باخوس» وعديد الترجمات كذلك

5 - أسليم)محمد(، حديث الجثة، مجلة علامات، مكناس، المغرب، 1996، ص 18

6 - أسليم)محمد(، حديث الجثة، نفس المصدر، ص09.

«معرضهن»: نساء ينشدن الوجود رسما

أسمهان الماجري

ثمة لوحات تشدو لونا
وتنشد انحناءات كالموج
موج «هن يرسمن2»

هكذا أختار أن أبدأ نصي هذا عن معرض الفنون التشكيلية ل «هن يرسمن2» والذّي انتظم ضمن فعاليات ملتقى «حوار الفنون»بدار الثقافة نور الدين صمود قليبية، وهو معرض للفرشاة النسائية (رسامات ورشة الرسم «مرسم») تحت إشراف الرسام شهاب حميد.

هذا المعرض تنظيم جمعية قليبية للثقافة والفنون والتراث،أفتتح يوم 24مارس وتواصل إلى حدود يوم 30مارس، ولقد لقي إقبالا كبيرا في اليوم الافتتاحي وذلك من خلال حضور فئات عمرية مختلفة عج بهم داخل المعرض وخارجه.

أهمية التدرب على الفن

إن الفنون بتنوعها وتعددها واختلافها تصب كلها في ضرورة انتهاج رحلة بحث حقيقية وجديّة وواعية ، للتمكن من التقنيات شيئا فشيئا وتحقيق التطور بتمش واع وغير متسرع تمش يُؤمن بأن الفن لا يوجد على قارعة الطريق بل على قارعة الاجتهاد والتنقيب في مغاور الفن المختار ممارسته من قبل الإنسان،الفن ليس ملقى على قارعة الموهبة أو الشغف وحدهما، الفن وراء أبواب موصدة من التقنيات والآليات والنظريات ومفتاح هذا الباب محاولة الجمع ما بين التقنية والأحاسيس والموهبة هذه العناصر التي تشكل عملا فنيا أفضل عندما تجتمع،ومن المؤكد أن رسامات ورشة الرسم «مرسم»تبنين هذه الفكرة بوعي مما جعلهم يسعين جادات في التطوير من مواهبهن دون تكرار بعض الأفكار المتداولة والخاطئة عن الفنون وهي أكاذيب أن الفن موهبة وانتهى الأمر .

تاء التأنيث رسما

المبدع مثله مثل كل إنسان يعود إلى عوالمه النفسية عندما يكتب أو يُلحن أو يرسم ....الخ كما يعود إلى طبيعته الإنسانية الفطرية، إن هناك اختلافات بين الجنسين هي اختلافات فطرة إنسانية لا اختلافات تمييز أو ما شابه، وهذا الاختلاف يجعل العمل الفني للمرأة مليئا بعوالم المرأة، الفنان الرجل أيضا قد يبدع انطلاقا من عوالم المرأة لكن الرجل يُبدع عن عوالم المرأة وهو ينظر من خارج هذه العوالم، أما المرأة فتبدع عن عوالمها وهي تنظر إلى نفسها من الداخل، ولقد لاحظت أن أغلب رسامات ورشة «مرسم»يرسمن المرأة بصور مختلفة يرسمن ذواتهن بوجوه متعددة لكنها تعود جميعا إلى امرأة واحدة ،المرأة التي تقبع داخل كل واحدة منهن وتحب أن ترى ذاتها ولو في صورة امرأة لا تشبهها إلا بالطريقة التي هي تعلمها، ربما هي المرأة المنشودة،أو المرأة النسخة من صاحبتها أو المرأة المختلفة عن صاحبتها والتي أصرت الرسامة أن تستحضرها فنا إذا ما غابت واقعا.

والمُلاحظ أيضا استعمالهن للكثير من الألوان الفاتحة والزاهية تلك الألوان التي تشبه الأنثى في رقتها وتورد خديها ،ونفسيا الأنثى كائن يميل للألوان الزاهية كالزهري مثلا ،ونختم بقول ابن عربي :المكان الذي لا يؤنث لا يعول عليه.

وهذا المعرض كان مؤنثا فنّا وإبداعا وبصمة، لوحات كثيرة نكاد نشم العطورات النسائية تنبعث منها، وأصواتهن تعلو بأغنيات هادئة وجميلة بنبرة تشبهن تشبه النساء وتشبه فرشاة الأنثى التي تترك بصمتها الرقيقة ألوانا وأشكالا على الوجه العاري للورق فتحوله إلى جنة من الألوان والجنة مثلهن مؤنثة حالمة تحلم بالورود والألوان.

جهات

باردو

يسدل الستار الليلة الثلاثاء 2 أفريل مهرجان رمضانيات بيت الشعر 2024 بسهرة تحمل عنوان " لأنّ القصيدة أنثى " تقدمها الصحفية ليلى بورڤعة، وتتضمن مداخلات للشاعرات نور سحيّق وريم القمري وهاجر المنصوري وفتحيّة جلاّد ونسرين المؤدّب ومنية العبيدي. وستتخللها أيضا معزوفات موسيقية.

ويشار ان تظاهرة رمضانيات بيت الشعر إنطلقت يوم 27 مارس لتتواصل إلى غاية اليوم 2 أفريل 2024. وهي دورة استثنائية تندرج في إطار البرنامج الوطني " الثقافة في مساندة الشعب الفلسطيني".

تضمنت البرمجة سبع سهرات شعرية لـ "أمراء الكلام " وخلافا للدورات السابقة التي كانت تقام في مقر بيت الشعر بمدينة تونس العتيقة، إلتئمت فعاليات الدورة الحالية بالقصر السعيد بباردو باستثناء سهرة وحيدة أقيمت بمتحف التراث التقليدي بكسرى من ولاية سليانة

بعنوان " جذور " وأقيمت بالشراكة مع وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية وجمعية نبيلة الدولية للمكفوفين. وشارك في هذه السهرة كل من الشعراء لزهر النفطي وصلاح الرحيمي وسعيد شكير والهادي بن مسعود. وتتخللها معزوفات موسيقية.

المهدية

ينتظم المعرض السنوي لنادي الفنون التشكيلية بدار الثقافة المكان تحت شعار " من اجل تثبيت الفنون الجميلة ودورها في تنمية الذائقة الإنسانية والإبداعية " بتاطير من الفنان التشكيلي: محمد علي خواجة .

اثمر نادي الفنون التشكيلية بدار الثقافة المهدية نتاجا إبداعيا لافتا وأعمالا ذات قيمة فنية برهنت على علوّ كعب روّاد النادي وعكست إمكانياتهم المميزة في مجال الرسم ومشتقاته ، لذا حرص القائمون على المشهد الثقافي بالجهة وإدارة الدار على إقامة معرض جماعي للفنون الجميلة بفضاء دار الثقافة المهدية ابتداء من 28مارس 2024 عاكسا بالتالي الاهتمام المتزايد لإبداعات الرسامين وتثمين ما ينتجه نادي الفنون التشكيلية الذي بات فضاء يرتاده عشاق الرسم من كل الأعمار والفئات الإجتماعية ، إضافة ان المعرض بات يُعدُّ موعدا سنويا للإطلاع على مدى تطوّر اداء منخرطيه في تعاملهم مع الفرشاة وبياض القماشة.

نشدُّ بقوّة على جهود المؤطّر محمد علي خواجة المبذولة من اجل ان يكون نادي الفنون التشكيلية بدار الثقافة المهدية نموذجا يحتذى به لتعزيز قيم الفنون الجميلة ودورها في تنمية الذائقة الإنسانية والإبداعية لدى روّاد المؤسسة الثقافية.

جلال باباي

أكودة

تلتئم هذه الأيام الدورة الرابعة من المشروع التطوعي:" ترميم القديم " وهي وقفة شبابية لافتة لتجميل الأبواب العتيقة وإعادة الحياة لها يراد منها المساهمة في الارتقاء بقيم التطوع في ابهى تجلياتها بمدينة اكودة ، حيث كان يوم الاحد الفارط هو الفصل الأول من انطلاق الموسم الرابع من المشروع التطوعي: "ترميم القديم" الذي عرفت فكرته التاسيس بداية من مارس 2022 بحومة : " الرمل" من لدن هيئة الصالون الثقافي الشجرة بأكودة بفضل تعاون جمعياتي من خلال جمعية المواطنة و العمل التطوعي إلى جانب نادي الكرة الحديدية أكودة اضافة إلى دار الشباب والتنسيق البلدي الإيجابي في اوّل موسم لهذه المبادرة ، ثم شهد هذا المشروع الإستثنائي رغبة من عدد من المهتمين بالشأن الشبابي متمثلا في جمعية التضامن والتبادل للتنمية قصد المساهمة من موقعها في إنجاح الفكرة فاتسعت رقعة التدخلات لإعادة الضياء للجانب الماضوي البهيّ لابواب ديارنا العتيقة التي باتت مهملة وتآكلت بفرط مرور الزمن وفقدت بالتالي رونقها واقتلعت معظمها ليقع استبدالها بابواب حديدية لا تمتُّ لتراثنا وعراقة تقاليدنا باي صلة او ارتباط ، من ذلك حرص المهتمون بالمشروع على المواصلة و الإستمرارية بنفس الجدية ودرجة الوعي بالأهداف السامية التي انبثقت عنه لصنع الإضافة المرجوة والمساهمة في الجانب التنموي المحلي للنهوض بمعمار أجدادنا ووضعه نصب اعيننا حتى لا يتجاوزه الزمن ويضحى طي النسيان لذاوبرغم الإجهاد وصعوبة المهمّة ، استطعنا رفقة مجموعة شبابية قادمة من جمعية التضامن والتبادل للتنمية ASED N ، ان ننجز الشوط الاول من الموسم الرابع للمشروع التطوعي :" ترميم القديم " بحي "جناين الحمّام" بمدينة أكودة ، حيث كان في الحسبان ان نتوجه لترميم باب دار شرف الدين ، إذ صُدمنا بالوضع المزري للباب وما يحيط به ولم نتمكّن من التدخُّل نظرا لصعوبة العمل في محيط الدار ، فقرّرت مجموعة التدخل؛ التوجه فورا بنفس الحيّ إلى منزل آخر كان بابه يستدعي منا ان نتجنّد جميعا ونضع اليد في اليد ونرسم مخططا ثانيا ومستعجلا لحفظ ما تآكل من باب عتيق مهترأ وإنجاز ما اتينا من أجله ، فوجدنا كل الاستعداد ورحابة صدور شباب يتقد حماسا ورغبة لصنع الإضافة ويكون بالتالي إيجابيا وفاعلا وخاصة متضامنا .

عزمنا جميعنا وفي وقت قياسي على رفع التحدي أمام انظار المارّين الذين توقفوا بدل المرة الف وربّتوا على الفكرة واستحسنوا هذا التدخل الذي صنع الإضافة المرجوّة ليبقى راسخا في اذهاننا هذا المدّ التطوعي والعطاء بلا حدود ويتجلّى دون منازع النجاح الساحق للعمل الجماعي .

الشكر الموصول للشباب الطلائعي على التعاون المجدي صحبة متساكني الحي المتعاونين و المتطوعين الرائعين فتيانا وفتيات من تونس وفرنسا ،..لتستمرّ على قدم وساق حملة الترميم التي تعاود الرجوع في الاسبوع الاخير من شهر رمضان المبارك.

جلال باباي

مدينة الثقافة تونس

تقدم مجموعة طوق الياسمين بصفاقس بقيادة المايسترو رستم الساقي عرض" فوانيس الرحمة" وياتي هذا العرض تتويجا لحملة التبرعات التي اطلقها الممثل والمنشط جعفر القاسمي لفاءدة جمعية المروءة للاطفال المتعددي الاعاقة بصفاقس والتي تهدف لاقتناء حافلة لفاءدتهم .العرض سيكون يوم 5 افريل 2024 بقاعة الاوبرا بمدينة الثقافة وستخصص مداخيله لفاءدة جمعية المرونة بصفاقس.

ويذكر ان مجموعة طوق الياسمين هي مجموعة موسيقية رأت النور سنة 2000، أدارها لأول مرة بإقتدار د. محمد خماخم رحمه الله، ثم الأستاذ ثامر الطرابلسي، وكان قبطانا موسيقيا مميزا أحسن ضبط بوصلة المجموعة، ويسهر عل حظوظها الآن، الأستاذ رستم الساقي.

تونس العاصمة

غدا الأربعاء 3 أفريل الجاري ينظم المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات لقاء ثقافيا سيتولى فيه الدكتور عبدالجليل بوقرة تقديم كتاب "في الصورة الفوتوغرافية: حكام ومحكومون" للدكتور الهادي خليل الناقد السينمائي والأستاذ بكليات آداب القيروان ومنوبة وسوسة وجامعة الرياض.

فضاء الإبداع

شعر

القدس

عثمان بالنائلة

أرضك يا قدس
حرّة لا تُذلّ
في القلب دمعة
منها الأقصى يطلّ
أزورك في البال
حين يحتضنك المغيب
و أداعب طيفك
كطفل يتيم
إليك يحنّ
أراك زهورا
على قبر شهيد
أراك سجنا للسجّانين
و أمنا للأسرى
حماك الربّ
و تكتبك القصائد
نورا لا حبرا
و تطير إليك
فرادى و سربا
تُزفّ إليك الصبايا
عرائسا من طهر
يا ريح الحنّاء
و تاج المحبّ

بوّابة

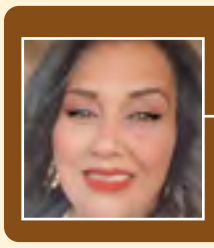

سانتا خيرة خلف الله

كم مرّة يستنفرُ الْخلم الوحيدُ
بداخلي
وبما أتيتُ مِنَ الفراغِ يعولُني
تطفُو الحقَائِقُ في ظُهورٍ مُستَرابٍ
يختَفي حدسي بأقدارٍ من العام
الجديدِ
ومثل حرف قد غزاهُ الحبْرُ من
قبل الكلامِ
تعمّدت روح المعاني الغوصّ فينًا
يا هواها.. كم تعالت وانصهرنا في
انتشار..
ومنّا..
ما نوى الشّعر القليل من البعاد
وما حوت أوراده
كي نطمئنّ
فلم يعد في الوسع بال
هل نجونا حين رمنا
ما استعان بنا خيال؟
أم ترانا مثلنا ناتي فرادى
نسيل كما الحروف
كما المداد على رفاع من تُقى..

«مشهد»

د.مفيدة الجلاصي

وفي صوتك المخملي
تتعثر الحروف
لتقف على واجهة الأبجدية
معلنة تمردها على المعاني
فتتغير مخارجها....
غير ان الحكاية باقية
أحداثها المرعبة....
أبطالها من خارج التاريخ
يلهجون بأناشيد الوطن المسلوب
في كبرياء الحق في المعنى
من خلال مرآة معتمة
حين تنعكس الظلال في
كهف أفلاطون يبشر بالحكمة
والحياة تغدو لعبة الأدوار
حيث الوهم جارف
لجمهور يذرف الدموع
لمشهد مسرحي صاغه» شكسبير»
حيث تغدو المأساة ملهاة
تسرد خرافة على مسمع الأجيال
إذ تواجه اقدارها المحتومة
مترعة بكؤوس الذل مختومة
في القصور المشيدة
على جثث العبيد.. وقد أهدرت
دماؤهم على أسوار المدينة
قربانا لآلهة معبد اهترأت جدرانه
حينها تموت الأنفس
وهي على قيد الحياة
في انتظار الغد موسوما
بآلام انبعاث الآمال
من رحم أديم الروح العطشى
لأناشيد الشوق ترددها
بصوتك المخملي.. حينها
لن تتعثر الحروف وقد غدت
متواطئة مع معانيها
وعلى ناصية غيمات ثملت
من صبابة الهوى المعتق
سترسم بشرى حلمك الأبدي
كي لا يغدو هباء تذروه الرياح
على أديم فؤادك القدسي

مذ تآكلت النوايا

جميلة بلطي عطوي

مذ تآكلت النّوايا
ولولت الرّيح في كهوف الاغتراب
بات شقيّا بيتنا
لا ألفة
لا نافذة ولا باب
مذ تآكلت اللُّحمة
تبدّلت الخرائط
ماعادت جوازات السّفر
تقفز الحدود
ما عادت
تمدّ الوصل إلى الشّمس
علّها توقظ دفءا غافيا
علّها تكتب من جدبد
عهد الأخوّة
فيدرك قابيل كم كان مذنبا
كم علّق الخيبة
على مجداف ملّاح شريد
مذ ضاعت النّخوة
غرقت كلّ التّعاويذ في ظلمة
التّخريف
صار الخفّاش يعشق الضّوء
باتت صلة الرّحم هباء
ترتّله شياطين الإنس
والعزّة تذرف الوجع
رذاذا
على رموس الموعودين بالقهر
على بيت تشقّقت جدرانه
على أمّة
كانت قبلتها الشّموس.

عمري سبعون!

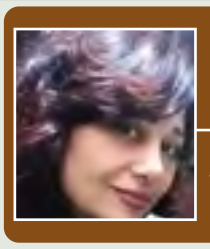

مريم الاحمد/ سوريا

لكنّي أبدو بالثلاثين
كذبة أكررها كشاعرة عصريّة
و يصدقها الجميع!

أسترخي في مغطس القصائد
أدهن بشرتي بعسل الكنايات
أدعك فروة رأسي بالخيال المصفى
و أمسّد عنقي صعوداً
حتى تتلاصق المعاني رمشاً
رمشاً، في كهربتي المكنونة!

أهرول على كورنيش الكلمات
مثل قطة بفرو هيمالايا
و أطلق ضحكاتي لأهوال الناجين
تتهادى في بؤبؤ العاصفة مراكب
التوّاقين

عمري مئة حرف
و أتمايل في مشيتي
و مشيئتي
كأني آخر قصيدة تتبخر من جسد
شاعر ملفوح بالمبالغات!

عمري ذاك الطلل
و لا زلت أطأ الصفحات برؤوس
أحلامي!
و أقلامي...

مقبرةُ الغزاةْ..

عبد الوهاب الشتيوي

يا مقاومْ.. يا مقاتلْ..
يا ابن الجدودْ،
يا ابن الأسودْ،
يا ابن الأشاوسْ،
يا ابن الفوارسْ..
أنتَ ريحٌ إذا عصفْ،
أنت رعدٌ إذا قصفْ،
أنت نجمٌ في السّماءْ،
أنت زهرٌ في الرُّبى..
كُنْ عزيزًا كالأسودْ،
كُنْ أبِيًّا كالفهودْ،
وأضربِ الكفَّ بكفْ..
اِنغرسْ في أرضنَا،
اِلتحمْ بشعبنَا،
خُذْ سلاحكْ،
خُذْ وشاحكْ،
خُذْ كفاحكْ،
واَسْتمرْ..
صامدًا، شامخًا،
فالدّماءْ لا تجفْ..
واَنطلقْ قاهرًا،
لا تَكِلْ،
بالبنادقْ، بالقنابلْ،
بالأكفْ..
واضربْ عدوًّا، لا تَخَفْ..
لَا تَخَفْ.. لَا تَخَفْ..

*

هذه أرضنَا،
هذه ربعنَا،
هاهنا ميلادُنَا،
هاهنا مماتُنَا،

أرضُنا، أرضُ السّلامْ،
كلّنا لها فداءْ..
يا أرضَنَا، لا تركعي،
يا أرضَنَا، لا تخضعي،
لمجرمٍ، قاتلٍ، متجبّرٍ،
فرسانَنَا، أحبابَنَا،
فتوحُكُمْ باقيهْ،
أعداؤُكُمْ زائلهْ،
أنفاقُكُمْ،
للغزاةِ مقبرهْ..
للحماةِ مفخرهْ..

*

يا مقاومْ.. يا مقاتلْ..
سِرْ بنا إلى العُلى،
وانتصرْ على العداءْ،
فنصرنَا قادمٌ..
لأجلِ اليتامى،
لأجلِ الثّكالى،
لأجلِ الشّهيدْ،
وحقِّ الوليدْ،
وحقِّ الوطنْ،
وطنًّا المجيدْ..

أنتريتي نبّار

البطي متاع الثّقافة الّي ما يشرب كان الماء

هذه الصفة أطلقها عني أحد العاملين في مطعم موجود في قلب العاصمة تونس محاذيا لقاعة سينما « الريو» تحديدا ليؤكد بنبرة ساخرة اني الوحيد من زمرة المثقفين واهل السينما الذين يرتادون هذا الفضاء يوميا لا يتناول مثل أترابه المشروبات الكحولية ويكتفي بشرب المياه المعدنية.

هذا المطعم معروف بإسم»طونطون فيل» ويقدم اطباق شهية و»فاوحة برشة» وخاصّة المقرونة بثمار البحر إحدى اختصاصات الشاف...ويقدم لحرفائه الى جانب الأكل المشروبات الكحوليّة عن طريق ندل لهم حرفيّة عاليّة.

هذا المطعم كان ومازال وجهة العديد من المثقّفين وفيه نمت العديد من الأفكار والمشاريع الثّقافيّة والفنيّة ومن اهم رواده رفيق دربنا السينمائي استاذنا نجيب عياد رحمه الله الذي كان له ركن خاص به ومحجوز يوميا له ولرفاقه وكنت حاضرا من بينهم في عديد المناسبات وشاركتهم جلساتهم هذه حيث تدارسنا فيها العديد من المسائل المتعلقة بالقطاع السينمائي..ونبعت عن هذه الجلسات ايضا العديد من الافكار التي تحولت الى مشاريع اثرت الساحة السينمائية والتلفزية.

أذكر أني لما تحملت مسؤولية ادارة دار الثقافة ابن خلدون دعوت الصديق الباحث عبد الكريم قابوس لغداء عمل في هذا المطعم وخرجنا ببرنامجين احدثا نقلة نوعية لانشطة دار الثقافة في منتصف التسعينات البرنامج الأول احتوى على تنظيم ليلة الشعر ودعونا لها كبار الفاعلين في هذا الميدان أمثال الراحل الصغير أولاد أحمد والمنصف المزغني والمنصف الوهايبي بمصاحبة موسيقية امنتها فرقة الحمايم البيض...والطريف في هذه السهرة مشاركة الشاعر الشعبي الشهير الراحل ابن المزونة « الشاهد الأبيض»... أما البرنامج الثاني كان سلسلة لقات « الوجه الآخر لفلان» التي خصصناها للتعريف بالجوانب الخفية لنجم ما خارج اختصاصه الفني والفكري وقمنا بتعريف الرواد بنوري بوزيد الشاعر وبهايدي تمزالي الصنافة ومحمد محفوظ المصور وحبيب بوعبانة الشاعر وبشير الدريسي المختص في الطبخ الخ..كانت لقاءات طريفة عرفتنا بجوانب خفية لهؤلاء النجوم خارج اختصاصاتهم المعروفة لدى الجميع.

وأذكر ايضا ان جلسة إعادة اصدار مجلتي «شاشات تونسية» تمت بهذا المطعم في الركن الخاص برفيقنا الراحل نجيب عياد في بداية سنة 2009 وجمعت كل من المنتج لطفي العيوني الذي أشرف على الجانب الإداري والمالي للمجلة ومنيرة يعقوب التي اشرفت على رئاسة تحرير المجلة في قسميها الفرنسي والعربي وتعهد نجيب عياد في تلك الجلسة توفير جزء من التمويل ودعوة بقية المنتجين والعاملين في القطاع السينمائي الى دعم المجلة .

كنت من الروّاد الاوفياء لهذا المطعم منذ نهاية السّنوات السّبعين من القرن الماضي أي منذ أن دعاني استاذي وابي الروحي الاديب سمير عيادي رحمه الله لجلسة غداء وعمل انتهت بتكليفي بإدارة البرمجة الثقافية لدار الثقافة ابن خلدون زمن ادارته لها والبرمجة السينمائية لمهرجان قرطاج الدولي...واشتهرت هناك بإستهلاك المياه المعدنيّة فقط بأمر من الطبيب لأنّ المشروبات الكّحوليّة لا تتماشى وحساسيّة القولون عندي...وآخر جلسة غداء وعمل شاركت فيها بهذا المطعم كانت في سنة 2016 لما إتّفقت مع مجموعة من الأصدقاء الإلتقاء هناك للحديث حول عودة مجلّة «شاشات تونسيّة» للصدور من جديد وتأخرت عن الموعد المحدّد وقام الأصدقاء بطلب الأكل والمشروبات الكحوليّة ولّما تساءل خليفة النّادل عن نوع المشروب بالنّسبة للعنصر الغير موجود ساعتها معهم (وصلت المكان متأخرا) فقالو له قارورة مياه معدنيّة...فضحك خليفة وقال:» عرفتو صاحبكم هذا ،ما يكون كان هاك السّيد البطي متاع الثّقافة الّي ما يشرب كان الماء»...

ووفّر، بدون أن يشعر ،الفرصة لأصدقائي ليضحكوا ويتندّروا بالمسألة هذه ليوم النّاس هذا.

طرائف الزعيم (ج 379)

بورقيبة ومدينة الكاف

من المعروف ان الزعيم تربطه علاقة حميمة ببعض المدن التونسية حيث يحبذ زيارتها باستمرار ويقيم فيها لفترات وتربطه علاقات شخصية بالبعض من رجالاتها. من بين هذه المدن نجد مدينة الكاف التي عاش فيها بورقيبة لسنوات وعقد فيها العديد من اللقاءات السياسية على أعلى مستوى كما بعث فيها العديد من المشاريع الاقتصادية والثقافية .

عن هذه العلاقة تحدث المناضل عبد السلام القلال في كتابه «الحلم والمنعرج الخطأ» الصادر عن دار الجنوب للنشر.

يقول سي عبد السلام القلال كان بورقيبة يولي جهة الكاف بعناية خاصة،حيث قام بعديد الزيارات إليها قبل الاستقلال وبعده واستقبل فيها استقبال الأبطال..وقد اصطف مواطنوها وراءه أيام الكفاح ...وكان الزعيم يولي عناية خاصة لرجالاتها حيث كان أول من يجلس على مائدته عند قدومه للكاف قدماء الدستوريين والمقاومين وفي مقدمتهم الشيخ البحري بربوش ..فكان يستعيد معهم تاريخ النضال من أجل الاستقلال،وبطولات العديد من المناضلين الذين لبوا نداء الحزب،واستشهدوا من أجل تونس.

مدينة الكاف كانت تحظى بزيارة رئيس الدولة على الاقل مرتين في السنة فهي المدينة التي حظيت في عهده بزيارة كل المسؤولين في الحكومة والحزب دون

استثناء لدعم المشاريع وانجازها وتدشينها،وحظيت بالخصوص بزيارة رؤساء الدول الاجنبية والشّقيقة..

فالكاف كان لها حضور متميز في المشهد السياسي زمان بورقيبة قلما حظيت به جهة أخرى اذا استثنينا مدينة المنستير مسقط راسه.

إن علاقة الزعيم بالكاف هي قصة حب متبادل بينه وبين أبناء الجهة،تعود الى الفترة التي قضاها في صباه في رحاب مدينة الكاف للتداوي بهوائها الصحي،حذو أخيه محمود بورقيبة الذي كان يعمل كممرض بمستشفى الكاف، وبورقيبة لم ينس ذكريات طفولته واحتضان

سكان المدينة له ولم ينس مساندة جهة الكاف وأهلها له في زمن المحنة والكفاح من أجل الاستقلال ،وازداد تعلقه بهذه الجهة لما انطوت عليه من مخزون حضاري وتاريخ عريق،كان مغرما به ويعتبره جزءا هاما من هويتنا

وأصالتنا،زيادة على كونه كان يشعر بحب مواطنيها له خلال جولاته اليومية بالمدينة، وكان يبادلهم نفس الشعور ويعبر عن كل هذا في الجلسات الخاصة بكثير من النخوة والاعتزاز.والكل يعلم في فترة الستينات ان الرئيس بورقيبة كان يدخل الكاف منشرحا مبتهجا لانه يجد فيها راحته ويخرج منها منكسر الخاطر ويعبر عن ذلك بكل عفوية امام الجميع:» إني أجد راحتي هنا،اني لا أرغب الرجوع الى تونس.»

فنّ وفنّانون

ثلاث أعمال تلفزية كوميدية تونسية في النصف الثاني من رمضان

يتابع الجمهور التونسي 3 أعمال كوميدية جديدة خلال النصف الثاني من شهر رمضان 2024، وهي "خوك من بوك" و"نهار على عمار" و"العازب"...

السلسلة الاولى "خوك من بوك" انطلقت على قناة "تلفزة تي في" وهي من إخراج ابراهيم لطيف وسيناريو صابر سيزار وبطولة مراد الروج ومريم بن مامي وصابر سيزار ومحمد السياري وحمادي الوهايبي وسميح الجمني.

تم تصوير السلسلة بدبي وتدور أحداثها حول ثنائية المال والأعمال حيث تروي قصة سي الطيب رجل أعمال تونسي مقيم في دبي يشتغل في مجال العقارات بعد موته يترك وصية عند محامي الشركة بلحسن ، حيث يرثه ابنه أنيس المقيم معه في دبي ، لكن الوصية حسب المحامي تضم اسم ابن آخر يدعى أنس، من زوجة ثانية مقيم في تونس .

تنطلق الأحداث وتتصاعد بقدوم أنس إلى دبي حيث يسعى أحد الشركاء إلى الاستحواذ على الشركة .

السلسلة الثانية "نهار على عمّار" للمخرج زياد ليتيّم، وبطولة كل من سيف عمران، زهير الرايس، مراد غرسلي، جمال المداني، وليلى الشابي.

والسيتكوم يتحدّث عن عمّار (سيف عمران) الذي يُعيد تفاصيل حياته بشكل مكرّر كل يوم.

السلسلة الثالثة"العازب" بدأ بثها على قناة نسمة الجديدة، ويجسّد بطولتها الممثل محمد علي التونسي في دور "حازم بركات" وهي من إخراج زبير الجلاصي...

ما هو سبب خلاف هند صبري وخالد يوسف؟

رد المخرج المصري خالد يوسف مؤخرًا في برنامج "حبر سري" الذي تقدمه الإعلامية أسما إبراهيم على اتهامات النجمة هند صبري ، حيث كشف عن تفاصيل خلافه معها. مشيرا إلى أن الخلاف نشأ بسبب مشاهد حميمة في أحد الأعمال الفنية التي جمعته بالممثلة التونسية.

وأوضح خالد يوسف أن العمل الذي نشأ الخلاف حوله هو فيلم "ويجا" الذي عُرض عام 2005، مؤكدًا أنه عمل مع هند صبري في فيلم واحد فقط، وتباينت وجهات نظرهما حول بعض المشاهد.

وكانت هند صبري قد عبّرت سابقًا عن ندمها على المشاركة في فيلم "ويجا" بسبب طريقة تصوير المشاهد الجريئة في الفيلم وعدم التوافق بينها وبين خالد يوسف حول تلك المشاهد.